FRAGMENTE

البحث عن يسوع التاريخي 1

كسرات
في نقد الكتاب
المقدس

Reimarus

رايماروس
ترجمة وتقديم وتفسير
نبيل فياض

ابكالو

سلسلة البحث عن يسوع التاريخي
(2)

كسرات في نقد الكتاب المقدّس

رايماروس

ترجمة وتعليق وتقديم
نبيل فيّاض

الطبعة الأولى: 2019

تصميم الغلاف: كارل بتشفارش

ألمانيا : 004915771203247
بغداد : 009647811898461
Email: Abkallu91@gmail.com

سلسلة البحث عن يسوع التاريخي

(1)

كسرات
في
نقد الكتاب المقدّس

رايماروس

ترجمة وتعليق وتقديم

نبيل فيّاض

أبكالو 2019

المحتوى

كلمة لا بد منها

ليس من السهل تقديم رايماروس باللغة العربية ضمن سلسلة «البحث عن يسوع التاريخي» في هذه الحقبة بالذات: رايماروس ينتقد الكتاب المقدّس، الأمر الذي لا يعني الكثير للكثيرين في هذه المنطقة؛ رايماروس ينتقد بلغة بسيطة غير مسفسطة ولا مطلعة كثيراً على معطيات النقدية الكتابية الحديثة التي دخلت في تفاصيل لا يمكن تصورها؛ ورايماروس ربما لا يعجب القلّة النادرة من اختصاصيي النقدية الكتابية الذين قد يحاكمونه من منظور البحوث الحديثة في نقد الكتاب المقدّس.

مع ذلك، يظل لرايماروس حق البكورية في النقديّة الكتابية والبحث عن يسوع التاريخي؛ فحين كتب رايماروس وإن دونما نشر، لم يكن أحد يجرؤ على التفكير بما كتبه المفكّر الألماني البارز.

في نصّنا المترجم المختصر، سعينا إلى تقديم ما يلي:

دراسة لنا مقارنة بين ما كتبه نيتشه عن المسيح والمسيحية والعهد القديم في كتابه «عدو المسيح» من نسخة ترجمناها قبل أعوام، وما كتبه رايماروس في هذه الكسرات. كنا نرغب بإضافة مقارنة أخرى مع

فويرباخ الذي ترجمنا معظم أعماله، لكننا وجدنا أن المسألة ضخمة، وربما تتجاوز حجماً الكتاب برمته.

النصوص الأخرى حول مسألة البحث عن يسوع التاريخي مترجمة عموماً، مع إضافات من قبلنا، أما بيوغرافيا رايماروس فمستمدة من نص للمفكّر دافيد شتراوس الذي أمدّنا بعمل حول حياة رايماروس.

النص الأخير حول سفر الخروج مضاف إلى كتاب الكسرات، وذلك لإظهار أن موقف باحثنا النقدي كان هو ذاته من العهدين، بعكس ما قد يوحي به الكسرات من أن رايماروس متعاطف مع اليهود ضد المسيحيين.

نبيل فيّاض

دمشق، الأول من تشرين أول -أكتوبر، 2018

مقدّمة: نقد الكتاب المقدّس
من رايماروس إلى نيتشه

لا يمكن القول إنّ رايماروس (1694 — 1768) هو أوّل من بدأ حملة في نقدية الكتاب المقدّس، لأننا نعرف على الأقل أن باروخ سبينوزا (1632 — 1677) وجّه سهام نقده للعهد القديم؛ لكن ربما يكون رايماروس هو أوّل من دشّن هذا النوع الفلسفي المنظّم الدقيق من النقديّة الكتابية، خاصّة للعهد الجديد — بالنسبة لنقديته للعهد القديم، لم يصل إلينا إلا ذلك الفصل الذي يحاول فيه رايماروس دك أسس قصة الخروج من مصر الواردة في سفر الخروج والتي سنضيفها إلى نصوص لرايماروس أخرى هنا — وفتح الباب من ثمّ أمام الباحثين كي يخوضوا دون وجل عباب بحر الكتاب المقدّس المائج، والذي أوصل في نهاية القرن الماضي إلى جماعة «سيمينار يسوع» الأمريكية، التي تتهم اليوم بالتطرّف الليبرالي.

إحدى المحطّات الهامة في النقد «غير البحثي» للكتاب المقدّس، هي تلك التي يحتلّها الفيلسوف الألماني، فريدريش نيتشه (1844 — 1900) في كتابه الأخير، عدو المسيح[1]. ليس عدو المسيح بالعمل الأكاديمي

(1) ترجمنا الكتاب عن لغته الأم دون أن ننشره.

المتزن، مثل أعمال ألبرت شفايتسر ودافيد شتراوس وإرنست رينان، على سبيل المثال لا الحصر؛ بل هو صرخة فلسفية نزقة ضد المسيحية أولاً واليهودية ثانياً – صرخة تلمس بلغتها الشعرية الرائعة كعادة نيتشه قلب القارئ، لكن ليس عقله.

في مقارنة غير تفصيلية بين رايماروس ونيتشه، نكتشف بسهولة أن الأول لم يكن ملحداً، بل يؤمن بما يمكن تسميته بالربوبية[1] Deism. بالمقابل، ورغم عدم الاتفاق بين الباحثين حول ما إذا كان نيتشه ملحداً أم لا، فإنّ الأخير يشنّ هجوماً على شكل الإله المسيحي في عدو المسيح، نشتمّ منه رائحة الإلحاد. يقول نيتشه في الكتاب ذاته، الفقرة18:

المفهوم المسيحي للإله - الإله كإله للمرضى، الإله كعنكبوت، الإله كروح ـ هو واحدٌ من أفسد المفاهيم للإله التي وصلت إلى الأرض: بل ربما يمثّل العلامة الدنيا في التدرّج الهابط لنموذج الإله.

(1) موقف ديني غير أرثوذكسي وجد تعبيراً له ضمن مجموعة من الكتّاب الإنكليز بدءاً بإدوارد هربرت في النصف الأول من القرن السابع عشر وانتهاء بهنري سانت جون في منصف القرن الثامن عشر. ومن ثمّ ألهم هؤلاء الكتّاب بموقف ديني مشابه في أوروبا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر وفي الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وبشكل عام، فالربوبية تشير إلى ما يمكن أن يدعى بالدين الطبيعي، أي قبول مجموعة معينة من المعرفة الدينية التي هي فطرية في كلّ شخص أو التي يمكن حيازتها عن طريق العقل، ورفض المعرفة الدينية حين يتم إحرازها من خلال الوحي أو تعاليم أية كنيسة.

لقد تفسّخ الإله إلى معارضة للحياة، عوضاً عن أن يكون تجلّياً لها ونعَمها الخالدة! في الإله إعلان عدائيّة للحياة، للطبيعة، لإرادة الحياة! الإله صيغة تعبّر عن كل افتراء على « هذا العالم »، كلّ كذبة حول «العالم الآخر »! في الإله يؤلّه العدم، تُقدّس إرادة العدم!...

ثم يكمل في الفقرة التي سبقت، 17:

كيف يستطيع المرء أن يبقى مذعناً لسذاجة اللاهوتيين المسيحيين بحيث يشاركهم الرأي في قول إن تحوّل مفهوم الإله من « إله إسرائيل»، الإله القومي، إلى الإله المسيحي، خلاصة كلّ ما هو خيّر، يعتبر تقدّماً.

ومن ثم يقول:

47

إنّ ما يميّزنا، هو ليس أننا لا نلحظ إلهاً، لا في التاريخ، ولا في الطبيعة، ولا في ما وراء الطبيعة، ـ بل لأننا وجدنا أن ما تمّ توقيره كإله، ليس «إلهيّاً »، بل هو حقير، سخيف، مؤذ، ليس مجرّد خطأ، بل جريمة بحق الحياة... نحن ننكر الإله كإله... إذا أثبت واحدهم لنا وجود إله المسيحيين هذا، ما عرفنا كيف سنؤمن به. — وضع ما سبق في صيغة: الإله، كما خلقه بولس، إنكار للإله. — ديانة كالمسيحيّة، لا تمسّ الواقع الفعلي في أية نقطة، وتتفتت حالما يأخذ الواقع الفعلي مكانته الحقيقية في أية نقطة، لا بدّ أن تكون بالطبع عدواً مميتاً «لحكمة العالم»، للعلم، ـ سوف تستحسن كلّ الوسائل التي يمكن بها أن تسمّم وتفتري وتسيء إلى سمعة انضباط العقل، الوضوح والتطرّف في

الوعي العقلاني، هدوء العقل وحريّته النبيلين. «الإيمان» كضرورة هو الفيتو على العلم، ــ عملياً الكذب بأي ثمن... لقد فهم بولس، أن هنالك حاجة إلى الكذب، إلى «الإيمان»؛ ولاحقاً فهمت الكنيسة بولس... ذاك الإله، الذي اخترعه بولس، إله «يدحض» «حكمة العالم» (بمعنى أضيق، العدوّان اللدودان للخرافات كلّها، فقه اللغة والطب)، هو في الواقع مجرّد تصميم راسخ من قبل بولس ذاته على فعل ذلك: تسمية الإرادة الخاصّة «إلهاً»، توراه، ذاك يهودي أساساً. بولس يريد أن يدحض «حكمة العالم»: أعداؤه هم فقهاء اللغة والأطبّاء الجيّدون من مدرسة الاسكندريّة ــ، عليهم يشنّ الحرب. في الواقع، لا يكون المرء فقيه لغة وطبيباً دون أن يكون في الوقت ذاته أيضاً عدواً للمسيحي. لأنه حين يكون المرء فقيه لغة يرى ما وراء «الكتب المقدّسة»، وحين يكون طبيباً يرى ما وراء الفساد النفسي للمسيحي الأنموذجي. يقول الطبيب غير قابل للشفاء، وفقيه اللغة «محتالاً»...

سوف نلحظ لاحقاً أن رايماروس يربط تماماً بين الجماعة المسيحية الأولى من جهة، والبيئة اليهودية التي خرجت منها هذه الجماعة، من جهة أخرى. وحين يقارن رايماروس بين الطرفين، الجماعة المسيحية الأولى والبيئة اليهودية، نجده دون أدنى التباس يقف إلى جانب الطرف اليهودي على نحو غير مباشر باعتبار أن أتباع المسيح كانوا مجموعة من الأميين الفقراء الرعاع الذين وجدوا في يسوع ضالتهم من أجل تحسين أوضاعهم الماديّة، وذلك مقابل الأرستقراطية الفريسية المثقفة، التي كان يتجنبها — وينتقدها — يسوع بشدّة.

بالمقابل، يقول نيتشه في الفقرة 24 من الكتاب ذاته:

سأعرض هنا فقط مشكلة أصل المسيحيّة بإيجاز. الفرضيّة الأولى لحلّها: لا يمكن فهم المسيحيّة إلاّ بردّها إلى التربة التي نشأت عليها، - ليست حركة مضادّة للغريزة اليهوديّة، إنّها بالفعل نتيجتها المنطقيّة، نهاية أخرى لمنطقها الموحي بالرعب. في صيغة Formel الفادي: «الخلاص يأتي لأجل اليهود». ...اليهود هم أكثر الأمم لفتاً للنظر في تاريخ العالم، لأنّهم، حين واجهوا مسألة أن تكون أو أن لا تكون، اختاروا، بقناعة غريبة تماماً، أن يكونوا بأيّ ثمن: كان الثمن الذي توجّب عليهم دفعه هو التزييف الجذري لكلّ الطبيعة، كل الطبيعانيّة، كل الواقع، العالم الداخلي برمّته إضافة إلى الخارجي. عزّفوا أنفسهم بما يعاكس كلّ تلك الظروف التي كان بمقدور أمّة العيش في ظلّها، أن يُسمح لها بالعيش؛ جعلوا من أنفسهم النقيض للظروف الطبيعية، - قلبوا الدين، العبادة الدينيّة، الأخلاق، التاريخ، علم النفس، الواحد بعد الآخر، بطريقة غير قابلة للإصلاح، إلى نقيض قيمهم الطبيعيّة. من جديد نصادف الظاهرة ذاتها بنسب كبيرة للغاية، مع أنّها لا تعدو كونها نسخة Kopie: - الكنيسة المسيحيّة، مقابل «أمّة الأنبياء»، تتبرّأ من كل مزاعم الجدّة. لهذا السبب تحديداً اليهود أشأم أمّة في تاريخ العالم: لقد زيّف تأثيرهم اللاحق الجنس البشري الى درجة أنّ المسيحي قادر اليوم على الإحساس أنّه عدو لليهوديّة دون أن يدرك أنّه النتيجة القصوى لليهود.

32

المسيحيّة الأولى تستخدم فقط مفاهيماً ساميّة -يهوديّة (الأكل والشرب في المناولة اللذان نعنيهما هنا، أسيء استخدامهما على نحو محزن للغاية، مثل كل شيء يهودي، من قبل الكنيسة).

ثمة مجموعة ضمن جماعات «البحث عن يسوع التاريخي» الثالثة، تعتبر أن يسوع كان نبياً جوالاً يعلن للناس رسالته الأخروية لكنها غير رؤيوية. وبالنسبة لهؤلاء العلماء، يهودية يسوع هي أولاً وقبل كل شيء، وليس هنالك أي تأثيرات يونانية - رومانية مزعومة. فبالنسبة لهؤلاء العلماء، استخدام علم الآثار في إسرائيل وتحليل الأدب اليهودي التكويني، بما في ذلك المشناه، مخطوطات البحر الميت، العهد الجديد (كنص يهودي) ويوسيفوس، لإعادة بناء الآراء القديمة لليهود المتعلقة بالعالم في المقاطعتين الرومانيتين من القرن الأول في اليهودية والجليل — ومن ثم فقط يتقصى كيف يتناسب يسوع فيها. إنهم يميلون إلى عرض يسوع كبروتو - حاخام [حاخام بدئي]، والذي أعلن عن ملكوت السموات.

بالنسبة لرايماروس، كان يسوع شخصاً عادياً والذي كان لديه أحلام مسيانية. بمعنى تجريده من كلّ معنى ديني وتحديده فقط بشروطه الدنيوية.

من ناحية أخرى، يكرّس نيتشه جزءاً كبيراً من عمله، عدو المسيح، للحديث عن الفادي، يسوع المسيح. يقول الفيلسوف الألماني في سلسلة من الفقرات من العمل ذاته:

29

ما يهمّني أنا هو النموذج النفساني للفادي. لأنه أُمكن أن يُحتوى في الأناجيل رغماً عن الأناجيل، مهما كان تشويهه وإثقاله بالسمات الغريبة كبيراً: مثل النموذج النفساني لفرنسيس الأسيزي[1] المحتوى في الخرافات التي تدور حوله رغماً عن تلك الخرافات. ليس حقيقة ما فعل، ما قال، وكيف مات حقّاً: بل مسألة ما إذا أنموذجه قابل لأن يُتخيّل بأيّة حال، ما إذا كان التقليد قد «تناقله»؟ -فالمحاولات، التي أعرفها، الهادفة لاستخلاص حتى تاريخ «نفس» واحدة من الأناجيل، تبدو لي دلائل على طيش نفسي لعين. لقد خصّص رينان، مهرّج علم النفس ذاك، لشرح أنموذج يسوع، مفهومين هما الأصعب تطبيقاً في هذه الحالة: المفهوم عبقري والمفهوم بطل. لكن إذا كان ثمّة شيء غير إنجيلي فهو المفهوم بطل. فهنا على وجه التحديد يصبح نقيض كلّ الكفاح، كلّ الشعور بالذات في النضال غريزة: هنا يصبح العجز عن المقاومة أخلاقيّة («لا تقاوم الشر»: القول الأعمق في الإنجيل، والذي هو مفتاح فهمه بمعنى محدّد)، السعادة في السلام، في التهذيب، في العجز عن العدوانيّة. وما هي «البشارة» ؟ لقد وجدت الحياة الحقيقيّة، الحياة الأبديّة ـ إنها ليست موعودة، إنها هنا، إنها

(1) فرنسيس الأسيزي (فرانتشيسكو رنار دونه 1181 -1226): قديس إيطالي أسس الرهبنة الفرانسيسكانيّة. رفض الثروة، واختار أن يتبع المسيح بتواضع وفقر وحب فاعل للجنس البشري. كشف حبّه للفقراء والمعاقين عن جمال حياة يسوع وعن سر التجسّد للناس.

فيكم: كحياة معاشة في الحب، في الحب دون إنقاص أو استبعاد، دون تباعد. كلّ واحد هو ابن لله - لم يطالب يسوع لذاته بشيء محدّد، فكلّ واحد يساوي الآخر كأبناء لله... لصنع بطل من يسوع! - وأي سوء فهم رديء هذا في الكلمة عبقري! فمفهومنا الثقافي «روح»، مفهومنا برمّته، لا معنى لديه في عالم حيث عاش يسوع. وإذا ما تحدّثنا بدقّة الفسيولوجي، فإن كلمة مختلفة بالكامل سيكون من الأفضل وضعها هنا: كلمة معتوه[1] ...ونحن ندرك أن وضع حساسيّة شعور لمس مرضيّة تجعله ينكمش مرتعباً من كلّ احتكاك، من كلّ إمساك بغرض ثابت. أمّا ترجمة هذا الوضع الفيسيولوجي إلى منطق صرف فتقول - كراهيّة غريزيّة لكل ما هو واقعي، هروب داخل «ما لا يمكن الإمساك به»، كراهيّة لكل شكل، كل مفهوم زماني ومكاني، كل ما هو ثابت، وذلك كلّه عرف، عادة، كنيسة، ارتياح في عالم غير معكّر بأي نوع من الوقائع، عالم «داخلي» ليس إلاّ، عالم «حقيقي»، عالم «أبدي» ...مملكة الله «فيكم».

31

لقد أعطيت من قبل إجابتي على هذه المشكلة. وفرضيّتها تقول إن أنموذج الفادي لم يُحفظ لنا إلاّ بشكل مشوّه فقط. وإن إمكانيّة حصول هذا التشويه محتملة جداً بحدّ ذاتها: توجد أسباب كثيرة تعلّل سبب

---

(1) كلمة معتوه، عبارة غير موجودة في النصّ الألماني الذي نترجم عنه، لكنها موجودة في نص هولنغديل الانكليزي.

عدم إمكانيّة بقاء هذا النموذج صافياً، كاملاً، خالياً من الإضافات. فلا بدّ أنّ الوسط الذي تحرّكت فيه هذه الشخصيّة الغريبة ترك أثره عليها، ولابدّ أن التاريخ ترك ما هو أكثر، أي قدر الجماعة المسيحيّة الأولى: ويمكن العودة تاريخيّاً إليه، للإشارة، إلى إغناء الأنموذج بسمات لا تفهم إلاّ عبر الحديث عن الصراع وغايات الدعاية. ذلك العالم الغريب والمريض، الذي تقدّمه لنا الأناجيل، ـ عالم يشبه عالم الرواية الروسيّة، حيث يبدو لنا أنّنا على موعد فيه مع رفض المجتمع، الحماقة العصبيّة و« الصبيانيّة » - لابدّ أنّه خشّن الأنموذج بأية حال: كان على الأتباع الأوائل بشكل خاص أن يترجموا كائناً مغموساً بالكامل في الرموز والأمور المبهمة إلى فظاظتهم الخاصّة كي يفهموا منه أي شيء - لم يكن لأنموذج كهذا أن يتواجد بالنسبة لهم ما لم يتم اختصاره إلى أشكال أكثر مألوفيّة... النبي، المسّيا، الديّان الآتي، الواعظ الأخلاقي، صانع المعجزات، يوحنّا المعمدان - فرص عديدة جداً لإساءة فهم الأنموذج... أخيراً، دعونا لا نستهين على نحو خاص بميزة التوقير المتطرّف الطائفي: إنّه يقضي غالباً على السمات الأصليّة والصفات الأصليّة غير المألوفة والمؤلمة في الكائن المبجّل ـ بل يفشل في رؤيتها. ويأسف واحدنا أحياناً كون ما من دستويفسكي[1]

(1) يقول نيتشه عن دستويفسكي (1821 -1881)، في رسالة تحمل تاريخ 23\2\1887: « قبل أسابيع قليلة لم أكن أعرف حتى اسم دستويفسكي... فرصة سعيدة في إحدى المكتبات رمت تحت ناظري عملاً مترجماً لتوّه إلى اللغة الفرنسيّة، ==

آخر عاش بجوار هذا المتفسّخ الأكثر إمتاعاً؛ أعني واحداً يمكن أن يشعر بالسحر المثير في مثل هذا الاتحاد بين السامي، المريض، والسخيف. رأيي نهائي: الأنموذج، كأنموذج متفسّخ، استطاع في الواقع أن يكون من تعدديّة وتناقضيّة خاصتين: احتماليّة كهذه لا يمكن استبعادها بالكامل. لكن كلّ شيء ينبئ بما هو عكس ذلك: فلو كانت المسألة على هذا النحو لكان من الواجب أن يكون التقليد أميناً وموضوعيّاً على نحو ملحوظ: ولدينا من الأسباب لافتراض العكس. في غضون ذلك، ثمة تناقض ينفغر بين مبشّر الجبل، - البحيرة والحقل، الذي يبهر ظهوره المرء كظهور بوذا على أرض تشبه قليلاً جداً أرض الهند، وبين المتعصّب العدواني، الذي مجدّه رينان بخبث

L'esprit souterrian... غريزة القربى (أو ماذا أسمّيها؟) تحدّثت مباشرة، وكانت متعتي استثنائيّة: كان عليّ العودة إلى تعرّفي على كتاب Rouge et noir لستاندال حتى أتذكّر متعة أخرى مشابهة». في السابع من آذار قرأ «مذكّرات من بيت الموتى» و«ومذلّون مهانون» في ترجمة فرنسيّة أيضاً. لكن لا يعرف ما إذا كان قد قرأ إحدى الروايات الأربع الضخمة أم لا. ورغم حماسته الدائمة لدستويفسكي، فإننا نفشل في العثور على أثر لذلك في مراسلاته بين عامي 1887 و 1888، مع أننا مجبرون على استنتاج أن استخدامه لتعبير «أبله» في وصف يسوع، واستخدام هذا التعير أيضاً في اعماله عام 1888 عموماً، مستمدّ من معرفته بكتاب دستويفسكي «الأبله»: ستساعدنا حتماً معرفتنا لمعنى الكلمة عند دستويفسكي في فهم لماذا استخدمها نيتشه. ولأن نيتشه أصغر من دستويفسكي بثلاث وعشرين سنة، ، لأنه قدّم كثيراً من أعماله بعد موت دستويفسكي، هذا كلّه يدفعنا إلى ملاحظة تأخّر نيتشه في قراءته.وما يوحي بتأثير لدستويفسكي في كتابات نيتشه قبل عام 1887 ليس نتيجة تأثير أو استعارة بل تماثل في الفطنة السيكولوجيّة.

باعتباره « سيّد التهكّم الكبير ». وأنا ذاتي لا أشكّ أنّ هذا المقدار الكبير من المرارة (ومن الروح أيضاً) لم يغمر أنموذج السيّد الاّ من الوضع الاهتياجي للدعاية المسيحيّة: يعرف المرء جيداً كيف يكيّف كلّ المتعصّبين سيّدهم بعزم لا يلين بحيث يصبح أبولوجيا[1] لذواتهم. وحين احتاجت الجماعة المسيحية الأولى إلى لاهوتي مقرّع، ضدّ اللاهوتيين، خلقوا « إلههم » بحسب متطلباتهم: تماماً مثلما وضعوا في فمه دون تردّد، تلك المفاهيم غير الإنجيليّة بالكامل، التي ليس بإمكانهم العمل دونها اليوم، أي « المجيء الثاني »، « الدينونة الأخيرة »، وكل أنواع التوعّد والتوقع الزمنيّة. -

32

يمكن للمرء، مع بعض الحريّة في التعبير، أن يدعو يسوع « روحاً حرّة » ـ إنه لا يهتم بما هو مثبت: الكلمة مماتة، كلّ شيء مثبت ممات. إن الشكل الوحيد الذي يعرفه للمفهوم، للتجربة « حياة »، كما يعرفها وحدها، تعارض أي نوع من الكلام، الصيغ، الايمان، العقيدة. إنه لا يتحدّث الاّ عن الشيء الأعمق: « الحياة » أو « الحقيقة » أو « النور » هي تعابيره عن الشيء الأعمق، - كلّ ما عدا ذلك، أي الواقع برمته، الطبيعة برمتها، اللغة ذاتها، لا تمتلك عنده سوى قيمة إشارة، إستعارة. - لكن على المرء أن لا يخطىء في هذا الموضع اطلاقاً

(1) كتابات تدافع عن أفعال أو معتقدات.

مهما أغواه التحامل المسيحي، أي الاكليروسي، على فعل ذلك. فرمزي لا مثيل له كهذا يقف خارج كلّ دين، كل مفاهيم العبادة الالهيّة، كل التاريخ، كل العلم الطبيعي، كل تجارب هذا العالم، كل المكاسب، كل السياسيات، كل علوم النفس، كل الكتب، وكل ما هو فن - « المعرفة » بالنسبة له هي تلك الحماقة الصافية، بأن لا شيء من هذه النوعية موجود. ولأنه لا يعرف الثقافة من الأقاويل حوله، لا حاجة به إلى محاربتها، -ولا إنكارها... الشيء ذاته ينطبق على الدولة، المجتمع والنظام المدني بمجمله، العمل، الحرب - لم يكن لديه سبب لانكار « العالم »، لم تكن لديه فكرة عن المفهوم الاكليروسي « عالم » ... الانكار بالنسبة له تحديداً هو المستحيل بالكامل. - الديالكتيك أيضاً غير موجود، وغير موجود التصوّر الذي مفاده أنّه يمكن إثبات « إيمان »، « حقيقة » بالأسباب (ـ براهينه هي «أنوار » داخليّة، أحاسيس « داخلية » بالسرور وإثبات الذات، لا شيء سوى « براهين بالقوة » ـ). لا يمكن لمذهب كهذا أن يجادل، فهو ببساطة لا يفهم أنّ مذاهب أخرى تتواجد، تستطيع أن تتواجد، إنّه ببساطة لا يعرف كيف يتخيّل رأياً معاكساً لرأيه... وحيثما يقابل أحداً منها، سيندب « العمى »، بأخلص تعاطف ـ لأنه يرى «النور»، ـ لكنه لن يعارض...

33

إذا كنت أفهم شيئاً من هذا الرمزي الكبير فهو أنه لم يعتبر وقائع، حقائق، إلا الوقائع الداخليّة فقط – وأنه فهم الباقي، أي كل ما يخص

الطبيعة، الزمان، الفضاء، التاريخ، كإشارات، كفرص للإستعارة ليس إلاّ. إن مفهوم «ابن الإنسان» لا يعني شخصاً عينيّاً ينتمي إلى التاريخ، شيئاً فرديّاً أو وحيداً بأية حال، لكنه حقيقة «أبديّة»، رمز نفسي خال من مفهوم الزمان. والشيء ذاته ينطبق على نحو أسمى على إله هذا الرمزي الأنموذجي، على «مملكة السموات»، على «أبناء الله». لا شيء أكثر لا مسيحيّة من الفظاظات الإكليروسيّة عن الإله كشخص، عن «مملكة الله» الآتية، عن «مملكة السموات» في العالم الآخر، عن «ابن الله»، الأقنوم الثاني في الثالوث. كلّ هذا – آسف على التعبير – قبضة في العين. وآه في أية عين! – عين الإنجيل: كلبيّة تاريخية عالميّة في تهكميّة الرمزيّة... لكن واضح بجلاء ما يشار إليه في رمزي «آب» و«ابن» - ليس واضحاً بجلاء للجميع: في كلمة «ابن» مدخل إلى شعور عام بتغيّر كلّ شيء (سعادة أبديّة)، في كلمة «آب» هذا الشعور ذاته، شعور الكمال والخلود. – إني أخجل حين أتذكّر ماذا فعلت الكنيسة بهذه الرمزيّة: ألم تضع قصّة أمفتريون على «عتبة» الإيمان المسيحي، وعقيدة «الحبل بلا دنس» أيضاً؟... لكنها بذلك دنّست الحبل –

إن «مملكة السموات» هي حالة قلب – ليست شيئاً يأتي «إلى الأرض» أو «ما بعد الموت». الموت الطبيعي بكامله غير موجود في الإنجيل: ليس الموت جسراً، ليس انتقالاً، فهو غير موجود لأنه ينتمي إلى عالم آخر بالكامل، عالم ظاهري مجرّد لا يفيد إلاّ في خدمة الرمزيّة. «ساعة الموت» ليست مفهوماً مسيحيّاً – «الساعة»، الزمن، الحياة

المادّية وأزماتها، غير موجودة ببساطة عند صاحب «البشرى »... «مملكة الله» ليست شيئاً يمكن انتظاره، ليس عندها البارحة أو غداً، لن تأتي «في ألف سنة» – إنها تجربة داخل القلب؛ إنها في كل مكان، وليست في أي مكان...

35

مات «صاحب البشرى» هذا كما عاش، كما علّم – لا «ليفدي الجنس البشري »، بل ليبرهن كيف يجب أن يعيش المرء. أما ما أورثه للجنس البشري فهو عُرفه: تحمّله أمام القضاة، أمام الحرّاس، أمام متهميه، لكلّ أنواع الافتراء والسخرية – تحمّله على الصليب. إنه لا يقاوم، لا يدافع عن حقوقه، لا يقوم بخطوة يتفادى بها أسوأ ما يمكن أن يحصل له – بل ثمة ما هو أكثر من ذلك، فهو يحرّض عليه... إنه مع أولئك، في أولئك الذين يسيئون إليه، يتوسّل، يعاني، ويحب. وكلماته للص على الصليب تتضمن الإنجيل كلّه. قال اللص: «كان هذا بشراً متألّهاً، ابناً لله بالفعل ». «إذا كنت تشعر بهذا» – يجيب الفادي – «فأنت في الفردوس، وأنت ابن لله ». لا تدافع عن ذاتك، لا تغضب، لا تتحمل مسئوليّة... بل لا تقاوم حتى الشرير – أحبّه...

يختار رايماروس مقاطع بعينها من الإنجيل تحوي من التناقض الذاتي الشيء الكثير، مثل اجتماع ألوف الأشخاص في عليّة صغيرة في سفر أعمال الرسل. كذلك ينتقي نيتشه بعض مقاطع من العهد الجديد

ليس لإظهار تناقضها الذاتي، بل لخلق حالة من السخرية حول مضمونها. يقول الفيلسوف الألماني في عدو المسيح:

45

سأقدّم بعض أمثلة، عما وضعه هذا الشعب الصغير في الرأس، عمّا وضعه في فم سيّده: طائفة عالية الصوت من «الأنفس الجميلة». —

«وكلّ من لا يقبلكم، ولا يسمع لكم، فاخرجوا من هناك، وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم. والحقّ أقول لكم، ستكون لأرض سدوم وعمّورة، يوم الدين، حالة أكثر احتمالاً من تلك المدينة» (مرقص 6 : 11). — يا للإنجيليّة!...

«وكل من أعثر هؤلاء الصغار المؤمنين بي، فخير له لو طوّق عنقه بحجر رحى، وطرح في البحر «(مرقص 9 : 42). — يا للإنجيليّة!...» وإذا عثرتك عينك، اقلعها؛ فخير لك أن تدخل ملكوت السموات أعوراً، من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنّم النار: حيث دودهم لا يموت، والنار لا ينطفئ» (مرقص 9: 47 -48) — ليست العين هي المعنيّة على وجه الخصوص ...

« الحقّ أقول لكم، إن من القيام ها هنا قوماً، لا يذوقون الموت، حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوّة» (مرقص 9 : 1) — كاذب جيّد، أسد...

« من أراد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه، ويتبعني. لأنّه... » (ملاحظة عالم نفس: الأخلاق المسيحيّة تدحضها لأنّاتها:

«معلولاتها» تدحض: هكذا هو حال ما هو مسيحي.) مرقص 8: 34 -35. —

«لا تدينوا، كي لا تدانوا. لأنكم بالدينونة التي بها تدينون، تدانون» (متّى 7: 1 -2). — أي مفهوم للعدالة، للقاضي «العادل»!

«لأنه إن أحببتم الذين يحبّونكم، فأي أجر لكم؟ أليس العشّارون أيضاً يفعلون ذلك؟ وإن سلّمتم على أخوتكم فقط فأي فضل تصنعون؟ أليس العشّارون أيضاً يفعلون هكذا؟» (متّى 5: 46 -47.) — مبدأ «الحبّ المسيحي»: أنه يرغب بأن يدفع له جيّداً...

«وإن لم تغفروا للناس زلاّتهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاّتكم» (متّى 6: 15). تسويّة للغاية لما يدعى «آب»... «لكن اطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه، وهذه [الأشياء] تزاد لكم» (متّى 6: 33). كلّ هذه الأشياء: أي الطعام، اللباس، كلّ ضروريّات الحياة... خطأ، استعمالها باعتدال...قبل ذلك بقليل، يظهر الله كخيّاط، في ظروف بعينها على الأقل...

«افرحوا في ذلك اليوم، وتهلّلوا: فهو ذا، أجركم عظيم في السماء: لأن آبائكم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء» (لوقا 6: 23). غوغاء وقح! إنه يقارن نفسه بالأنبياء...

«أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله الذي يسكن فيكم؟ وإن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله؛ لأن هيكل الله مقدّس،

الذي هو أنتم» (بولس، كورنثوس الأولى 3: 16 -17). — أشياء كهذه لا يمكن للمرء احتقارها بما يكفي...

«ألستم تعلمون أن القدّيسين سيدينون العالم؟ وإن كان العالم يُدان بكم، فأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى» (بولس، كورنثوس الأولى 6: 2). لسوء الحظ، ليست هذه مجرّد هذيانات مجنون... فهذا الدجّال المريع يتابع فيقول: «أما تعلمون أنّا سندين الملائكة؟ فكم بالحري أن نقضي في أمور هذه الحياة؟ »...

«ألم يجهل الله حكمة هذا العالم؟ لأنه إذا كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة... ليس كثيرون حكماء بحسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء: بل اختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء؛ واختار الله أدنياء العالم، والمزدرين، وغير الموجودين، ليخزي الموجودين: لكي لا يفتخر كلّ ذي جسد أمامه» (بولس، كورنثوس الأولى 1: 20، مقتطفات).

يرى رايماروس أنّ قصّة القيامة لا أساس لها من الصحة، وأنّ تلاميذ يسوع سرقوا جثمانه لأنهم، بعد أن لم يستفيدوا منه في حياته، يمكن الآن أن يستفيدوا منه في مماته عبر تلفيق قصّة القيامة والعودة من السماء؛ بالمقابل، فإن موقف نيتشه محكوم كموقف رايماروس: يعترف بالصلب لكنه ينكر القيامة بالمطلق:

39

سـأكمل، لأروي الآن التـاريخ الحقيقـي للمسـيحيّة. – إنّ كلمـة «مسيحيّ» هي سوء فهم – كان هنالك في الواقع مسيحي أوحد فقط، وقد مـات على الصـليب. ماتـت «البشـارة» على الصـليب. ومـا دعـي بشـارة منـذ تلـك اللحظـة و مـا بعـد كـان عكـس مـا هـو عاشـه : «أنبـاء سيئة»، ملاك شرّ.

الفيلسوفان يلتقيان في مسألة سرقة جثمان يسوع، ويختلفان في من سرقه ولماذا. رايماروس يعتبر أنّ من سرق الجثمان هـم تلاميذ يسوع بالذات لرغبتهم في الإفادة من ما يترتب على اختفاء الجثمان من قصّة قيامة وعودة من السماء. بالمقابل، يقول نيتشه إن من سرق الجثمان كان البستاني الذي دُفن يسوع في حقله بعد موته. فقد انزعج الرجل من زيارات التلاميذ المتكرّرة للقبر ومن ثم إفسادهم لمزروعاته، فقام بسرقة الجثمان وادعى أما التلاميذ أن الميت قام.[1]

يختلف الفيلسوفان الألمانيان تماماً في مسألة الصلب وما بعده، وعلاقة ذلك كلّه بالتلاميذ. فكما أشرنا غير مرّة، فقد اعتبر رايماروس أن التلاميذ فبركوا قصّة القيامة ما بعد الصلب من أجل أن يستفيدوا منه ميتاً بعد أن فشلوا من الإفادة منه في حياته. لكن نيتشه في العمل ذاته يمتلك آراءً أخرى تختلف عما يقوله رايماروس بالكامل:

(1) راجع كتابي، نيتشه والدين.

40

لقد كان قدر البشارة محدّداً بالموت، ــ علّق على«الصليب »... وحده الموت، هذا الموت المعيب غير المتوقّع، وحده الصليب، الذي لم يكن يحتفظ به لغير الرعاع عموماً، - وحده هذا التناقض المريع هو الذي وضع الحواريين وجهاً لوجه أمام اللغز الحقيقي: «من كان ذاك؟ ماذا كان ذاك؟ » — الإحساس بالهزيمة والإحباط حتى العمق، الشك أن موتاً كهذا يمكن أن يكون النقيض لما يدعونه، علامة الاستفهام المريعة « لماذا حصل ذلك؟» — هذا الموقف مفهوم أيضاً. هنا كلّ شيء كان ضرورياً، ذا معنى، معقولاً، معقولاً بأعلى درجة؛ حب الحواري لا يعرف شيئاً عن الصدفة. الآن فقط انفعرت الهوّة: «من قتله؟ من كان عدوّه الطبيعي؟ » - هذا السؤال لمع كالبرق. الجواب: اليهوديّة الحاكمة، طبقتها العليا. ومن هذه اللحظة وما بعد أحسّ واحدهم بذاته كثائر ضدّ النظام، وفهم واحدهم يسوع بالتالي كثائر ضدّ النظام. — حتى ذلك الحين كانت هذه السمة السلبيّة، في القول والفعل، غير موجودة في صورته؛ بل هنالك ما هو أكثر، فقد كان نقيضها. من الواضح أنّ الجماعة الصغيرة فشلت على وجه التحديد في فهم الأمر الأساسي، الأمثولة في طريقته كي يموت، الحريّة، السمو فوق ذاك الإحساس بالغلّ: - دليل على قلّة فهمهم له بأيّة حال! يسوع ذاته لم يكن يرغب بشيء من موته سوى أن يقدّم للعلن الاختبار الأقوى، الدليل على تعاليمه... لكن حوارييه كانوا بعيدين عن أن يغفروا لموته، ـ والذي كان سيصبح إنجيلياً بالمعنى الأرفع؛ بغضّ النظر عن تقديمهم لأنفسهم لموت مشابه بسلام قريرة حلو مهذّب... عادت إلى الواجهة من

جديد أكثر المشاعر لا إنجيليّة، أي الثأريّة. لم يكن محتملاً أن تنتهي القضيّة بموته: كان واحدهم بحاجة إلى «الجزاء»، «الدينونة» (- ما الذي يمكنه أن يكون أكثر لا إنجيليّة من «الجزاء»، «العقاب»، «الجلوس في الدينونة»!). ومرّة أخرى عاد إلى صدر الصورة الانتظار الشعبي للمسيّا؛ وكان أن ظهر في المشهد لحظة تاريخيّة: «ملكوت الله» آت لدينونة أعدائه... لكن بهذا يساء فهم كل شيء: «ملكوت الله» كنهاية، كوعد! البشارة كانت على وجه التحديد وجود Dasein هذا «الملكوت»، تحقيقه، واقعه الفعلي. بل إن موتاً كهذا كان فقط «ملكوت الله» هذا... الآن فقط أدخل واحدهم في أنموذج السيّد كلّ الاحتقار والسخرية من الفريسيّين واللاهوتيين، - وجعل واحدهم منه بالتالي فريسيّاً ولاهوتيّاً! بالمقابل، لم يعد باستطاعة الوقار الساخط لهذه الأنفس التي يستحيل وصف قلقها تحمّل ذلك القانون الإنجيلي الذي يتيح للجميع أن يكونوا متعادلين في بنوتهم لله والذي علّمه يسوع، وتمثّل ثأرهم في تبجيل متطرّف ليسوع، في فصله عن أنفسهم: تماماً كما كان اليهود قبلهم، كي يثأروا من أعدائهم، يفصلون إلههم عن أنفسهم ويضعونه في الأعالي. الإله الواحد وابن الله الوحيد: كلاهما نتاج للغل...

41

ونشأت الآن مشكلة غير معقولة Absurdes : «كيف يمكن لله أن يسمح بذلك؟» على هذا السؤال وجد العقل المفسد للجماعة الصغيرة جواباً غير معقول: قدّم الله ابنه لمغفرة الخطايا، كقربان. ومرّة واحدة

انتهى كلّ شيء في الإنجيل! قربان الخطيئة، في أكثر أشكاله بربريّة، إثارة للاشمئزاز، التضحية بإنسان بريء بسبب أخطاء الآثمين! يا للوثنيّة الشنيعة! — لأن يسوع ألغى مفهوم «الإثم» بالذات، - أنكر أية فجوة بين الإله والإنسان، عاش هذه الوحدة بين الإله والإنسان باعتبارها «بشارته»... وليس باعتبارها امتيازاً خاصّاً! من الآن فصاعداً يُدخل في أنموذج الفادي: تعاليم الدينونة والمجيء الثاني، تعاليم موته كموت قرباني، تعاليم القيامة، التي بها شعوذ مفهوم «الخلاص» بكامله، حقيقة الإنجيل الأصيلة الكاملة - لمصلحة حالة ما بعد الموت!... بولس، بالغطرسة الحاخاميّة المميّزة له في كل السمات، أعطى طابعاً منطقيّاً لهذا التفسير، هذه الجلاعة في التفسير، كما يلي: «إذا لم يقم المسيح من الموت فإيماننا عبث». — ومرّة واحدة صارت البشارة أحقر الوعود غير المنجزة، مذهب الخلود الشخصي الوقح... بل علّمه بولس ذاته بوصفه ثواباً!...

42

يرى واحدنا، [أنّ] المسيحيّة تعد بكلّ شيء، لكنها لا تلتزم بشيء. — في أعقاب «البشرى» جاء أسوأ الأمور: تلك البولسية. في بولس جُسّد الأنموذج المضاد «لصاحب البشرى»، العبقريّة في الكراهية، في رؤية الكراهية، في منطق الكراهية العنيد. ما الذي لم يضح به ملاك الشرّ هذا على مذبح كراهيته! الفادي قبل كلّ شيء: فقد سمّره على صليبه هو. الحياة، المثال، المعنى والحق في كامل الإنجيل — لم يُترك

شيء، منذ أن استطاع هذا المزيّف المسوس بالكراهية، استعماله وحده. لا الواقع، لا الحقيقة التاريخيّة!... ومرّة أخرى عادت غريزة اليهودي الكهنوتيّة لترتكب الجريمة الكبيرة ذاتها بحق التاريخ — لقد محت ببساطة البارحة وأوّل البارحة للمسيحيّة، واخترعت لذاتها تاريخاً للمسيحيّة الأولى. هنالك ما هو أكثر: فقد عادت لتزييف تاريخ إسرائيل لتجعل منه التاريخ السابق لعملها هي: فكلّ الأنبياء يتحدّثون عن «فاديها» هي... من هنا فقد زيّفت الكنيسة لاحقاً حتى تاريخ الجنس البشري عبر تزييف التاريخ الذي سبق المسيحيّة.... أنموذج الفادي، التعاليم، العرف، الموت، معنى الموت، ما بعد الموت بالذات — لم يترك شيء على حاله، لم ينرك شيء يحمل حتى أدنى شبه بالواقع. فبولس نقل ببساطة مركز جاذبيّة ذاك الوجود برمته إلى ماوراء هذا الوجود، - في كذبة يسوع «القائم من بين الأموات». والواقع أنه لم يكن باستطاعته استخدام حياة الفادي على الإطلاق — كان بحاجة إلى الموت على الصليب وإلى أمور أخرى... إن المراقبة الأمينة لبولس ما، الذي كان موطنه المركز الأساسي للتنوير الرواقي، حين يصنع من هلوسة الدليل على أن الفادي ما يزال حيّاً، أو حتى تصديق قصته بأنه كانت عنده هذه الهلوسة، فذلك سيكون حماقة فعليّة من قبل عالم النفس: فبولس كان يرغب بالوصول إلى الهدف، وبالتالي كان يرغب بالوسيلة لذلك... ما لم يكن يصدّقه هو ذاته صدّقه أولئك المعتوهون الذين ألقى تعاليمه بينهم. — كانت السلطة مطلبه هو؛ مع بولس بحث الكاهن عن السلطة من جديد، - لم يكن باستطاعته غير استخدام

تلك المفاهيم، التعاليم، الرموز، التي يستعبد الجماهير بها، يشكّل قطعاناً.

بالنسبة للعهد القديم، فإن رايماروس، في نصّه المسمّى كسرات، يشير إلى قصة خروج الإسرائيليين من مصر كما هي واردة في سفر الخروج من العهد القديم، معتبراً إنها مستحيلة عمليّاً بالمطلق. لكنه في نص خارج الكسرات، يفصّل عبر صفحات كثيرة الأسباب المنطقية التي جعلته يعتبر مسألة الخروج مستحيلة بالمطلق.

بالمقابل، في عدو المسيح، يتحدّث نيتشه عن سفر التكوين، ميثة خلق العائلة الأولى، مقدّماً تفسيراً خاصّاً به لذلك النص:

48

هل فهم المرء بالفعل القصّة الخرافيّة، التي تقف في بداية الكتاب المقدّس، - عن خوف الله المميت من العلم؟... لم يفهمها المرء. كتاب الكهنة بلا منازع هذا يبدأ، كما لو أنه الأمر المناسب الأوحد، بالمشكلة الداخليّة الكبيرة للكاهن: إنه يمتلك خطراً كبيراً واحداً فقط، و«الله» بالتالي لديه خطر كبير واحد فقط. —

الإله العجوز، «الروح» الكاملة، الكاهن الأعلى الكامل، الكمال بكماله، يتمشّى في حديقته: فقط أنه ضجر. الآلهة ذاتها تحارب الضجر بلا طائل. ماذا يفعل؟ يخترع الإنسان — الإنسان مسلّ... لكن انظروا، فالإنسان ضجر أيضاً. تعاطف الإله مع نوع الأسى الوحيد الموجود في كلّ جنّة لا يعرف حدوداً: خلق بالتالي حيوانات

أخرى. عثرة الإله الأولى: الإنسان لم يجد الحيوانات مسلّية، - سيطر عليها، بل فقد الرغبة بأن يكون «حيواناً». - من ثم خلق الله المرأة. وبالفعل، كان هنالك نهاية للضجر، - لكن لشيء آخر أيضاً! المرأة ثاني عثرات الإله. - المرأة في جوهرها أفعى، Hera] في النص الإنكليزي heva] » - كلّ كاهن يعرف ذلك؛ «كل شرّ جاء إلى العالم عبرها»... «العلم، بالتالي، جاء إلى العالم عبرها»... فقط عبر المرأة تعلّم الإنسان تذوّق شجرة المعرفة. - ماذا حدث؟ استولى رعب قاتل على الإله العجوز. صار الإنسان ذاته أعظم عثرات الإله؛ فالإله خلق لذاته منافساً، فالعلم يصنع تساوياً مع الله، - ينتهي كلّ شيء مع الكهنة والآلهة إذا أضحى الإنسان علميّاً! - أخلاقيّاً: العلم محظور بحدّ ذاته. العلم هو الخطيئة الأولى، جرثومة كلّ الخطايا، الخطيئة الأصليّة. هذا وحده أخلاق. - «يجب أن لا تعرف» - والبقيّة تأتي. - خوف الإله المميت من العلم لم يوقفه عن أن يكون داهية. كيف يمكن للمرء حماية نفسه من العلم؟ كان ذاك مشكلة رئيسة زمناً طويلاً. الجواب: ادفع بالإنسان خارج الجنّة! السعادة، التبطّل يتركان مجالاً للتفكير، - كلّ الأفكار أفكار سيئة... على الإنسان أن لا يفكّر. - و«الكاهن بذاته» يخترع الأسى، الموت، الخطر على الحياة في الحمل، كل أصناف البؤس، تقدّم السن، الكدّ، والمرض قبل كلّ شيء، - لا شيء غير وسائط في محاربة العلم! الأسى لا يسمح للإنسان بأن يفكّر... وعلى الرغم من ذلك! يا للرعب! بنيان المعرفة يعلو، يطال السماء، يصل إلى الإلهي، ـ ما العملّ! - يخترع الإله العجوز

الحرب، يقسم الشعوب، يجعل البشر يدمّر بعضهم بعضهم الآخر (- الكهنة بحاجة للحرب دائماً...). الحرب، ضمن أشياء كثيرة، صانع متاعب كبير للعلم! — غير معقول! المعرفة، التحرّر من الكاهن، تزداد رغم الحروب. — والإله العجوز يصل إلى قرار أخير: «صار الإنسان علمياً — ذاك لا يفيد، يجب على الإنسان أن يغرق! »...

في نهاية هذه المقارنة، فنحن لا نستبعد أن يكون نيتشه اطلع على رايماروس وأخذ عنه، خاصة وأن كتابات الأخير وصلت إلى قمة انتشارها وقت كان الأول في قمة نشاطه الثقافي.

البحث عن يسوع التاريخي

البحث عن يسوع التاريخي هي محاولة لاستخدام الطرائق التاريخية وليس الدينية لبناء تاريخ شخصي ليسوع قابل للتصديق. وكما حُددت المسألة في الأصل على يد ألبرت شفايتسر، فقد بدأ النقاش في القرن الثامن عشر مع هرمان صمويل رايماروس، حتى وليام فريده في القرن التاسع عشر. وتقسم المسألة إلى قسمين، وتتواصل إلى اليوم ضمن باحثين مثل أتباع «سمينار يسوع».

ألّف رايماروس مقالة رفض فيها العجائب واتهم واضعي الكتاب المقدس بالخداع، لكنه لم ينشر نتائجه. نشر غوتهولد ليسينغ نتائج رايماروس في كسرات فولفنبوتل Wolfenbuettel. لكن ما قدمه د. ف. شتراوس حول بيوغرافيا يسوع وضع نقدية الإنجيل في مسارها العصري. فقد فسّر شتراوس عجائب الإنجيل على أنها حوادث طبيعية أسيء فهمها ومن ثم أسيء تقديمها. وكان إرنست رينان واحداً من كثيرين والذين يصورون يسوع كشخص بشري مجرّد. ومع أنه كان لألبرت ريتشل تحفظاته حول هذا المشروع، إلا أنه صار مقولة مركزية بالنسبة للبروتستانتية الليبرالية في ألمانيا وحركة الإنجيل الاجتماعي في أميركا.

احتج مارتن كيهلر، قائلاً إن المسيح الحقيقي هو الذي بشر به الكتاب المقدس كله، وليس الفرضية التاريخية. وشكّك وليام فريده في مصداقية مرقس التاريخية. وذكر ألبرت شفايتسر أن تواريخ يسوع كانت تعكس تحيزاً من قبل المؤرخين. تنكّر كلّ من كارل بارث ورودولف بولتمان من البحث عن يسوع التاريخي، وعلى الرغم من أن مقدمة العمل المسمى الخمسة أناجيل تؤكد هذا فقد قُمع أي اهتمام حقيقي بهذا الموضوع من عام 1920 إلى عام 1970، كما أنّ قاموس أكسفورد الموجز للكنيسة المسيحية يقول إن هناك حركة بحث جديدة مختصرة في الخمسينيات والتي قام بها طلاب بولتمان، هذا غير أنه استمر البحث من دون انقطاع خارج مدرسة بولتمان.

البحث الأول:

كما عرّف شفايتسر الموضوع أصلاً، فقد بدأ البحث مع رايماروس وانتهى مع فريده Wrede. وشهدت هذه الفترة تزايد نفوذ البحث عن يسوع التاريخي بوصفه موضوعاً أكاديمياً وشعبياً. بعد وقت قصير من عمل فريده Wrede ، استنكر كارل بارث ورودولف بولتمان الجهد كله، واضعين بالتالي نهاية ما يسمى بالبحث الأول.

هؤلاء الباحثون فيما يدعى اليوم البحث عن يسوع التاريخي طبقوا الطرائق التاريخية المعروفة في زمانهم كي يميزوا بين الأسطورة والتاريخ في بيوغرافيا يسوع. كان رايماروس رائداً في «البحث عن يسوع التاريخي»، حيث قام بتطبيق عقلانية عصر التنوير على المزاعم المتعلقة

يسوع. وعلى الرغم من أن شفايتسر كان من بين أكبر المساهمين في هذا البحث، فقد قال إنه أنهى البحث عندما لاحظ أن نسخة الباحث عن يسوع بدت غالباً وكأنها تعكس أفكار الباحث الشخصية، وهي الملاحظة التي ذكرت أول ما ذكرت من قبل يوهانس فايس عام 1890، والتي ما تزال في البال في الأبحاث المتعلقة بيسوع (كما هي الحال في الدراسات التاريخية الأخرى) حتى اليوم.

أهم مفكري تلك المرحلة :

- هيرمان صمويل ريماروس (1694 -1768) – يعتبر أبا البحث عن يسوع التاريخي.
- توماس جيفرسون (1743 -1826) – رئيس الولايات المتحدة الذي كان يعتبر أخلاق يسوع الفائقة ومعجزاته لا تاريخية: الكتاب المقدس لجيفرسون.
- دافيد فريدريش شتراوس (1808 -1874) – أكّد أنه يمكن التعامل مع العناصر الخارقة للطبيعة في الأناجيل على أنها خرافة.
- أرنست رينان (1823 -1892) – أكد أن سيرة السيد المسيح يجب أن تكون مفتوحة أمام التحقيق التاريخي مثلها مثل سيرة أي رجل آخر تماماً.
- وليم فريده (1859 – 1906) – كتب حول مقولة السر المسياني في إنجيل مرقس. كذلك فقد كتب دراسة حاسمة عن رسالة تسالونيكي الثانية، التي جادل في لا موثوقيتها.

• ألبرت شفايتسر (1875 – 1965) – في عمله الهام البحث عن يسوع التاريخي (1906)، الذي تعمل على ترجمته ونقده اليوم، رأى شفايتسر في أخلاق يسوع مجرد «أخلاق مؤقتة» (طريقة حياة مفيدة فقط من أجل حقبة قصيرة قبل النهاية المروعة، أو الإسخاتون eschaton). طريقة الحياة هذه وجد أنها لم تعد مفيدة أو صحيحة. واعتماداً على استنتاجه هذا، هجر الباحث مسيرة لامعة في اللاهوت، وتحول إلى الطب، وذهب إلى أفريقيا حيث أسس مستشفى شهيراً في لامبارينيه Lambaréné بدافع احترامه لكافة أشكال الحياة.

• رودلف بولتمان – حدد آيات الإنجيل.

• مارتن ديبيليوس – دافع عن ذلك الشكل من النقدية المطبق على العهد الجديد. وقد أعاد بعض العلماء مؤخراً التأكيد على المنظور الأخروي الذي قدمه شفايتسر عن يسوع : انظر: Dale Allison , Jesus of Nazareth, Milenarian Prophet; Bart D. Ehrman, Jesus, Apolocyptic Prophet of the New Millennium. . بالمقابل، فقد نفى بعضهم، مثل سمينار يسوع، أصالة رسالة يسوع الأخروية، واصفين يسوع بحكيم التيه.

في وقت مبكر من القرن 19، ألقى الفيلسوف الوجودي سورين كيركيغارد Søren Kierkegaard (1813 – 1855)، بظلال من الشك على المشروع برمته، وذكر بشكل لا لبس فيه: «إنه بشكل مطلق فوق قدرة التاريخ إثبات أن الله، الأحد الموجود في كل مكان، عاش هنا

على الأرض باعتباره إنساناً فردياً. يمكن للتاريخ أن ينقل بنوع من الغنى شكلاً للمعرفة، ولكن هذه المعرفة تقضي على يسوع المسيح».

حقبة اللابحث:

نَقْد شفايتسر للأبحاث المتعلقة بيسوع التاريخي قوض بشكل كبير محاولة استمرت لمدة قرنين من الزمان لاكتشاف يسوع التاريخي الذي يتفق مع المبادئ العقلانية لعصر التنوير. واستمرت هذه الحقبة من أيام شفايتسر حتى محاضرة إرنست كيزمان Käsemann عام 1953 التي حملت عنوان، «مشكلة يسوع التاريخي ». يقترح بويد أربعة عوامل هامة تساهم في هذه المسألة:

1 – إن نقد شفايتسر للبحث القديم عن يسوع التاريخي «قدم يسوعاً لم يكن جذاباً للعقول المعاصرة»، في حين أنه في تأكيده على الدوافع اللاتاريخية للباحث قوض أركان الثقة في الفكرة القائلة إن المرء بإمكانه أن يكتب رواية موضوعية حول يسوع التاريخي.

2 – لقد اعتمد البحث القديم إلى درجة كبيرة على الثقة المزعومة بإنجيل مرقس كوثيقة مرجعية، لكن الثقة بهذه النظرية تزعزعت عبر التحليل النقدي لفريده المتعلق بالوضعية التاريخية لمرقص في كتابه، السرّ المسياني The Messianic Secret، الذي نشر أولاً باللغة الألمانية تحت عنوان Das Messiasgeheimnis in den Evangelien: Zugleich ein Beitrag zum Verständnis des Markusevangeliums عام 1901.

3 – ظهور النقدية الشكلانية، مع تأكيدها على النقل الشفوي وتطور الروايات المتعلقة بيسوع جنباً إلى جنب الالتزام برؤيا طبيعانية للكون، الأمر الذي أفاد في وضع جدار يبدو واضحاً أنه لا يتحرك للتشويه المسيحي البدئي بين نصوص الأناجيل ويسوع التاريخي.

4 – منظور لاهوتي جديد حول مسألة البحث عن يسوع التاريخي. وفي أعقاب مارتن كيهلر، صار مقبولاً على نحو متزايد أن «تقلبات البحث التاريخي بنتائجه شبه المحتملة لم تستطع قط أن تقدّم أساساً للإيمان». وهذا ما قاد إلى تمييز مقبول على نطاق واسع بين «يسوع التاريخ» و«مسيح الإيمان». كان الشخص الأبرز في فترة «اللابحث» هذه هو رودولف بولتمان. كان متشككاً بشكل مكثف بشأن يسوع التاريخي وجادل بأن الشيء الوحيد الذي يمكننا معرفته عن يسوع هو محض «تلكية من تلك thatness» (بالألمانية : Dass) حول وجوده التاريخي، وأشياء قليلة جداً أخرى. لكنه اعتبر أن الإنجيل نقل معنى أقوال يسوع في ثوب من «الأسطورية» العائدة للقرن الأول المتعلقة برؤيته للعالم وقال إنه يجب تجريد الإنجيل من هذه الأشكال الأسطورية ("demythologised") من أجل الأشخاص المثقفين علمياً الذين قد يلتقون برسالة يسوع. وعبر الاستعانة بفلسفة هايدغر الوجودية، كان بولتمان قادراً على التأكيد على

الاستجابة لرسالة يسوع، في حين يقلل من أهمية يسوع كشخصية تاريخية. خلال هذه الفترة مال العلماء البريطانيون إلى أن يكونوا أقل تشدداً من نظرائهم الألمان واحتفظوا ببعض الثقة في إمكانية «التوصل إلى معرفة مضمونة للشخصية التاريخية ليسوع».

البحث الجديد:

يدعى أيضاً البحث الثاني.

البحث الجديد كان حركة قصيرة الأجل ظهرت في خمسينيات القرن الماضي من أجل إحياء البحث عن يسوع التاريخي. وأكد هؤلاء العلماء على «القيود التاريخية»، على الرغم من عدم اليقين بأن هنالك بيانات تاريخية والتي كانت صالحة للاستعمال. وعلاوة على ذلك فقد تنازعوا بشأن مزاعم التأخر المتطرف لتوليف العهد الجديد ووصلوا إلى تحقيق توافق في الآراء بشكل عام بأنه من سنة 70 ميلادية تقريباً، مع أننا نعطي عقداً أو عقدين للأمام أو للخلف وذلك اعتماداً على النص محل البحث. وأكدوا بالمثل كيف أن تنقيح العهد الجديد نتج عن عملية حصلت بمرور الوقت، وهكذا ففي العهد الجديد طبقات نصية من وقت مبكر، تجمع حولها طبقات من وقت لاحق، وتبلور لاحقاً حولها طبقات وطبقات أخرى. واستخدم شكل إنجيل توما في كثير من الأحيان لإثبات وجود المصدر كيو Q، الذي كان شكله الافتراضي سيشبه إنجيل توما على أساس أنّ النصيّن ينتميان لفئة أناجيل الأقوال،

أي تلك التي لا تتضمن غير أقوال ليسوع. وفرضيات حول وجود نصوص المصدر الأصلي أصبحت مفيدة للبيانات ذات الصلة بيسوع التاريخي. هذه النصوص المبكرة تظل افتراضية ما لم تقدّم الاكتشافات في المستقبل إثباتاً لوجودها.

أهم الباحثين هنا:

- Gunther Bornkamm
- Ernst Käsemann
- James M. Robinson
- John A. T. Robinson
- Edward Schillebeeckx

البحث الثالث:

البحث في يسوع التاريخي قوي اليوم، وخاصة بفضل معرفة أفضل بيهودية القرن الأول، وولادة جديدة للبحثية الكاثوليكية في الكتاب المقدس، وقبول واسع للأساليب التاريخية والرؤى الاجتماعية والتحليل الأدبي.

مع تلاشي مدرسة بولتمان، أصبح من الواضح بشكل متزايد أن «البحث الجديد» كان من جانب واحد. فعلماء البحث الجديد لديهم جداول أعمال لاهوتية، وقد حاول بعضهم فصل يسوع عن اليهودية وعن البدع المسيحية الأولى. وعلى هذا النحو، فضلوا مصادر أرثوذكسية. ويبدو أن «البحث الثالث» ظهر أولاً بين العلماء الناطقين بالانكليزية، وحل التقصي السوسيولوجي محل التوجه اللاهوتي في

«البحث الجديد». لكن بالمقابل كان هناك، في وقت سابق أعمال مهمة كتبها العلماء اليهود مثل قسطنطين برونر (Our Christ: The Revolt of the Mystical Genius، النص الأصلي مكتوب باللغة الألمانية)، ويوسف كلاوزنر (Jesus of Nazareth، النص الأصلي مكتوب بالعبرية). السمات الثلاث الأنموذجية «للبحث الثالث» هي الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي، السياق اليهودي ليسوع (وخاصة استعادة الإيمان بالآخرة)، والاهتمام بالمصادر غير القانونية. وينقسم علماء «البحث الثالث» إلى أولئك العلماء الذين ينادون بالعودة إلى صورة يسوع غير الأخروية، وأولئك الذين يعتبرونه يقود حركة لاستعادة الأخروية.

يسوع غير الأخروي:

إحدى المجموعتين في «البحث الثالث» تدعي أن يسوع الناصري كان حكيماً يهودياً. وهؤلاء العلماء يميلون إلى التركيز على الطبقات النصية المبكرة في العهد الجديد من أجل بيانات لإعادة بناء السيرة الذاتية ليسوع التاريخي. والعديد من هؤلاء العلماء يعتمدون على نقد تحريري للوثيقة كيو Q الافتراضية وعلى الوسط اليوناني الروماني «للبحر المتوسط»، مقابل الوسط اليهودي، ويميلون إلى تقديم يسوع بوصفه فيلسوفاً جذرياً لأدب الحِكَم، الذي يسعى لزعزعة استقرار الوضع الاقتصادي القائم آنذاك. وبعض العلماء يعتمدون أيضاً على نقد النصوص غير القانونية من أجل طبقات نصوص مبكرة التي ربما تكون الدليل على يسوع. ومن أهم علماء هذه المجموعة:

- Marcus Borg
- John Dominic Crossan
- Alvar Ellegård
- Robert Funk
- Burton Mack
- Morton Smith

يسوع كنبي أخروي:

المجموعة الأخرى في «البحث الثالث» تقول إن يسوع كان نبياً جوالاً يعلن للناس رسالته الأخروية لكنها غير رؤيوية. بالنسبة لهؤلاء العلماء، يهودية يسوع هي أولاً وقبل كل شيء، وليس هنالك أي تأثيرات يونانية - رومانية مزعومة. بالنسبة لهؤلاء العلماء، فإن استخدام علم الآثار في إسرائيل وتحليل الأدب اليهودي التكويني، بما في ذلك المشناه، مخطوطات البحر الميت، العهد الجديد (كنص يهودي) ويوسيفوس، هو لإعادة بناء الآراء القديمة لليهود المتعلقة بالعالم في المقاطعتين الرومانيتين من القرن الأول في اليهودية والجليل — ومن ثم فقط يتقصى كيف يتناسب يسوع فيها. إنهم يميلون إلى عرض يسوع كبروتو - حاخام [حاخام بدئي]، والذي أعلن عن ملكوت السموات. إن التركيز على بيئة يسوع الاجتماعية بدلاً من التركيز على يسوع نفسه هو منهجية متعمدة لزيادة تأثير معايير علمية قابلة للتحقق لتقييم يسوع وللحد من تأثير معايير ذاتية شخصية.

علماء بارزون في هذه المجموعة:

- David Bivin
- Roy Blizzard

- Raymond E. Brown
- Bruce Chilton
- Haim Cohn
- James H. Charlesworth
- W.D. Davies
- James D. G. Dunn
- Robert Eisenman
- Harvey Falk
- David Flusser
- Paula Fredriksen
- Joachim Jeremias
- Ray Vander Laan
- Robert Lisle Lindsey
- John P. Meier
- Ron Moseley
- Jacob Neusner
- Peter Pokorny
- Ray A. Pritz
- Dwight A. Pryor
- E.P. Sanders
- Shmuel Safrai
- David H. Stern
- Geza Vermes
- Marvin R. Wilson
- Ben Witherington
- N. T. Wright
- Brad H. Young
- أعضاء مدرسة أورشليم (مجموعة من الباحثين المسيحيين الإسرائيليين واليهود).

مسح لدراسات يسوع التاريخي
من رايماروس إلى رايت

لقد كانت دراسة حياة ورسالة وشخص يسوع المسيح محور تفكير الكنيسة منذ نشأتها، لكن المئتي عام الأخيرة شهدت تغييراً ملحوظاً في كيفية نظر أولئك الذين هم داخل الكنيسة وأولئك الذين هم خارجها إلى يسوع و مفاهيم الكنيسة عنه. لقد جلب عصر التنوير تغييراً كاسحاً إلى العالم، لم تستثن منه الدراسات الدينيةً. فكلّ شيء، حتى يسوع نفسه، وقع فريسة للمنهجية والفحص النقديين، ويمكن إرجاع الحالة الراهنة لدراسات يسوع وخريستولوجيته إلى هذا التغيير الأساسي في طريقة تفكير العالم. إنّ الفترة الزمنية التي تغطيها هذه الدراسة تبدأ بعصر التنوير حتى يومنا هذا، حيث يتم استخدام اثنين من الباحثين كغلافي كتاب[1]. وبالطبع، لا شيء بسيط كما قد يبدو عليه الحال. فهيرمان صمويل رايماروس لم يفكر من فراغ؛ وقد أشارت الدراسة الحديثة إلى الاتجاهات والفترات التي سبقت عصر التنوير والتي أثرت

(1) اقترح علي الزمن الذي تغطيه هذه الدراسة الدكتور دانييل والاس، أستاذ دراسات العهد الجديد في سيمينار دالاس اللاهوتي. كما أنه يُنسب إليه الفضل في استخدام رايماروس ورايت كنقطتي بداية ونهاية للدراسة في محاكاة لعمل شفايتسر الرائع.

على تفكيره[1]. مع ذلك، فقد كان أول من رفع الصوت بشيء يختلف اختلافاً جوهرياً عن التقاليد والتعاليم المتلقاة في الكنيسة سبعة عشر قرناً ونصف القرن قبل أن تُنشر كتاباته، لذلك يُنظر إليه على أنه نقطة البداية في الدراسات النقدية الحديثة المتعلّقة بيسوع. وقد أصبح استخدام رايماروس كنقطة انطلاق مقبولاً بشكل عام باعتباره مجدياً ومفيدًا من الناحية التجريبية. بالمقابل، فإن ن. ت. رايت N. T. Wright هو نقطة النهاية لأنه يقوم بالأمور بطريقة إيجابيّة أكثر من كثير من العلماء الآخرين. فلديه احترام للتاريخ، عطش للاهوت، ومنهج سليم. وهكذا فبين هذين الرجلين توجد حقبة مهمة للفهم بالنسبة لأولئك الذين يرغبون بدراسة يسوع وتقديمه في القرن الحادي والعشرين.

تحذيران لا بدّ من الإشارة إليهما من أجل ما قبل البداية. أولاً، تسعى هذه الدراسة إلى تقديم نظرة عامة، وليس تحليلًا تفصيليًا. وسوف نعرض الاتجاهات الرئيسة الواضحة في هذه الحقبة، نحدّد اللاعبين الرئيسين، ونقدّم تقييمات مؤقتة للاتجاه المستقبلي لدراسات

(1) N. T. Wright, Jesus and the Victory of God, vol. 2 of Christian Origins and the Question of God, (Minneapolis, MN: Fortress Press, 1996), 13-6, يشير إلى عدم قدرة لاهوت الإصلاح على التعامل بشكل كافٍ مع حياة يسوع كعامل أساسي لتهيئة المسرح لرايماروس. Harvey K. McArthur, The Quest Through the Centuries: The Search for the Historical Jesus (Philadelphia: Fortress Press, 1966), 104، يشير إلى تأثير الربوبيين الإنكليز على رايماروس الذي كان قد اتصل به خلال زيارة له إلى إنكلترا.

يسوع. ثانيًا، يجب تعريف المصطلحات. فمن الناحية التقنيّة «دراسات يسوع التاريخية» و«الخريستولوجيا» ليسا حقلي دراسة متطابقين رغم أنهما يركّزان على الشخص ذاته. وتسعى دراسات يسوع التاريخي إلى شرح ونشر حياة هذا الإنسان وإعادة بناء لحياته وعمله البشريين اللذين يمكن اعتبارهما دقيقين وقابلين لأن يدافع عنهما نقديّاً؛ إنها ممارسة للتاريخ. من ناحية أخرى، تدرس الخريستولوجيا عمومًا معنى وأهمية موته وحياته الإلهية، حياة ما قبل الوجود، وقيامته، كما تشرحهما الكنيسة بمعزل عن التصنيف التاريخي للمعاني والحقائق الروحية والدينية؛ إنها ممارسة للاهوت. والمأزق الذي تتركه لنا هذه الحقبة والذي على أي شخص يتعمق في هذا المجال أن يشير إليه هو الطلاق الحالي في الدراسات الدينية بين يسوع التاريخي ويسوع الخريستولوجيا، بين يسوع التاريخ ومسيح الإيمان. يجب أن تسير دراسات يسوع التاريخية والخريستولوجيا يداً بيد؛ إنها مجرّد محاولة للتركيز والإيجاز مما يعتبر أنّه تطلّع فقط على طرف واحد من المعادلة.

نظرة عامة على دراسات يسوع التاريخية: من رايماروس إلى رايت

من منظور عمومي، انقسم تاريخ دراسات يسوع التاريخية خلال هذه الحقبة إلى فترات واضحة. وعلى الرغم من خطورة تحديد أي شيء في فترات زمنية صلبة، فقد أثبتت هذه التصنيفات أنها مفيدة في تتبع الاتجاهات الرئيسة للدراسات وأنماط الفكر في بحوث يسوع في المئتي سنة الماضية. وعلى الرغم من الاختلافات الطفيفة في التسمية،

فهذه الأحقاب تُعرّف وتُستخدم بشكل عام في كل عمل تقريبًا يتعلّق بهذا الزمن. وسيكون على منهجية هذا البحث شرح الاتجاهات والتوجهات العامة لكل حقبة من الوقت وكذلك اللاعبين الرئيسين الذين ساعدوا في تحديد تلك الحقبة. الحقب الرئيسة هي: البحث القديم، من 1778 إلى 1906؛ الحقبة الانتقالية أو «اللا -بحث»[1]، من 1906 إلى 1953؛ البحث الجديد، من 1953 إلى يومنا هذا؛ والبحث الثالث، من أوائل ثمانينيات القرن الماضي إلى يومنا هذا.

البحث القديم: (1778 – 1906)

أخذ أول بحث عن يسوع التاريخي اسمه، والذي يعرف الآن بشكل عام باسم «البحث القديم»، من العنوان الذي أُطلق على الترجمة الإنكليزية لكتاب ألبرت شفايتسر، Von Reimarus zu Wrede: eine Geschichte der Leben-Jesu-Forschung [من رايماروس إلى فريده: تاريخ أبحاث حياة يسوع]، الذي نشر عام 1906[2]. كان عنوان الترجمة الإنكليزية «البحث عن يسوع التاريخي» الذي صار يستخدم لنمط الدراسة ككل[3]. ربما كان هناك موقف أساسي واحد عريض يعمل خلال هذه الحقبة: فهم حقيقي ونقدي

(1) W. Barnes Tatum, In Quest of Jesus: A Guidebook (Atlanta: John Knox Press, 1982), 71.

(2))Albert Schweitzer, Von Reimarus zu Wrede: eine Geschichte der Leben-Jesu-Forschung (Tübingen: J. C. B. Mohr (Paul Siebeck), 1906).

(3) Albert Schweitzer, The Quest of the Historical Jesus: A Critical Study of Its Progress From Reimarus to Wrede (trans. W. Montgomery; London: A. and C. Black, 1910).

لتاريخ حياة يسوع يقود بعيداً عن الإيمان الذي تلقته الكنيسة المعاصرة[1]. وهذا الزمن كان عصر التنوير. فلم تعد تقبل العقيدة والوحي كمصادر لمعلومات دقيقة. فالتاريخ النقدي، المكرّس للمصادر، و«الموضوعية»، كان لهما الأولوية في تحديد الحقيقة. وشعر الباحثون الذين كانوا يعملون خلال هذا الزمن أن العمل التاريخي النقدي وحده يمكنه أن يكشف حقيقة من كان يسوع. وقد كانوا يعتقدون أنه يمكنهم تجريد الطبقات غير الدقيقة من التفسير والتي أضفاها تابعون لاحقون عليه [يسوع] والتي لم تكن تاريخية بأي حال من الأحوال. وكانت طريقة التحقيق هذه قد استخدمت في مجالات أخرى، وقد آن الأوان لتطبيقها على الكتاب المقدس. إن تطبيق هذه المنهجية التاريخية على مواد الإنجيل وشخصيته المركزية أسفر عن شيء مختلف تمامًا عما كان يُفهم عادة على أنه صحيح. وكان الاستنتاج الأساسي أن يسوع التاريخ لم يكن بأية حال من الأحوال مساوياً لمسيح الإيمان. وفي الواقع، فقد تحوّل يسوع التاريخ إلى مسيح الإيمان على يد أشخاص من الكنيسة في أحسن الأحوال، أو مخادعين في أسوأ الأحوال. وجنباً إلى جنب هذا الانتعاش ليسوع التاريخ الحقيقي، حمل البحث القديم معه الافتراض الضمني بأنّ لاهوت الكنيسة يجب أن

(1)Wright, Jesus and the Victory of God, 17.

يعزو رايت هذا الميل إلى رايماروس على وجه التحديد، ولكني أراه ممثلاً للحقبة بأكملها.

يتغير ليصحّح ذاته في ضوء هذا الوحي التاريخي الجديد[1]. وتوارى الإيمان بالمسيح على مر العصور في الكنيسة المبني على فهم تاريخي غير صحيح. في ضوء ذلك، يجب أن يتغير الاعتقاد الآن.

كانت نقطة الانطلاق لهذا البحث التاريخي هيرمان صمويل رايماروس. ولد هذا الباحث عام 1694، وكان أستاذاً للغات الشرقية في هامبورغ حتى وفاته عام 1768. ومن المثير للاهتمام بما فيه الكفاية، أنه لم يجعل آراءه حول المسيحية معروفة بشكل عام خلال حياته. فلم تُعرف آراء رايماروس الخاصة لعامة الناس إلا بعد نشر أعماله بعد وفاته على يد غوتهولد إفرايم ليسينغ في كسرات بين الأعوام 1774 إلى 1778. وكان الجزء الأهم هو السابع، الذي نُشر عام 1778، تحت عنوان «Von dem Zwecke Jesu und seiner Jünger» [عن غرض يسوع وتلاميذه]، والذي تُرجم بشكل مختلف إلى الإنكليزية بعنوان «حول نوايا يسوع وتلاميذه»[2] أو «هدف يسوع وتلاميذه»[3]. هذا حقاً هو الجزء الذي بدأ البحث عن يسوع التاريخي.[4]

في «عن غرض يسوع وتلاميذه» افترض رايماروس اختلافاً كبيراً

(1) Raymond E. Brown, An Introduction to the New Testament (The Anchor Bible Reference Library, ed. David Noel Freedman; New York: Doubleday, 1997), 819.

(2) Charles H. Talbert, ed., Fragments (trans. Ralph S. Fraser; Philadelphia: Fortress Press, 1970).

(3) Hermann Samuel Reimarus, The Goal of Jesus and His Disciples (trans. George Wesley Buchanan; Leiden: Brill, 1970).

(4) Tatum, 68. Colin Brown, "Quest of Historical Jesus," in Dictionary of Jesus and the Gospels(ed. Joel B. Green, Scot McKnight and I. Howard Marshall; Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1992), 326,

بين يسوع كما كان في الواقع وبين ما قدّمه تلاميذه على أنه هو. وتقييم رايت لرايماروس مفيد كملخص:

كان يسوع مصلحًا يهوديًا والذي أصبح على نحو متزايد أكثر تعصباً وتسييساً؛ وفشل. وصرخة النبذ على الصليب كانت إشارة إلى نهاية توقعه بأن إلهه كان سيعمل لدعمه. فعاد التلاميذ مرة أخرى إلى نموذج مختلف من المسيانية، حيث أعلنوا أنه 'قام من بين الأموات'، وانتظروا إلههم كي يضع نهاية للعالم. لكنهم أيضاً أصيبوا بخيبة الأمل، مع ذلك، فبدلاً من البكاء بنوع من اليأس، أسسوا الكنيسة الكاثوليكية الأولى، والتي قد تبدو لرايماروس وكأنها تشبه كثيراً الشيء ذاته.[1]

كان يسوع ثورياً والذي حاول وفشل؛ وكان التلاميذ مجموعة من المخادعين والذين نشروا وجهة نظر ليسوع كانوا يعلمون أنها مزيفة. وقد نبش رايماروس من ذهنه يسوعاً تاريخياً مناقضاً لمسيح الإيمان، وكان يأمل من ثم أن يكون ذلك موت المسيحية كما كان يعرفها[2].

بمجرد أن بدأ، تواصل البحث عن يسوع التاريخي بشكل جدي. وربما كان دافيد فريدريش شتراوس أشهر باحث في هذه الحقبة. فقد ولد عام 1808، وشغل العديد من المناصب التعليمية في أوائل حياته.

---

(1)Wright, Jesus and the Victory of God, 16-7.

(2)Ibid., 16.

ثم تمّ استدعاؤه إلى زيوريخ كأستاذ في علم اللاهوت عام 1839، لكن بسبب معارضة المسيحيين المحافظين له لم يُسمح له بتولي منصبه. فعاش كاتباً حرًا بعد ذلك حتى وفاته عام 1874.(1) كتب شتراوس أعماله الضخمة Das Leben kritisch bearbeitet ،Jesu [حياة يسوع، تحرير نقدي](2)، عندما كان عمره 28 عامًا. في هذا العمل، رفض بكل صراحة المبدأ ما فوق الطبيعي وما فوق العقلانية ووصف طريقة تعامل الكنيسة مع المعلومات التاريخية عن المسيح على أنها أسطورة. قَبِل شتراوس بإطار تاريخي مجرّد لحياة يسوع، ـ بما في ذلك أحداث مثل المعمودية على يد يوحنا المعمدان، تعاليمه وصنعه لتلاميذه، فضلاً عن موته بسبب عدائية الفريسيين ـ لكن الكنيسة المبكّرة توسّعت في هذا وحوّلت يسوعاً التاريخي إلى شيء لم يكنه قط من خلال عملية ذات شقين. أولاً، فسّرت الكنيسة أحداث حياة يسوع كتحقيق للنبوءة والعقيدة والتوقّعات في العهد القديم، موطدة بذلك أسسه كمسيا. ثانياً، وفقاً لسمعته كمسيّا، خلقت الكنيسة حوله ميثات وأساطير من خلال وسيلة الاعتقاد المجتمعي. «وهكذا تحول يسوع التاريخي إلى المسيا الإلهي على يد الأتقياء، طريق العبادة التقية، لكن الخاطئة، للكنيسة.»(3) ومن ثم، وفقاً لشتراوس، دُفن يسوع التاريخي تحت

(1)Werner Georg Kümmel, The New Testament: The History of the Investigation of Its Problems (trans. S. McLean Gilmour and Howard C. Kee; Nashville: Abingdon Press, 1972), 492.
(2) David Friedrich Strauss, Das Leben Jesu, kritisch bearbeitet (Tübingen: C. F. Osiander, 1835-1836).
(3) Brown, "Quest," 328.

طبقات عميقة من الأسطورة، إلى درجة أن سيرة حياته كان من المستحيل أن تُكتب تقريباً.

في أعقاب شتراوس جاء عملاق حقيقي في الإيمان المسيحي وصاحب بصيرة ثاقبة والذي يعتبر أنه العلامة التي تميّز نهاية البحث القديم واتجاه جديد لدراسات يسوع التاريخية. كان ألبرت شفايتسر حقاً عبقرية في حد ذاته. وقد قام بنشر كتابه الرائع، Von Reimarus zu Wrede: Eine Geschichte der Leben-Jesu-Forschung [من رايماروس إلى فريده: تاريخ أبحاث حياة يسوع] عام 1906 عن عمر يناهز 31 عامًا. وهنا لم يثبت نفسه فقط كعالم كتابي مؤثر، بل تميّز أيضاً في مجال الموسيقى والطب. ومن المعروف أن الخمسين سنة الأخيرة من حياته قضاها كطبيب في إرسالية في إفريقيا(1). وقد ساهم عمله في دراسة يسوع التاريخي بطريقتين. أولاً، لقد أعلن أن البحث الأصلي يجب أن يكون خلواً من النتائج. وفي تقديره، فقد كانت الحياة الليبرالية في القرن التاسع عشر مجرد انعكاسات لأولئك الذين سعوا إلى يسوع التاريخي. وثانياً، لقد تبنّى القضية معهم للتقليل إلى الحدّ الأدنى أو إهمال البعد الإسكاتولوجي لأقوال وأفعال يسوع في محاولة لجعله أكثر عمومية. شعر شفايتسر أن المفتاح لفهم يسوع هو إسكاتولوجيته، علم الأمور الأخيرة. لكن لا يمكن فصل يسوع عن السياق الإسكاتولوجي

(1) Kümmel, 490.

الذي يتشاطره مع اليهودية التي كانت في أيامه وان يُفهم بطريقة معقولة. تكمن المشكلة في وجهة نظر شفايتسر في الشكل المتطرف للمذهب الأبوكاليبتي الذي أعتقد أن يسوع كان يمتلكه. وتقييم رايت مفيد في هذه المرحلة:

كان [أي، يسوع] يُعتقد أنه المسيا بينما ظن النظّارة أنه قد يكون إيليا؛ وتوقع بثقة أن إلهه سيتدخل ويضع نهاية للعالم خلال فترة رسالته. وكان يحلم بحلم الملكوت المستحيل، أي الوصول إلى نهاية تاريخ العالم. وعندما لم يحدث هذا، ورفضت عجلة التاريخ العظيمة أن تتحول، ألقى بنفسه عليها، فسُحق في العملية، لكنه نجح مع ذلك في تحويلها. وهكذا أخذ على عاتقه الكارثة العظيمة التي كانت ستضرب إسرائيل والعالم. يتشكّل الجسر بين حياته التاريخية والمسيحية من خلال شخصيته: إنه يسمو فوق التاريخ، ويدعو الناس إلى متابعته في تغيير العالم. إن فشل آماله بالذات جعلتهم يتحررون من القيود اليهودية، ليصبحوا، في مظهرهم الجديد، أمل العالم[1].

وهكذا أوقف شفايتسر «البحث القديم» بشدة إلى درجة أنه لم يكن ليستمر لمدة خمسين سنة أخرى، ومع ذلك فقد مهد الطريق إلى «البحث الثالث» الذي لم يكن ليبدأ إلا بعد مرور 75 عامًا على كتاباته وبعد خمسة عشر عامًا من وفاته عام 1965.

---

(1) Wright, Jesus and the Victory of God, 19.

الحقبة الانتقالية (1906 - 1953):

شكّلت الحقبة التي أعقبت مباشرة عمل شفايتسر الحاسم نوعاً من التوقف عن دراسة يسوع التاريخي. حتى أنه تمت تسميتها بحقبة «اللا - بحث»[1]. وكان شفايتسر قد انتقد بفعالية للغاية البحث القديم فيما يتعلق بميوله الشمولية وافتقاده لرؤية أبوكاليبتية بحيث أوقف السعي العلمي إلى يسوع التاريخي. وكانت الشكوكية التاريخية السمة الرئيسة لهذه الحقبة والتي نجد خلاصة لها عند رودولف بولتمان[2]. ووصف له ولآرائه كاف لفهم هذه الحقبة.

عاش بولتمان من عام 1884 حتى عام 1976. وخلال حياته تقلّد العديد من المناصب التدريسية في كلّيات مختلفة في ألمانيا. وهو الأكثر شهرة لمساهماته في تشكيل نقديّة مفصّلة في عمله Die Geschichte der synoptischen Tradition [تاريخ التقليد الإزائي][3]. ساهم بولتمان في هذه الفترة الانتقالية بين البحث القديم عن يسوع التاريخي والبحث الجديد عنه من خلال تركيز انتباه التاريخ على الكنيسة الأولى، وليس على حياة يسوع. لا توضح مواد الأناجيل حياة يسوع، بل الوضع

(1) Tatum, 71.

(2) لأسباب خارجة عن إرادتنا، فشلنا في نشر كتابنا عن بولتمان، المسيح والميثولوجيا، في دمشق: عمل تناول بالتفصيل فكر بولتمان وعلاقته بهايدغر.

(3) Rudolf Bultmann, Die Geschichte der synoptischen Tradition, 2d ed. (Forschungen zur Religion und Literatur des Alten und Neuen Testaments, vol. 29; Gttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1931). Rudolf Bultmann, History of the Synoptic Tradition (trans. John Marsh; New York: Harper, 1963).

الحياتي للكنيسة. فقد كانت كلمات يسوع في الواقع كلمات الوعاظ المسيحيين الذين كانوا يتحدّثون باسمه، فالمسيح الذي تم التبشير به هو مسيح الإيمان، وليس يسوع التاريخ. وبسبب هذه الخصائص لوثائق العهد الجديد، لا يمكنها أن تقول غير القليل عن حياة يسوع؛ والمواد لجمع هذه المعلومات لم تكن ببساطة موجودة في العهد الجديد. وعلى الرغم من هذه المشكلة التاريخية، لم ير بولتمان حاجة إلى تغيير لاهوت الكنيسة بالحد الأدنى بسبب أية دراسة أو معرفة تاريخيتين. كان لاهوت الكنيسة في موضعه بسبب استجابة ليسوع، وليس بسبب الحقيقة التاريخية، وكان بإمكانه أن يقف كما هو من دون أي تحد للتغيير من الأحكام التاريخية. يرمي يسوع بدعوة وجوديّة إلى القرار على حياة كل من يمسّه، ويجعل الانفصال التاريخي بين حياته وإيمانه هذا المبدأ الوجودي الأقوى في فكر بولتمان.[1]

البحث الجديد (1953 إلى الحاضر):

كان من الصعب التغلب على قوة تفكير بولتمان ولاهوته، لكن الأمر ليس مستحيلاً. فقد خففت المرحلة التالية من التحقيق الجدي في يسوع التاريخي من شكوك بولتمان إلى حد ما، لكنها لم تغيّر على أي مستوى أساسي الازدراء واسع النطاق للسجل التاريخي الوارد في مواد العهد الجديد. ويشترك هذا التجديد للبحث القديم في العديد من خصائص سلفه ويحمل الكثير من تأكيداته إلى أبعد من ذلك بكثير.

(1) Brown, "Quest," 334.

بدأ البحث الجديد في 23 تشرين الأول -أكتوبر 1953 عندما ألقى إرنست كيزمان محاضرته حول «مشكلة يسوع التاريخي» للم شمل طلاب بولتمان. والمثل والطرائق التي اعتمدها البحث الجديد اختلفت نوعًا ما عن فكر بولتمان. فقد انتقد كيزمان الانفصال الكامل لبولتمان عن التاريخ والإيمان، مؤكداً أن يسوع يجب أن يكون متجذراً في التاريخ إلى حدٍ ما لتفادي الذوقانية [(1)] Docetism التي كانت ستسمح

(1) في المسيحية، مذهب منشق يزعم أن يسوع المسيح ظهر على شكل شبح، وأنه لم يمتلك جسداً حقيقياً أو طبيعياً، وأن صلبه لم يكن غير وهم. ظهر هذا المذهب في القرن الثاني للميلاد، واستمر لفترة غير معروفة، وربما أنه توهج من جديد في القرن الثاني عشر للميلاد. اشتقت الأيديولوجيا اسمها من دوكو اليونانية، بمعنى " يبدو أو يظهر ». والذوقانية لها روابط قوية بالأفكار الغنوصية في الشرق الأوسط في ذلك الزمان، ومن ضمنها الفالنتيانية. وهي تفسّر أن المادّة تمثّل الشر، والروح تمثّل الخير. لذلك فإن جسد يسوع المادي لم يكن غير وهم يصعب على البشر مشاهدته. الشيء ذاته ينطبق على صلبه، فيسوع لم يكن مادة، فهو روح نقيّة ولا يمكن أن يموت مادياً. بالتالي، فقد تم إنكار قيامة يسوع وصعوده إلى السماء. إن مفهوم يسوع دون جسد طبيعي يبدو معروفاً جيداً في المراحل الأولى من يسوع -اليهودية، المذكورة في رسالتي يوحنا (1 يوحنا 4: 1 -3؛ 2 يوحنا 7.) في أحد الأناجيل المنحولة، المسمى إنجيل بطرس، نجد المفاهيم الأساسية للمذهب الذوقاني .أحد التنويعات على المذهب الذوقاني تؤكّد أن المسيح ولد دون مشاركة للمادة. تنويعة أخرى أقل صرامة للذوقانية تقول إن يسوع كان جسداً إثيرياً وسماوياً لكنه يختلف عن التيار الرئيس في الذوقانية فيما إذا كان يشترك مع المسيح بما هو فعلي من أفعال ومعاناة.

==

بتشكيل المسيح على الرغم من إرادة الباحث.[1] وكان هذا نقدًا صحيحًا والذي كان البحث الجديد محقًا في اتخاذه. مع ذلك، بقي البحث الجديد على المنوال ذاته مثل سابقيه بطرق عديدة. فكما فعل بولتمان، اعتمد هؤلاء الذين هم ضمن «البحث الجديد» بشكل كبير على أقوال يسوع كمواد أولية، متجاهلين بشكل عام الأحداث المحيطة بحياته كمواد جديرة للتعرّف على يسوع التاريخي[2]. ويستفيد «البحث الجديد» بالكامل من الأدوات النقدية مثل نقدية المصدر ونقدية الشكل اللذين يؤكد رايت «أنهما تسببتا بصعوبة كبيرة عندما يتعلق الأمر بإعادة البناء التاريخية الجادة[3].» ويملك «البحث الجديد» عمومًا نظرة متطرفة للأبوكاليبتية فيرفضها على النقيض من شفايتسر الذي قبل بها.

الذوقانية هي واحدة من المذاهب المسيحية الانشقاقية الأولى. وقد تمت مهاجمتها بعنف من قبل السلطات المسيحية البارزة، مثل الأسقف أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثاني للميلاد. لقد رفضت المجامع المسيحية الأولى وكذلك التيار الرئيس في المسيحية الذوقانية، لكنها لم تمت إلا ببطء في الألف الأولى للميلاد. مع ذلك، فإن حركات شاذة مثل الكاثارية Cathartic كانت ستعيد إشعال شموع الذوقانية ومفاهيمها في أوربا القرن الثاني عشر.

فهم الإسلام ليسوع يحمل متشابهات كثيرة مع الذوقانية، وربما يكون أخذ فهمه له من اللاهوت الذوقاني. في القرآن، 4: 156، يقال: " وما قتلوه وما صلبوه لكن شبه لهم ".

(1) Ibid., 336.
(2) Wright, Jesus and the Victory of God, 24.
(3)Ibid.

ينظر البحث الجديد بشكل عام إلى الكتاب المقدس بطريقة مشابهة لفيلهلم فريده حيث أن غالبية إطار العمل ومحتواه يمكن تتبع آثارها في الكنيسة الأولى فهو لا جدوى منه في تأسيس أي نوع من الحقائق التاريخية[1].

أشهر تعديل على البحث الجديد هو سيمينار يسوع. ومترئساً إياه روبرت فونك، فقد هدف سيمينار يسوع إلى القيام بتحليل جاد وعلمي لمواد العهد الجديد بهدف تحديد من كان يسوع حقاً، وتحرير الكنيسة من التفسير غير الصحيح الذي تم تناقله عبر القرون[2]. وقد حمل كثير من الباحثين[3] على عاتقهم مسألة التحليل الجدّي، وهكذا

(1) William Wrede, Das Messiasgeheimnis in den Evangelium: zugleich ein Beitrag zum Verstndnis des Markusevangeliums (Gttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1901); William Wrede, The Messianic Secret (Library of Theological Translations, trans. J. C. G. Greig; Cambridge: J. Clarke, 1971).

خلال الفترة التي سبقت كتابة فريده Wrede، اعتبر معظم العلماء أن مرقس هو أول إنجيل مكتوب وأن المؤلف قد حفظ المعلومات التاريخية. هاجم فريده هذا من خلال التأكيد على أن كل مرقس كتب ضمن الإطار اللاهوتي للسر المسياني؛ فقد لفّق المؤلف السرّ المسياني لشرح كيف تم الإقرار بيسوع باعتباره المسيا فقط بعد وفاته، وليس خلال حياته. وهكذا أزال فريده الدعم الأخير الذي كان للدراسة الحديثة لتأكيد أن العهد الجديد يحتوي على أي كتابات دقيقة تاريخياً.

(2)أفضل كتابات السيمينار، هي:

W. Funk, Roy W. Hoover and The Jesus Seminar, The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1993), and Robert W. Funk and The Jesus Seminar, The Acts of Jesus: The Search for the Authentic Deeds of Jesus (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1998).

(3) E.g., Luke Timothy Johnson, The Real Jesus: The Misguided Quest for the Historical Jesus and the Truth of the Traditional Gospels (San Francisco: Harper Collins, 1996), and Richard B. Hays, "The Corrected Jesus," First Things 43 (May 1994), 43-48.

لا بد من ذكر نقطتين رئيستين هنا. الأولى، أن سيمينار يسوع يتوافق مباشرة مع شكوكية كلّ من بولتمان وفريده. ولا يحتاج المرء أن يقرأ كثيراً في كتابات السيمينار لإيجاد نصوص تتعارض مع تاريخية وثائق العهد الجديد. وقد نقل هذا الموقف العام عبء الإثبات إلى أولئك الذين يدعون التاريخية. وهذه الشكوك واضحة في نتائجها: فالسيمينار لا يصنف على الإطلاق كثيراً من الأقوال أو الأفعال التي تُنسب ليسوع على أنها ما قاله يسوع بالضبط أو فعله، لذلك لا يتبقى سوى القليل جداً من المعلومات التي يمكن الاستناد إليها في إعادة بنائهم التاريخية. الثانية، يمكن أن يُتهم أن السيمينار يعمل ببساطة لإثبات استنتاجات ضائعة حول من كان يسوع حقاً. ففي مقدّمة الأناجيل الخمسة، يقدّم المؤلفون العديد من «القواعد» التي يقصد بها سطحياً أن تكون مفهومة كحقائق موضوعية والتي توجه تحقيقاتهم[1]. مع ذلك، فإن الكثير من هذه «القواعد»، بعيد كل البعد عن البحثية الحديثة، وهي تمثل ببساطة انحياز السيمينار. وعلى سبيل المقارنة، فإن إحدى هذه القواعد تتعلق بتعاليم يسوع: «إن صور يسوع عينية وحيوية، وأقواله وأمثاله مجازية بشكل عادي ودون تطبيقات صريحة»[2]. قد يجادل قليلون بدقة هذا النص. مع ذلك، ففي الصفحة ذاتها تماماً نجد

(1)صاغ سيمينار يسوع واعتمد "قواعد للأدلة "لتوجيه تقييمه لتقاليد الإنجيل Funk et al., The Five Gospels, 16.

(2) Ibid., 32.

قولاً آخر حول قيمة مشكوك فيها للغاية: «يسوع لا يدعي أنه المسموح، المسيا.»[1] وجعل هذا الادعاء «كقاعدة» والتي تهدف إلى توجيه التحقيق إنما هو افتراض مسبق الذي يمكن اعتباره استنتاجاً تم التوصل إليه قبل بدء التحقيق. وسيظهر تحقيق سريع في الأبحاث الأخيرة حول أقوال يسوع ورؤيته لنفسه أن هذا السؤال لم تتم الإجابة عليه بأي حال من الأحوال، وليس هناك إجماع أكاديمي عليه. وبافتراض أن استنتاجاتهم تمثل خللاً خطيراً في تحقيق السيمينار، فإن الأمر يثير الشكوك حول قيمة عملهم. وبالنظر إلى هذه التقييمات الموجزة، ليس من الصعب رؤية كيف توصل السيمينار إلى استنتاجاته: لقد كان يسوع رجلاً حكيماً، حكيم كان متميزًا لكن ليس بطريقة إعجازية، أبوكاليبتية، وخريستولوجية.

البحث الثالث (من بداية ثمانينيات القرن الماضي إلى يومنا الحالي)

يتميز البحث الثالث عن غيره من البحوث ليس في زمنه بمثل ما يتميّز في فكره وطريقته. وهذه المرحلة ليست سهلة التحديد لأنها لا تحتوي على نقطة انطلاق معينة، والباحثون الذين يندرجون تحت هذا العنوان غالباً ما يتباعدون بشكل كبير في الأمور الأخرى. وعلى الرغم من هذا التنوع هناك اتجاهات معينة يمكن تحديدها. ففي أحد التيارات، يحاول الباحثون في «البحث الثالث» أن يأخذوا التاريخ بجدية من خلال

(1) Ibid.

وضع يسوع بمنتهى المصداقية والمباشرية ضمن سياقه الإسكاتولوجي اليهودي. ويرفض هذا البحث التشكيك التاريخي للبحث الجديد ويتبنى موضوعة شفايتسر المركزية حول حياة يسوع بينما يقوم في الوقت ذاته بتنقيتها وجعلها أكثر دقة وتمثيلاً لليهودية في أيام يسوع[1]. في سياق آخر، وبالتوازي مع العمل التاريخي الذي يركّز على الإسكاتولوجيا، نجد مجالاً جديداً للدراسة يسمى عادة الخريستولوجيا الأولى. وتلقي الخريستولوجيا الأولى بشبكتها على نحو أوسع من ذلك الذي تلقيه دراسات يسوع التاريخية لأنها تنظر أيضًا إلى التطور اللاهوتيّ الذي يحدث في كتابات العهد الجديد أيضًا. مع ذلك، فهي شبيهة بها لأنها تبحث عن تقصّي آثار جذور المفهوم المسيحي حول مسيح الإيمان من خلال كتابات العهد الجديد بقدر ما كان ممكناً العودة إلى الوراء من الناحية التاريخية، حتى في حياة يسوع نفسه وفهمه[2]. وربما يكون من المفرط في التبسيط الحديث بهذه الطريقة، لكن البحث الثالث يحتوي على اتجاهين عريضين، أحدهما يتناول التاريخ والذي هو دقيق من الناحية اللاهوتية، والآخر يتناول اللاهوت والذي هو دقيق تاريخياً. هنالك الكثير من التداخل، لكن هنالك الكثير من العمل التكميلي أيضاً.

(1)Wright, Jesus and the Victory of God, 83-9.

(2) Martin Hengel, Studies in Early Christology (Edinburgh: T&T Clark, 1995), ix.

ن. ت. رايت لاعب رئيس ضمن فريق البحث الثالث ويستحق الملاحظة. وهو حالياً عميد كاتدرائية ليشفيلد Lichfield في ستافوردشاير بإنكلترا ولديه خطط للعودة إلى الحياة الأكاديمية قريباً.[1] وقد كتب العديد من الأعمال المشهورة، ومساهمته الكبرى في الكتابة البحثية هي عمل من مجلدات متعددة في طور الإنجاز حالياً يحمل عنوان Christian Origins and the Question of God. [أصول المسيحية ومسألة الله]. وقد تم بالفعل نشر مجلدين من هذا العمل، هما The New Testament and the People of God [العهد الجديد وشعب الله]، [2] وJesus and the Victory of God. [يسوع وانتصار الله]. يقدم رايت مساهمة إيجابية في دراسات يسوع لأنه فكّر بوضوح من خلال الأسئلة التاريخية التي يجب الإجابة عليها من أجل الحصول على صورة دقيقة حول من كان يسوع وماذا فعل. وفي رأيه، يجب أن يكون هدف الباحث الرئيس هو تحديد كيفية تقدّم التاريخ «من اليهودية التعددية التي كانت موجودة في العالم اليوناني -الروماني عام 10 قبل الميلاد إلى اليهودية التعددية والمسيحية في عام 110 ميلادية[3].» وللقيام بذلك، يقترح رايت خمسة أسئلة والتي يجب الإجابة عليها: أولاً، كيف يتناسب يسوع مع اليهودية في أيامه؟ ثانياً، ما هي أهدافه؟ ثالثاً،

(1) Tim Stafford, "N. T. Wright: Making Scholarship a Tool for the Church," Christianity Today43, no. 2 (8 February 1999), 42

(2) N. T. Wright, The New Testament and the People of God, vol. 1 of Christian Origins and the Question of God (Minneapolis, MN: Fortress Press, 1992).

(3)Wright, Jesus and the Victory of God, 90.

لماذا مات؟ رابعًا، كيف نشأت الكنيسة الأولى، ولماذا اتخذت الشكل الذي كانت عليه؟ خامساً، لماذا الأناجيل هي على ما هي عليه؟ ينبغي السماح لرايت بالتحدث عن نفسه لتلخيص وجهات نظره. وسياق هذا النص المستل من أحد أعماله هو صحة قيامة يسوع:

إذن، تصبح أهمية يسوع مختلفة بشكل جذري اعتمادًا على قبول أو رفض شهادة الكنيسة الأولى على قيامته. علاوة على ذلك، حتى إذا قبل المرء بهذا الشاهد، فهذا يعني أشياء مختلفة جذريًا اعتمادًا على نظرة المرء إلى يسوع قبل القيامة. فلو كان شخصًا ذوقانيّاً، فالكينونة الإلهية لما قد سيكون لاهوتاً أرثوذكسياً على نحو كبير، فإن قيامته كانت ستثبت ببساطة الخلاص الذي كشفه وعرضه. كان ذلك سيثبت أنه كان، بعد كل شيء، «إلهاً». . . . إذا كان معلمًا للحقائق الخالدة، المعلن للنداء الخالد للقرار، أو الرائد لطريقة جديدة للكينونة ـ في ـ العالم، فإن قيامته كانت ستفترض ربما البرنامج الذي صاغه؛ وعلى الرغم من ذلك، فمن المثير للاهتمام، أن أولئك الذين بنوا شخصيات -يسوع على مثل ذلك لا يميلون إلى إدراج القيامة في مخططاتهم، إلا ككناية عن صعود الإيمان المسيحي. لكن إذا كان نبيًا\مسيا إسكاتولوجياً يعلن عن الملكوت والموت من أجل تحقيقهما، فإن القيامة كانت ستعلن أنه نجح من حيث المبدأ في مهمته، وأن إعادة تعريفه السابقة للملكوت القادم أشارت إلى مزيد من المهمات في انتظار أتباعه، ألا وهي تنفيذ ما حققه. يسوع، في نهاية الأمر، كيهودي طيب من القرن الأول، كان يؤمن بأن إسرائيل تعمل بالنسبة لبقية العالم

كالمفصل بالنسبة للباب؛ وما فعله لإسرائيل، فعله من حيث المبدأ للعالم كله. ومن المنطقي، في إطار أهدافه كما درسناها، أن نفترض أنه تصوّر أن أتباعه أصبحوا بدورهم رسلاً إيشعياويين، أنوراً للعالم.[1]

المناطق الرئيسة من الحاجة في هذا المنعطف:

بعد مسح المشهد الطبيعي، من المعقول تماماً أن نرسم اتجاهنا. إلى أين يذهب يسوع للدراسة؟ ما هي الأفكار والآراء الرئيسة التي ستدحض، يتم التأمل فيها، أو تقبل؟ هنا أقدم ثلاثة مجالات واحد للحاجات واثنان للحذر.

الحاجات:

تستخدم الكثير من الدراسات النقدية الحديثة حول يسوع التاريخي أعمالًا غير قانونية من أجل الحصول على معلومات تاريخية. فعلى سبيل المثال، يعتقد سيمينار يسوع أن إنجيل توما هو مصدر مستقل للمعلومات عن يسوع[2]، وهم يعيدون تاريخه إلى زمن أقدم حتى من زمن تأليف مرقس[3]. يصبح إنجيل توما محوراً حاسمًا في إعادة بنائهم

(1) 35 Ibid., 659-60.

(2) Funk et al., The Five Gospels, 16.

(3) Ibid., 18.

على الرغم من أن النص لا يؤرخ هذه الأعمال على وجه التحديد، فإن الرسم البياني على ص. 18 يوضح العلاقات العامة. يظهر أنجيل توما مستقلًا تمامًا عن الأناجيل القانونية ، ويتم وضعه في حوالي عام 50 م. ويظهر إنجيل مرقس أيضًا كمصدر مستقل، ولكن يتم وضعه في العام 70 تقريبًا. هذا الرسم البياني يفرد مكاناً مهماً يضفيها سيمينار يسوع على إنجيل توما.

التاريخية بل ربما يحدّد المعيار الذي يُحكم به على أعمال أخرى، حتى الأعمال القانونية. لكن هل تقييمهم صحيح؟ يجب أن تتعامل البحثية الإنجيلية بجدية مع تأريخ الكتب غير القانونية مثل إنجيل توما وعلاقتها بالمواد القانونية. فتماماً كما أعاد ج. ب. لايتفوت بدقة تاريخ رسائل إغناطيوس السبع إلى الحقبة الأولى من المسيحية ووجد كونستانتين فون تشيندروف أدلة نصية قديمة على نص العهد الجديد فسقطت من ثم إعادة البناء الهيغلية لتكوّن المسيحية التي قام بها ف. سي. باور، يحتاج العلماء ربما لأن يأخذوا وقتهم في العمل على هذه المواد من أجل تأريخها بالعلاقة مع المواد القانونية وتقييم أصولها النصية؛ وقد تكون النتائج مجرد درامية.

استخدمت الطريقة التاريخية الأساسية المستخدمة منذ خمسينيات القرن العشرين معايير الأصالة. وهذه عبارة عن قواعد مختلفة تستخدم لتحديد ما إذا كان شيء أكثر أو أقل احتمالاً أن يكون تاريخياً أو أنه ليس كذلك. وهي تشمل معايير عدم التشابه، التماسك، الشهادات المتعددة، والإحراج. والقضية المتعلّقة باستخدام هذه المعايير في ضوء العمل التاريخي كانت قد اقترحت من قبل البحث الثالث. وعلى سبيل المثال، ينصّ معيار عدم التشابه على أن التقاليد المختلفة التي هي من اليهودية والتي تأتي من أيام يسوع والكنيسة المسيحية أنّ أسسها من المرجح أن تكون أصلية. ويتعارض هذا مباشرة مع الاتجاه الذي ينظر ليسوع على أنه ثابت بإحكام ضمن يهودية أيامه ومرتبط مباشرة بالكنيسة التي أسسها. لكن يجب تقييم معايير الأصالة باستمرار وإعادة

صقلها وتنقيحها. يجب أن نتعلم كيف تتأثر هذه المعايير بالعمل التاريخي الحقيقي. وهذا لا يعني أننا يجب أن نرفضها لأنها خارج نطاق السيطرة. بدلاً من ذلك، ينبغي للباحثين أن يجعلوها أكثر فائدة كلما تم تطوير طريقة تاريخية أفضل.

الاتجاه المقلق في مسح دراسات يسوع التاريخية في هذه الحقبة هو المطالب التي تقدّم للكنيسة كي تتغيّر في ضوء إعادة البناء التاريخية المتقدمة. كان هذا أجندة محددة للبحث القديم وما زال أحد أجندات البحث الجديد. لكن هذه المطالب تفترض أن يسوع التاريخي الذي تم العثور عليه هو الصورة النهائية ليسوع فوق كل الصور الأخرى. لكن هل يسوع التاريخي مساوٍ للمسيح في ملئه؟ يجب أن نردّ بعناية: لا. تتطلّب هذه الفجوة بين يسوع التاريخي[1] ويسوع الحقيقي أن نفعل أمرين. أولاً، كباحثين نستخدم التاريخ كأداة أساسية بين يدينا، فعلينا فهم قيود وحدود التاريخ. تستند المسيحية إلى التاريخ، لكن فهمها لم يكن قط ولن يكون أبداً مجرد مسعى تاريخي. نحن بحاجة إلى تقييم صحيح وإذا لزم الأمر إعادة تقييم مكان التاريخ في دراسة يسوع. ثانياً،

(1) لا أقصد بهذا أن أفترض أن صورة المسيح التاريخي غير دقيقة. أعتقد أن دراسات يسوع التاريخية يمكن أن تكون مثمرة للغاية في وصف من كان يسوع في سياقه وما هي خدمته ورسالته. ربما يكون من الأفضل القول إن يسوع التاريخي هو "مجموعة فرعية" من يسوع الحقيقي في ملئه، على الرغم من أن هذه الاستعارة لا تصف العلاقة بين المفهومين بشكل كافٍ.

يجب أن نتعلّم كيف نضع يسوع التاريخي بشكل صحيح ضمن الحياة المسيحية، الفكر، واللاهوت ككل. فلا ينبغي أن يحلّ يسوع التاريخي كإعادة بناء حديثة محل قرون من الفكر والممارسة المسيحيين. هل هذا مسعىً مفيد؟ نعم، بكل الوسائل؛ فأي شيء يتعمق في شخص وعمل المسيح يستحق المتابعة، لكن يجب متابعته بالطريقة والمنظور المناسبين.

تحذيران

إن التحذيرين اللذين سأقدمها مرتبطان بعضهما ببعض. دراسة يسوع بأي شكل أو طريقة تتطلّب التواضع. نحن مخلوقات متناهية، مفصولة عن حياته على الأرض بمسافة جغرافية وزمنية وثقافية كبيرة. ليس لدينا معرفة شاملة عن يسوع. ونحن ظهرنا أيضاً على المشهد في نهاية حقبة من ألفي سنة من الدراسة والتفكير والتحقيق في يسوع. فقد سعت إليه أعظم العقول في تاريخ العالم، ونحن نتبع طريقهم. وبوصفنا باحثين يسعون عادةً إلى الصدق والنزاهة في عملنا، يجب علينا أيضًا أن نسعى جاهدين من أجل التواضع. لسوء الحظ، يفتقر إلى هذا إلى كثير من العلماء الذين يدرسون يسوع التاريخي والخريستولوجيا. فهم يفكرون في محو مسيح الإيمان بأساليب نقدية حديثة، قليل من المقالات، وبعض المؤتمرات الصحفية جيدة الإعداد. إن غطرسة هذه البحثيّة مذهلة. فدعونا لا نكرر أخطاء أولئك الموجودين حاليًا في المعركة. ولا ينبغي لنا أن نخاف من طرح الأسئلة الصعبة وتحدّي الافتراضات المعتقد بها الآن، لكن يجب أن نكون دائماً

متواضعين في تحقيقاتنا وتأكيداتنا ولا نفترض أبداً أننا رسمنا الصورة النهائية ليسوع.

لا يجب علينا فقط أن نجسّد التواضع، بل علينا أيضًا أن نجسد النوع الصحيح من الشكوكيّة. كان الاتجاه في دراسات يسوع يشكك في السلامة التاريخية للنص الذي بين أيدينا. ويجب علينا بدلاً من ذلك أن نكون متشككين في موضوعيتنا الخاصة. فقد أنتجت مئتا عام من التحقيق في يسوع التاريخي مجموعة محيرة من الصور المختلفة. وتمّ عمل الكثير على صورة المحقق، واستجاب كثيرون للمسائل الثقافية التي طرحت في أوقاتها. لقد أظهر لنا مرور الزمن أن أولئك الذين يحققون في يسوع التاريخي لم يكونوا موضوعيين بل استجابوا وأجابوا على الكثير من أسئلتهم هم. ونحن لسنا متحررين من هذا الفخ أيضًا. فعلينا أن نتحقق بعناية من تحيزاتنا وأن نفحص نتائجنا للتخلص من النتائج غير الصحيحة.

نتيجة

كان الميل في البحثية الإنجيلية هو الحد أو حتى القضاء على السعي وراء يسوع التاريخي في أعمالنا العلمية. وقد كبرتُ شخصياً وأنا أسمع العديد من الخطب ضد «اللاهوتيين الليبراليين» الذين كانوا يهاجمون المسيح، وهذا الموقف منتشر. وللأسف، لم نوازن ذلك مع المساهمات الإيجابية في هذه المجالات؛ وبدلاً من ذلك تخلينا عن الملعب. كإنجيليين يحبّون الرب علينا أن نسعى جاهدين للعمل بشكل إيجابي في هذا المجال.

بالطبع لن نقبل كلّ طريقة أو افتراض، لكن يمكننا تقديم مساهمة إيجابية وتغيير المد. ففي مقال نشر في Christianity Today، يروي رايت حادثة غيّرت موقفه من الدراسة البحثية وأثرت على الاتجاه الذي كان على حياته أن تتخذه. كان جون وينهام يخاطب الاتحاد المسيحي في أكسفورد، ويقول رايت:

في إحدى تلك الحلقات الدراسية، قال إنك بالطبع تدرك أن ما نحتاجه بشدة هو أناس يحبون الرب ويحبون الكتب المقدسة، ولديهم الخلفية الأكاديمية للقيام بالأبحاث الكتابية. وقال إنه ليس من الجيد انتظار الأشخاص الذين ليس لديهم هذا الحب في قلوبهم لكتابة أشياء سخيفة عن الكتاب المقدس، ثم يطلقون علماء المسيحية للعمل على دحضهم.

ما نحتاجه هنا هو الأشخاص الذين يقومون بإسهامات ويغذّون الأشياء للتدفق إلى الأعلى. (1)

(1) Stafford, "Wright," 43.

مقدّمة المحرر الإنكليزي

لا يعرف اسم رايماروس في هذا البلد، إنكلترا، سوى دائرة مختارة للغاية من الطلاب الإنكليز، في حين أن كتاباته، حسب علمي، لم تكن معروفة على المستوى الشعبي، ولم يتم اقتباسها مراراً من قبل المعلقين الإنكليز. قد يكون السبب الكامن وراء هذا واضحًا لأي شخص سيعاني من مشكلة أو يريح نفسه من قراءة هذا الكتاب. رايماروس شامل للغاية، لا هوادة فيه، مخلص جداً لعمله، ليتناسب مع الموقف الحالي للعقل والقلب حيال الشخصية المركزية للدين الأرثوذكسي.

لقد تمت ترجمة الصفحات التالية - كعمل وجهد للحب فعلاً - من كسرات ليسينغ التي تحمل الاسم المجهول كسرات فولفنبوتيل .Wolfenbüttel Fragmente. وقد سمح لي المترجم بكل لطف بأن أشارك في شرف تقديم هذه الكسرات إلى تحت أنظار القرّاء الإنكليز. ومع العمل الفعلي للترجمة، لم يكن لدي ما أفعله؛ وكان دوري تحريرياً ليس إلا، يقتصر على بعض التعديلات في التعابير، والتي لم تغيّر من المعنى.

تعهد طريقة النقد التي يعتمدها رايماروس بذاتها قبل أي شيء آخر إلى الوضوح الشديد والإخلاص لسجلات الإنجيل. فهو يعلّم بطريقة تصل حتى إلى أكثر العقول بعداً عن الثقافة؛ وحتى الآن فهو من إجبارنا على تفسيراته الخاصة عادة ما يجعل العهد الجديد يتكلم عن نفسه، وكل تهمة كان قد أُجبر على سوقها ضد مؤسسي المسيحية تُدعم وتُثبت عبر شهاداتهم هم. فأنا لم أر بعد باللغة الإنكليزية عملاً حول هذا الموضوع يحمل في جعبته مثل هذه القوة التي لا تقاوم من الحجج.

قد يشتكي بعضهم من أنّ العمل الحالي، كما يعلن العنوان، ليس غير كسرات؛ لكن على الرغم من أن عملاً كاملاً من اليد الرئيسة لرايماروس كان سيبدو بلا شك ذا قيمة كبيرة، إلا أن هناك ميزة، يجب أن لا نحتقرها، في الإيجاز والاختصار، خاصة عندما يكون الموضوع نفسه محسوباً بحيث أنه يرهق العقل أكثر من أن ينعشه. وهذه الفقرات من قلم المفكّر الألماني العظيم هي ضربات قوية وموجهة بشكل جيد، فلا بدّ أنه رجل شجاع والذي سيحاول أن يضع درعاً بينها وبين الإيمان الأرثوذكسي. بل أنا أجرؤ على القول إن هنالك طريقة واحدة فقط لتحييد هذا الهجوم أو التقليل من قوته ـ طريقة للتفسير، من التلاعب بالنصوص بحيث تجعل معانيها معاكسة تماماً للمعنى الطبيعي للكلمات. لم تعد مثل هذه الطريقة صالحة كثيراً كما كانت في السابق، وبطريقة ما توقفت عن أداء تلك الأعمال الرائعة لليدين الماهرتين في الخدع والتي كانت تستحوذ على الكثير من التصفيق.

إما أنّ رايماروس يتكلّم حقاً أو زوراً. وهو يقتبس من العهد الجديد إما بدقة أو بشكل غير دقيق؛ وهو إما أنه يمثّل يسوع والرسل في بريقهم الحقيقي، كما رأينا في العهد الجديد نفسه، أو أنه قد أساء تمثيلهم بشكل صارخ.

هذه هي الأسئلة المطروحة للقراء والنقاد من أجل إيجاد إجابات عليها. وهم لديهم عهدهم الجديد في متناول اليد، ويمكنهم مقارنة أقواله بأقوال رايماروس. وما من جدل تم اختزاله قط ضمن إطار مثل هذه الحدود المعقولة والسهلة، أو إذا كانت شروطها أكثر وضوحًا وقابلية للفهم.

بعد إلقاء نظرة متأنية وصريحة على هذا الكتاب، سينضم القارئ لي، وهذا ما أثق به، في أن أشكر المترجم من كلّ القلب على تقديمه لطلابنا الإنكليز عملًا نقديًا بمثل هذه الأهمية النادرة ومثل هذه القيمة الاستثنائية.

كامدن هاوس، تموز - يوليو، 1879

الفصل الأول

لمحة موجزة عن حياة رايماروس

ولد[1] هيرمان صمويل رايماروس في الثاني والعشرين من كانون الأول -ديسمبر عام 1694، في هامبورغ. أما والده، نيكولاوس، ابن كاهن شتولتسنبرغ Stolzenberg، بالقرب من شتيتن Szczecin، فكان من مواطني كيل، حيث درس اللاهوت، وتزوج من إحدى بنات العوائل الأرستقراطية المميزة التي تحمل اسم فتكين. لقد كان الوالد جيداً جداً كإنسان، وحذقاً جداً كباحث بحيث أنّ تأثيره على تعليم ابنه وشخصيته، الذي كان يدرّسه حتى بلوغه عامه الثاني عشر تقريباً، لا بدّ أنه كان مهمّاً جداً. غادر رايماروس منزل والده ليصبح تلميذاً للباحث الشهير يوهان ألبريشت فابريشيوس، الذي تزوج باحثنا من ابنته في نهاية المطاف. وفي سن السادسة عشرة غادر اليوهانيوم إلى الغمنازيوم، وفي عام 1714، عندما كان في العشرين من عمره، دخل جامعة يينا. كان اللاهوت هو العلم المفضل لديه كدراسة، لكنه شغل نفسه أيضاً بطاقة ومثابرة كبيرتين بالكلاسيكيات والفلسفة، وفي عام

(1) جزء هام من هذه المقدمة مترجم ومختصر عن كتاب شتراوس، حياة رايماروس (1862).

1716 أصبح أستاذاً مساعداً في كلّيّة الفلسفة في فتنبرغ. في السنتين 1720 و 1721، وللحصول على مزيد من المعرفة، سافر إلى هولندا وإنكلترا، ثم عاد إلى منصبه السابق في فتنبرغ، والذي ظلّ فيه حتى عام 1723، عندما تم تعيينه رئيساً للجامعة في فيزمار، مكلنبورغ. وبعد أربع سنوات، وبعد وفاة غ. ادتسارد في هامبورغ، أصبح كرسي الأستاذية في اللغة العبرية واللغات الشرقية الأخرى شاغراً. لم يكن راتب هذه الوظيفة مجزياً؛ لكن بدافع تعلّقه بمكانه الأصلي، هامبورغ، تقدّم رايماروس بطلب الحصول على كرسي الأستاذية هذا وكان له ما أراد بسهولة، مقاوماً من ثم العروض الأخرى الأكثر إفادة ماديّاً، لاسيما الدعوة الرائعة لأن يصبح خليفة غزنر في غوتنغن.

رايماروس والربوبية:

يعتبر رايماروس، فعلاً، أحد فلاسفة وكتّاب عصر التنوير في ألمانيا. وقد كان يعتقد، وفق مذهبه الربوبي Deism، أن العقل البشري قادر على الوصول إلى معرفة الله والأخلاق وذلك من خلال دراسة الطبيعة والواقع الداخلي للإنسانية، بمعنى أوضح، أن العقل البشري لا يحتاج من أجل معرفة بالله والأخلاق إلى ديانات قائمة على مفهوم الوحي. نتيجة لذلك، كان طبيعياً بالنسبة لرايماروس، وهو يتبع ما يسمّى «بالدين الطبيعي»، أن ينكر كل المعجزات وكافة أشكال الأسرار في الديانات القائمة على مفهوم الوحي، باستثناء الخلق نفسه. وهكذا، فقد اعتبر أن الحقائق الأساسية للدين الطبيعي هي وجود خالق حكيم

وخيّر إضافة إلى قناعته بخلود النفس، أما حقائق الدين الطبيعي فهي تلك التي كانت قابلة للاكتشاف عن طريق العقل والتي يمكن أن تشكل أساسًا لدين عالمي. لكنه مع ذلك أعرب عن اعتقاده بأن الديانة التي تم الكشف عنها لا يمكن أبداً أن تصبح عالمية ، لأنه لا يمكن أبدا أن تكون مفهومة وذات مصداقية عند جميع بني البشر. وحتى لو افترضنا أن الدين الموحى به يمكن أن يكون مفهوماً وموثوقاً بشكل عام، فإن الكتاب المقدّس، برأيه، لم يقدم مثل هذا الوحي. إنه يزخر بالأخطاء الواقعية ؛ خبرة بشرية متناقضة، كالعقل والأخلاق ؛ إنه، باختصار، نسيج محاك من الحماقة والخداع والحماس والأنانية والجريمة. علاوة على ذلك، لم يكن الكتاب المقدس خلاصة مذهبية، أو تعليم ديني، والذي كان يجب أن يكونه الوحي الحقيقي.

كانت واجباته خفيفة. واستخدم وقت فراغه في دراسة فقه اللغة، والرياضيات، والفلسفة، والتاريخ، والاقتصاد السياسي، والعلوم، والتاريخ الطبيعي ، حيث قام بتكوين مجموعات كبيرة. كان منزله مركزًا لأعلى ثقافة في هامبورغ. ولا يزال نصب نفوذه في تلك المدينة موجودًا في Haus der patriotischen Gesellschaft ، حيث لا تزال الجمعيات العلمية والفنية التي أسسها جزئياً تلتقي.

فكره وأعماله:

ترتكز سمعة رايماروس كباحث على الطبعة القيمة من ديو كاسيوس Dio Cassius (1750 – 1752)، التي أعدها من المواد التي

جمعها ي آ فابريشيوس. نشر باحثنا كتابًا عن المنطق بعنوان Vernunftlehre als Anweisung zum richtigen Gebrauche der) Vernunft ، [عقيدة العقل كإرشاد للاستخدام الصحيح للعقل] 1756 ، طبعة خامسة ، 1790)، واثنين من الكتب الشعبية حول المسائل الدينية في ذلك اليوم. أول هذه الكتب كان مجموعة من المقالات حول الحقائق الرئيسة للدين الطبيعي ، (Abhandlungen von den vornehmsten Wahrheiten der natürlichen Religion [أطروحات حول أنبل حقائق الدين الطبيعي]، 1755 ، طبعة سابعة ، 1798)، وهو مناقشة من منظور المذهب الربوبي للمشاكل الكونية والبيولوجية والنفسية واللاهوتية. الكتاب الثاني الشعبي حول أسئلة زمنه الدينية هو ، Betrachtungen über die Triebe der Thiere (1760)، [تأملات في دوافع الحيوان]، 1760 الطبعة الرابعة ، 1798)، وقد تناول فرعًا واحدًا من الموضوع ذاته.

العمل الرئيس لرايماروس ، Apologie oder Schutzschrift für (Apologia or Defence for die vernünftigen Verehrer Gottes (the Rational Reverers of God («اعتذار أو دفاع عن عبدة الله العقلانيين») استغرق 20 عامًا لإتمامه ، وتم تركه بشكل غير مقصود حتى بعد وفاته. حصل غوتهولد ليسينغ Gotthold Lessing على أجزاء من العمل من أولاد رايماروس لنشرها تحت عنوان Wolfenbütteler Fragmente (كسرات فولفنبوتل) في كتابه Zur Geschichte und Literatur (للتاريخ والأدب 1774 و1777). أثار

ظهـور الكسـرات جـدلاً يعـرف باسـم Fragmentenstreit (شـجار الكسرات) والذي حرّض النقديّة الليبرالية والمحافظة على حدّ سواء. تم نشر أجزاء أخرى من قبل العديد من الكتّاب بين عامي 1787 و 1862، وأحيانًا تحت أسماء مستعارة. العمل هو تحليل لمسألة يسوع التاريخي، والمخطوطة الأصلية موجودة في مكتبة مدينة هامبورغ؛ وقد تم عمل نسخة عنها لمكتبة جامعة غوتنغن، 1814، ومن المعروف أن هنالك نسخاً أخرى موجودة. وبالإضافة إلى الأجزاء السبعة التي نشرها ليسينغ، تم إصدار جزء ثانٍ من العمل في عام 1787 بواسطة C.A.E. Schmidt (اسم مستعار)، تحت عنوان Übrige noch ungedruckte Werke des Wolfenbüttelschen Fragmentisten [بقيّة الأعمال غير المطبوعة من كسرات فولفنبوتل]، وجزء آخر نشره D.W Klose في عمل C.W Niedner الذي يحمل عنوان، Zeitschrift für historische Theologie [مجلة اللاهوت التاريخي]، 1850 - 1852. اثنان من الكتب الخمسة من الجزء الأول والجزء الثاني كله، فضلاً عن التذييلات على الكتب القانونية، لا تزال غير مطبوعة. لكن د. ف. شتراوس قدم تحليلاً شاملاً للعمل كله في كتابه عن رايماروس.

الموقف الفلسفي:

كان موقف رايماروس الفلسفي في الأساس هو ذاته موقف كريستيان فولف (1679 – 1654)، أبرز فيلسوف ألماني في الحقبة الممتدة بين غوتفريد لايبنتس وإيمانويل كانط. وكانت مقارباته الفلسفية

تمثّل قمّة عقلانيّة عصر التنوير في ألمانيا. كان فولف يعتبر شخصيّة محورية في ترسيخ دعائم اللغة الألمانية باعتبارها لغة البحث والتوجيه العلمي، مع أن كثيراً من أعماله كانت باللغة اللاتينية من أجل الوصول إلى جمهور عالمي.

لقد كتب رايماروس عمله الاعتذار Apologie من منظور المذهب الربوبي الطبيعي الخالص. وكان موقفه النقدي من الكتاب المقدّس يسير في ذلك الاتجاه. فالعهد القديم، برأيه، لا يقول سوى القليل للغاية عن عبادة الله، والقليل الذي يقوله عديم القيمة؛ فقد كان كتّاب العهد القديم غير ملمّين بالحقيقة الأساسية الثانية للدين، أي، خلود النفس. كانت نيّة كتّاب العهد الجديد، كنيّة يسوع، هي عدم تعليم الدين العقلاني الحقيقي، بل تعزيز طموحاتهم الأنانية بمزيج مدهش من الاحتيال والحماس الواعيين. مع ذلك، من المهم أن نتذكر أن رايماروس هاجم الإلحاد بالقدر ذاته من الصدق والإخلاص، وأنه رجل ذو أخلاق عالية، محترم ومقدّر من قبل معاصريه.

تركت معالجة رايماروس لحياة يسوع أثراً لاهوتياً لا يمحى كبداية لبحث نقدي عن «يسوع التاريخي». وقد ادعى رايماروس أن يسوع كان إنساناً تسكنه أوهام مسيانية، وأنه بعد وفاته، سرقت جثته من قبل تلاميذه من أجل الحفاظ على أسطورة قيامته.

رايماروس وفكر ألبرت شفايتسر:

ادعى ألبرت شفايتسر أن التطور الذي حصل، بين اللاهوتيين والباحثين، لموقف نقدي تجاه المفاهيم التقليدية لطبيعة ورسالة يسوع، بدأ مع عمل رايماروس. وفي الواقع، كان فكر رايماروس ممثلاً للطريقة التي ينظر فيها عصر التنوير لحياة يسوع. فقد اعتقد علماء عصر التنوير أن أسفار الكتاب المقّدس يجب أن تدرس فقط كما تمت دراسة أعمال تاريخية أخرى، ويجب استخلاص حقائق حياة يسوع منها من خلال فحص نقدي للأدلة في الأناجيل.

«قبل ريماروس ، لم يحاول أحد تقديم فكرة تاريخية عن حياة يسوع. فلوثر لم يشعر بقدر كبير من الاهتمام لاكتساب فكرة واضحة عن ترتيب الأحداث المدونة». والأعمال عن حياة يسوع التي دونت قبل زمن رايماروس والتي تعتبر مهمة بالنسبة لنا هي تلك التي ألّفها أحد اليسوعيين باللغة الفارسية. كان المؤلف هو المبشر الهندي هيرونيموس كزافييه، ابن أخ فرنسيس كزافييه (1506 – 1552)، وقد صمم كي يُستخدم من قبل المدعو أكبر، إمبراطور المغول في الجزء الأخير من القرن السادس عشر، والذي أصبح أقوى قوة في هندوستان. وفي القرن السابع عشر تم جلب النص الفارسي إلى أوروبا من قبل أحد التجّار. وترجمه إلى اللاتينية لويس دي ديو، عالم اللاهوت في الكنيسة الإصلاحية، التي كانت نيتها في نشره تشويه سمعة الكاثوليكية. إنه تزييف ماهر لحياة يسوع الذي فيه المحذوفات، والإضافات المأخوذة من الأبوكريفا، إنما هي مستوحاة بغرض وحيد

ألا وهو تقديم يسوع الممجّد إلى الحاكم المنفتح العقل، أكبر، بحيث لا ينبغي أن يكون هناك فيه شيء يمكن أن يسيء إليه. ومن ثم لم يكن هناك شيء لإعداد العالم لعمل بمثل هذه القوة كعمل رايماروس. هذا صحيح، فقد ظهر في وقت سابق، في عام 1768، كتاب حياة يسوع ليوهان ياكوب هيس (Geschichte der drei letzten Lebensjahre Jesu. [تاريخ السنوات الثلاث الأخيرة من حياة يسوع.] 3 مجلدات. 1768) ، المكتوب من منظور العقلانية القديمة، لكنه يحتفظ بكثير من الأمور الخارقة للطبيعة ويتبع الكثير من خطوط صياغة الأناجيل، بحيث أنه لم يكن هناك ما يشير إلى ضربة المعلّم التي كانت روح العصر تحضّرها للعالم. لا يعرف الكثير عن رايماروس. ... إلا أن عمله التحفة، والذي وضع الأساس التاريخي لهجماته، لم يُعمم خلال حياته، إلا بين معارفه، كمخطوطة مجهولة اسم مؤلفها. لكن في عام 1774 بدأ ليسينغ في نشر أهم أجزاء منه، ونشر 7 أجزاء حتى عام 1778، وبالتالي ورط نفسه في معركة مع غوتزه، أكبر قسٍ في هامبورغ.

إن القول بأن الجزء المتعلق بأهداف يسوع وتلاميذه هو عمل رائع لا يكاد يفي النص حقّه. فهذه المقالة ليست فقط واحدة من أعظم الأحداث في تاريخ النقد، بل هي أيضا تحفة من الأدب العام. اللغة كقاعدة ثابتة ومقتضبة، محددة وذكيّة ـ لغة رجل ليس «منشغلاً بالتوليف الأدبي»، بل مهتم بالكامل بالحقائق. لكن في بعض الأحيان، يرتفع النصّ إلى قمم الشعور العاطفي، ثم يبدو وكأن نيران بركان كانت ترسم صوراً متوهجة على الغيوم المظلمة. نادراً ما كان هناك

كراهية لكنها كراهية بليغة جداً، ازدراء رفيع للغاية؛ لكن من النادر أن عملاً كُتب في الوعي التام لتفوق مطلق على هذا النحو إلى الرأي المعاصر. وإضافة إلى ما سبق، هناك كرامة وغاية جادة؛ فعمل رايماروس ليس كتيباً.

... كانت هذه أول مرة يقوم فيها عقل تاريخي بحق، وملمّ تمامًا بالمصادر، بانتقاد التقليد. وكانت عظمة ليسنغ تتجلّى في أنه أدرك أهمية هذا النقد، وشعر أنه يجب أن يؤدي إما إلى تدمير أو إلى إعادة صياغة فكرة الوحي. لقد أدرك أن إدخال العنصر التاريخي من شأنه أن يغير ويعزز العقلانية. ومقتنعاً بأن اللحظة القاتلة قد دنت، فقد تغاضى ليسينغ عن مشاعر عائلة رايماروس واعتراضات نيكولاي ومندلسون، ورغم أنه كان يرتجف داخلياً مما كان هو ذاته يعتبره مقدّساً، فقد ألقى الشعلة بيده[1].

إنه فيلسوف وأديب من أدباء عصر التنوير الذي يُذكره بسبب ربوبيته، وهي العقيدة التي تقول إن العقل البشري يمكن أن يصل إلى الدين (الذي يسمى بالدين الطبيعي) أكثر من توصله إلى الأديان القائمة على أساس الوحي.

بالنسبة لرايماروس، الذي تفوّق على والد زوجته المتعلم، فابريشيوس، في الذكاء والحجة والمعرفة العميق، كان عملاً متواضعًا

(1)Albert Schweitzer, 1968, The Quest of the Historical Jesus, A Critical Study of its Progress from Reimarus to Wrede, Chapter II, "Hermann Samuel Reimarus

جداً لتدريس عناصر اللغة العبرية، وكان بإمكانه فقط متابعة الفروع العليا للدراسة، مثل أنتيكيات الكتاب المقدس، نقده، وما إلى ذلك، مع عدد محدود من التلاميذ. مع ذلك، فقد كان متحمساً ومخلصاً في أداء واجبات مهمته كما لو أنه لم يكن يناسب منصباً جديراً بالمواهب والمعارف غير العادية. وإلى جانب فقه اللغة والرياضيات والفلسفة واللاهوت، كان عدد قليل من البشر على دراية جيدة بالأدب السياسي والتاريخي، التربية، والاقتصاد السياسي.

كما كان لديه حب كبير للتاريخ الطبيعي والعلوم الطبيعية، وهي الفروع التي أضاف إليها الكثير من المساهمات القيمة. لكن مع مرور السنوات، جعلت دراسة الفلسفة كل الدراسات الأخرى في الخلف.

ودون أن يجعل من التأليف مهنة حياته ، ترك رايماروس العديد من الأعمال التي لا تقدر بثمن. لم يكن غير دودة كتب بليدة. وقد بدا أن غرضه العظيم هو تقريب العلوم إلى الحياة، تقريب رجال العلم إلى رجال العالم. كان متواضعاً دون أن يكون خجولاً، ومتعاطفاً دون أن يكون تافهاً أو مزعجاً، وبغض النظر عن كرامته الفطرية، كان رفيقاً مفعماً بالحيوية والسحر.

في سنواته الأخيرة، كان يستمتع بتجميعه حوله مجموعة من الرجال الذين كانوا يتحدثون دون قيود اجتماعية بموضوعات علمية ومفيدة، ويتبادلون أحدهم مع الآخر تجاربهم، اكتشافاتهم، آرائهم وأحكامهم.

كما أن حياة ريماروس المنزلية كانت نموذجية. فقد أنجبت له

زوجته، وهي ابنة جديرة بفابريشيوس، سبعة أطفال، ثلاثة منهم فقط، ابن وابنتان، عاشوا بعده. لا يمكن لنا أن نجد عائلة أكثر سعادة، أكثر وحدة، أكثر احتراماً، من عائلته؛ وبعد وفاته بفترة طويلة، احتلت ابنته غير المتزوجة، الباعة، إليزه، منزل رايماروس، ومعها ابنه. وبقي الدكتور أ. رايماروس أحد المراكز العلمية في هامبورغ.

مقدّراً باحث وإنسان، مبجّلاً ومحترماً من البعيد والقريب، فإن رايماروس، مع أنه لم يكن ينتمي لمؤسسة متينة الأركان، وصل إلى عمر متقدّم نسبياً حين بلغ الثانية والسبعين، وفي التاسع عشر من شباط ـ فبراير عام 1768، دعا عدداً من أصدقائه الأكثر حميمية إلى منزله للانضمام إلى وليمة طعام له أقيمت في منتصف النهار، وفي تلك المناسبة كان مبتهجاً ومليئاً بالحيوية كما هو دائماً؛ لكن عندما أوشكوا على المغادرة أخبرهم بتيقن جدّي أن هذه ستكون آخر مرة سيلتقون فيها. وبعد ذلك بثلاثة أيام سقط مريضاً بشكل خطير، وغادر بسلام في الساعة الثالثة من صباح الأول من آذار ـ مارس.

جزء من الخلاصة السابقة التي استقينا معظمها من المفكّر البارز دافيد شتراوس إنما أخذه شتراوس عن النص الهام والقيّم الذي كتبه صديق رايماروس في ذكراه، بيوش، أستاذ الرياضيات[1].

(1) Memoriae immortali H. S. Reimari linguamm orientalium in Gymnasio Hamburgensi per XLI. annos professoris, quale-cunque hoc monumentum oficii et pietatis causa posuit J. G. Bûsch, Math. P., etc., in Gymnasio amburgensi. 33 fol.

وبهذه الذكرى، فالكسرات التي نُشرت بعد ذلك ببضع سنوات من قبل ليسينغ لم يُلمّح إليها، ومن المحتمل جداً أن بيوش قد لا يكون على علم بوجودها وأن رايماروس قام بنقل محتوياتها بسريّة تامّة إلى اثنين أو ثلاثة من أصدقائه، ومن بينهم الشاعر المعروف بروكس Brockes، نعرف أن هذا ما كان عليه الأمر من خلال ابنه ، ي. أ. رايماروس، لكن ما إذا كان بيوش بين هؤلاء الأصدقاء السريين أم لا فذلك من المستحيل معرفته. وحتى لو كان بينهم، فربما اعتبر أن من واجبه أن لا يأتي على ذكرهم؛ لأن رايماروس اعتاد أن يقول إن الوقت لم يحن بالنسبة له 'لطرح إنكاراته اللاهوتية علناً'؛ وهكذا فبعد موته، اعتبره أصدقاؤه أنه من الواجب الأخلاقي حيال الراحل، أن لا تتعرّض ذكراه للإذلال، وإلى اتهامات بالهرطقة من قبل رجال الدين، وصخب الجمهور.

لم يعرف ليسينغ رايماروس إلا خلال العام الأخير من حياته، عندما بدأت صحته تتدهور، ومن ثم لم يكن يعرفه عن كثب. لكن بعد ذلك قامت صداقة رائعة بين ليسينغ وابن رايماروس وابنته؛ وكان أنه من إليزه رايماروس بعد كثير من الصعوبات والإقناع، حصل على المخطوطات الثمينة للكسرات مع الإذن بنشرها؛ لكن فقط مع وعد بأنه لن يكشف عن اسم المؤلف؛ لأنّ أبناء رايماروس كانوا يخشون من الخزي والعار اللذين قد تعود بهما هكذا مسألة على اسم والدهم. وراح ليسنغ ينشر الكسرات واحدة تلو الأخرى عام 1774.

نصح بشدّة اثنان من أصدقاء ليسنغ الأكثر حميمية، وهما نيكولاي ومندلسون، بعدم نشر تلك الكسرات؛ لكنه لم يكن لأحد أن يثنيه عن قصده. وبعد فترة أصبح الاعتقاد السائد بأن الكسرات كتبها رايماروس قوياً جداً، إلى درجة أن إليزه بدأت أخيراً في سماع أن ليسينغ لا بدّ أنه خان سرها، ووجد نفسه مضطرا للكتابة إلى أخويها منكراً هذا الإدعاء. واستمر الموضوع بين أخذ ورد حتى قام الدكتور أ. رايماروس عام 1814 بوضع حد لكل الشكوك حوله عندما أقدم على الإعلان، في رسالة لمكتبة غروتنغن، أنّ والده هو من ألّف تلك الكسرات، وأنه لو عاش بحيث يكملها، لكان من المقرر جمعها في كتاب واحد تحت عنوان، اعتذار للمؤمنين العقلانيين بالله.

تلقي المقتطفات التالية ضوءًا كبيرًا على عقل رايماروس وقلبه، وسيشعر المتدينون بالرضا أكثر في الكشف عن إيمانه القوي والمكثف بالإله الحي: «ولكن كان الله أيضًا يُنظر إليه باعتباره قاضياً، وهنا صعوبة جديدة قدّمت نفسها. كان لدى رايماروس الكثير من الإحساس بالحقيقة في محاولة لأن يشرح بإثبات صنعي عقاب نار الجحيم الأبدية. إذا كان الخلاص لا يمكن أن يوجد إلا باسم يسوع وحده، إذا كان كل من لم يؤمن به ملعونًا أبدًا، وبما أن هذه العقيدة قد تمّ تناقلها من أقوال يسوع نفسه، فإن ما يعقب ذلك هو أن تسعة وتسعين بالمئة من الجنس البشري، وهم أولئك الذين لم يسمعوا من قبل بالمسيح أو الخلاص الذي يتم الحصول عليه من خلاله، أو أولئك الذين لم يتمكنوا من إقناع أنفسهم به، يتم الحكم عليهم دون محاكمة، بعد هذه الحياة

القصيرة، بالعذاب الأبدي؛ وهذا ليس من أجل جعلهم أفضل، بل لمعاقبتهم، ولإرضاء غضب الله الذي لا يرتوي، وذلك لخطيئة ارتكبت في بداية الخلق، خطيئة كانوا هم أنفسهم غير آثمين بها. وبدا أن هذا وكأنه يزيل كل الكمال الإلهي، كل ما كان محبوبًا ونبيلًا في الله، وحوله إلى ما يشبه الشرير الشيطاني والشنيع.»

«أعترف، هكذا أوضح رايماروس، أن هذا الشك هو أول ما ترسّخ في ذهني، ومن ثم بثبات، أنه على الرغم من كل جهودي، لم أتمكن أبدًا من التغلب عليه.» - شتراوس، حياة رايماروس، ص260.

«حتى لو كنا سلّمنا بأن كل هذه المعجزات حقيقية ، فلن تكن قادرة بذاتها على دعم تعاليم أو أفعال عدائية. لا يمكن حل التناقضات بأية معجزة، ولا يمكن للرذائل أن تصبح فضائل بمعجزة. لكن بما أن حقيقة هذه المعجزات لم تثبت بعد، فلماذا نجعل هذه الحقائق المتداعية أساس كل دين؟» ص262.

ويقول رايماروس: «ذلك الذي هو سخيف ومُستحيل، ذلك الذي في أي تاريخ آخر كان سيُدعى زيفاً، خداعاً، غضباً، وقسوة، لا يمكن جعله معقولاً، صحيحاً، وحقيقياً بالكلمات المضافَة: هكذا يقول الرب».

كتب رايماروس أصلا الكسرات، كما قال، «من وقت لآخر، لتسكين عقله؛ لأنه بعد قيام الشكوك وتضايقه لعدة سنوات، قرّر أن يكتبها بعناية، كي يُنظر إليها بشكل جيد، وكي يُرى ما إذا كانت ذات وزن كافٍ لجعل المسألة قضية حاسمة.»

«كان أول شيء صدمه، وأول استنتاج توصّل إليه، هو أن الكتاب المقدس ليس كتابًا للتعليم الديني أو catechism.»، ص 264.

«عندما كانوا لا يزالون في مهدهم، أجبر أبناء البشر، مثلهم مثل الذين ولدوا عبيداً، على التجنّد كعسكر تحت علم معين، حتى إذا ما حرروا أنفسهم في نهاية المطاف من هذا العبودية ، يمكن أن يُتهموا ويُعاقبوا بأنهم فارّون ».

«إن فكرة الله، بوصفه أكثر الكائنات كمالاً، كانت موجودة بشكل كامل ودافئ في قلب رايماروس، كما نرى من الكلمات التالية:

-«أبعده عنك، يا قاضي العالم العظيم، الإله المحبوب أكثر من كلّ ما عداه، الأكثر لطفاً، الأكثر خيراً، الأكثر رحمة، كي ينطق بحكم ظالم على المخلوقات المسكينة التي خلقها"»!

«كيف يمكن مقارنة مثل هذا السلوك مع أكمل البشر؟ كيف يمكن أن يتم تمثيل الشبه الأكثر نجاسة، العدو الأكثر خبثًا لله والإنسان، بشكل أكثر بشاعة؟»، ص 262.

الفصل الثاني

القسم الثاني من الكسرة حول يسوع وتلاميذه

القسم الأوّل:

لكننا الآن سوف نقترب أكثر وبشكل أكثر مباشرية من الموضوع محل البحث، ونفحص كلا النظامين حسب أقوال وأفعال يسوع نفسه، بقدر ما تم تناقلها لنا. من الواضح أنه فيما يتعلق بالنظام القديم، يتوقف كلّ شيء على ما إذا كان الإنجيليون، في تاريخهم ليسوع، قد تركوا دون قصد ومن خلال الإهمال المطلق، بضعة آثار متبقية للأسباب التي أثرت عليهم في البداية في أن ينسبوا لمعلمهم هدف أن يصبح فادي إسرائيل الدنيوي. في حين أنه، فيما يتعلّق بالنظام الجديد للفادي الروحي للجنس البشري الذي يعتمد عليه الكل، كما يشهد على ذلك الرسل أنفسهم بوضوح، حول ما إذا كان يسوع قد قام حقّاً بعد موته وصعد إلى السماء، والذي هو حدث لاحق يعلن التلاميذ أنهم هم أنفسهم شهدوا عليه، مؤكّدين أنّهم رأوه، لمسوه، وتكلّموا معه[1]. في هذا الفصل سوف نأخذ بعين الاعتبار النظام الأول، وفي الفصل التالي سوف نهتم بالنظام الثاني. علينا الآن أن نتعامل مع مسألة بذل الإنجيليون جهداً كبيراً لإخفائها عنا (كما أوضحت مؤخراً)، ولهذا السبب سوف نحتاج إلى انتباهاً هو الأكثر حرصاً؛ لكن

(1) لم يعلن هذا الرسل بأنفسهم. — المحرّر الإنكليزي.

بما أن الإنجيليين لم يسعوا لإخفاء أنهم نظروا إلى يسوع على أنه مخلِّص دنيوي لإسرائيل حتى وقت موته ؛ وكما كان اليهود يدركون جيداً أن مثل هذا كان اعتقادهم الثابت ، فإنه لم يكن من الممكن بالنسبة لهم تماماً أن يدمروا ويزيلوا كل آثار نظامهم السابق من تاريخهم ليسوع. وهذه الآثار سنحاول الآن اكتشافها.

القسم الثاني:

إذا كان صحيحًا أنه في الأمر بالتوبة واعتناق المسيحية اللذين يجب التبشير بهما ، كان غرض يسوع أنه يجب على الناس أن يؤمنوا به كمخلّص روحاني ؛ إذا كان صحيحًا أيضًا أن رغبته بموته ومعاناته هي فقط لفداء الإنسان ، إلا أنه كان يعلم أن اليهود لم يتوقعوا فادياً من هذا النوع ، وأنهم لم يمتلكوا فكرة عن أي شخص آخر غير مخلّص إسرائيل الدنيوي ، الذي كان سيطلق سراحهم من العبودية ويبني مملكة دنيوية مجيدة لهم. فلماذا إذن يرسل يسوع بكل جلاء ليعلن في جميع مدن ومدارس ومنازل اليهودية ، أن ملكوت السماء قريب في متناول اليد؟ لأن هذا دلّ على أن ملكوت المخلص ، أو المسيا ، كان على وشك أن يبدأ. كان يعلم أنه إذا كان الناس يصدقون رسله ، فإنهم كانوا سيبحثون عن ملك دنيوي ، وكانوا سوف يتعلّقون هم أنفسهم به مع الاقتناع بأنه هو كان هذا الملك ؛ لأنهم ، ما لم يتلقوا توصية أخرى وأفضل ، لن يكون لديهم تصور آخر لملكوت السماء أو ملكوت الله ، أو للرسالة السارة ، أو أي إيمان بالشيء ذاته ، غير ذلك الذي تعلموه وفقًا للمعنى الشعبي للكلمات ، وللانطباع السائد عنهم. ألم يكن على

يسوع، إذن، وقبل كل شيء، أن يسعى، من خلال رسله كمرسلين سماويين، إلى مساعدة الجهلة للخروج من وهمهم الخشن، وبالتالي أن يوجهوا إيمانهم وتوبتهم واعتناقهم للدين باتجاه الغرض الصحيح؟ لأنه إذا كان الناس يتوبون ويعتنقون الدين فقط من أجل الاستمتاع بالسعادة والمجد في ملكوت المسيا، وفقاً لخداعهم، فإن توبتهم واعتناقهم الدين وإيمانهم لم يكونوا من النوع الصحيح. لكن يسوع لم ينقل إليهم أية فكرة أفضل عن نفسه. نحن نعرف ذلك - أولاً، لأنه لم يؤكد في أي مكان أنه فعل ذلك؛ وثانيًا، لأنه اختار كرسل له رجالاً والذين كانوا هم أنفسهم تحت الانطباع الشائع، وهو الانطباع الذي لم تتم إزالته لصالح انطباع أفضل.

لا بدّ أن يسوع كان يدرك جيداً إذاً أنه بمثل هذا الإعلان البسيط عن ملكوت السماوات، لم يكن ليوقظ إلا في اليهود الأمل بمسيح دنيوي. ومن ثم، يجب أن يكون هذا غرضه في إيقاظهم على هذا النحو. وفيما يتعلق بإرسالِ الرسل إلى إرسالياتهم، يجب أن نفترض، إما أن يسوع كان يعرف أو لم يكن يعرف، ماذا كان انطباعهم عن ملكوت السماوات. في الحالة الأولى، من الواضح أن هدفه كان أنه لا بدّ من حثّ اليهود على توقع الخلاص الدنيوي السريع، لأنه استخدم رسلاً والذين كان يعرف أنهم ليس لديهم أي اعتقاد آخر، والذين هم نتيجة لذلك لم يتمكّنوا من التبشير بشيء مختلف. وفي الحالة الثانية، إذا لم يكن يعرف انطباعهم، فإنه لا بدّ أن يكون لا يزال يخمّن أنهم كانوا ظل انطباع مسيطر عموماً، وهكذا لا بدّ أنه أنار التلاميذ وعلّمهم حتى

تخلّوا عن وهمهم، وكانوا مقتنعين تماماً بحقيقة هدفه الحقيقي، كي لا ينشروا إنجيلاً مزوراً. لكن من الواضح أن التلاميذ، سواء وقتها أو بعد ذلك، احتفظوا بالوهم، أو الإيمان، بمخلّص دنيوي لإسرائيل من خلال المسيا، ولم يكن لهم لأن يعتنقوا أي شيء آخر.

يسوع، مع ذلك، يرسلهم للتبشير بملكوت السماوات، ليصبحوا معلمين للآخرين؛ لذلك يجب أن يكون قد وافق على الاعتقاد السائد بين التلاميذ والناس، وكان يجب أن يكون موضوعه هو أن يشجّع عليه ويعممه في جميع أنحاء اليهودية. لا يمكن تبرير هذا الفعل من جانب يسوع. وفي إرسال مثل هؤلاء المبشّرين، لم يكن باستطاعته أن يكون له غرض آخر غير أن يوقظ اليهود في جميع أنحاء اليهودية، الذين كانوا يئنون منذ فترة طويلة تحت النير الروماني، وهكذا كانوا متحضّرين منذ زمن طويل للخلاص المأمول به، ولحثّهم على الاندفاع إلى القدس.

القسم الثالث:

مع هذه النية،[1] تتفق بقية أعمال يسوع. كان ابن خالته، يوحنا المعمدان، قد شحذ آذان الشعب، وعلى الرغم من أن كلماته كانت مظلمة إلى حد ما، إلا أنه كان لا يزال يشير بوضوح إلى أنه كان عليهم أن يبنوا على يسوع آمالهم. في الوقت نفسه، يوحنا من خلال عدم

(1) أي، نيّة تأسيس مملكته الدنيوية.

المعرفة بيسوع، يتصرّف كما لو أنّه أصبح على بينة من وجوده من خلال الوحي الإلهي. إنّه يتحدّث إلى الشعب: «يو 1 -31: وما كُنتُ أعرِفُهُ، حتّى يَظهرَ لإسرائيلَ. يو 1 -33: وما كُنتُ أعرِفُهُ، لكنَّ الّذي أرسَلَني لأُعَمِّدَ بِالماءِ قالَ لي: الّذي ترى الرُّوحَ ينزِلُ ويَستَقِرُّ علَيهِ هوَ الّذي سيُعَمِّدُ بالرُّوحِ القُدُسِ. يو 1 -34: وأنا رأيتُ وشَهِدتُ أنَّهُ هوَ ابنُ اللهِ». مرتان، إذن، يقول يوحنا صراحة إنه لم يكن يعرف يسوع قبل معموديته.

لكن ألم يكونا أولاد خالة؟ ألم تكن أمهاتهما صديقتين حميمتين، وكانتا تتزاوران؟ ألم يكن يسوع، عندما كان صبيًا، يصعد في كثير من الأحيان إلى القدس مع أقاربه وأصدقاءه، بحيث أنّ يوحنا، الذي كان من عمره تقريباً، وعلى الطريق ذاتها، كان بالتأكيد على دراية بمعارفه. وعلاقة أبناء الخالات؟ فلماذا إذاً لن يعرفوا بعضهم بعضاً أمام الناس؟ لقد حاولت أن أجد عذراً لهذا، وذلك بافتراض أن يوحنا لم يكن يرغب في أن ينكر بالكامل أنه يعرف ابن خالته شخصياً، لكنه أراد فقط أن يقول إنه حتى المعمودية، لم يكن يعرفه كمسيح أو مسيا، «يو 1 -27: [الذي]... ما أنا أهلٌ لأنْ أحُلَّ رِباطَ حِذائِهِ»، كما يقول. لكن الإنجيلي متى حرمني من هذه الفكرة، لأنه وفقاً لنسخته، فقد اعترف يوحنا بأن يسوع مسيا قبل المعمودية. فعندما يخرج يسوع من الجليل ليعتمد، يعارض يوحنا بشدة نيته، قائلا: «مت 3 -13: وجاءَ يَسوعُ مِنَ الجليلِ إلى الأُردنِ ليَتَعَمَّدَ على يدِ يوحنَّا. مت 3 -14: فمانَعَهُ يوحنَّا وقالَ لَه: أنا أحتاجُ أنْ أتعمَّدَ على يدِكَ، فكيفَ

تَجيءُ أنتَ إليَّ ؟» لذلك لا بدّ أنه قد عرف يسوع قبل المعمودية، ليس فقط شخصياً بشكل جيد جداً، بل كان سيظهر أيضاً كواحد يحتاج هو ذاته إليه ليعتمد، أي بالروح القدس ـ الذي كان من المتوقع أن يفعله المسيا. وهذا يتعارض بوضوح مع النسخة السابقة، ويخون البطاقة المشتركة. كانا أبناء خالة يعرف أحدهما الآخر جيداً، وكان أحدهما على دراية بغرض ونوايا الآخر. إنهما يؤديان أعمالاً استثنائية في آن وفي الوقت ذاته، والتي بها يعزّز أحدهما هدف الآخر. يعلن يوحنا أن ملكوت السموات في متناول اليد، أن المسيا في وسطهم، لكنهم لا يعرفونه. يأتي يسوع إلى يوحنا كي يُعرف بحد ذاته، من خلاله. ثم يبدأ أحدهما في مدح الآخر.(1) يقول يسوع: «يوحنا... مت 11 -9: نَبِيًّا؟... وأفضَلَ من نَبيّ. مت 11 -14: وهُوَ...، إيليًا، أو مت 11 - 10: الذي يُهيِّئُ الطَّريقَ قُدَّامَ المسيا؛ مت 11 -11: ... إنَّهُ لم يَقُمْ، في مَواليدِ النِّساءِ، أعظَمُ مِنه». يقول يوحنا عن يسوع إنه هو المسيح، ابن

(1) مت 11 -9: فلِمَ إذنْ خَرَجتم الى البَرِّيةِ؟ ألِتَروْا نَبِيًّا؟... أقولُ لكم: أجَلْ، وأفضَلَ من نَبيّ. مت 11 -10: إنَّهُ هوَ المَكتوبُ عَنه: "هاأنذا أُرسِلُ مَلاكي أمامَ وَجْهِكَ، فهو يُهيِّئُ لكَ الطَّريقَ قُدَّامَكَ». مت 11 -11: "ألحَقَّ أقولُ لكم، إنَّهُ لم يَقُمْ، في مَواليدِ النِّساءِ، أعظَمُ مِنْ يوحنَّا المَعْمَدان؛ بَيْدَ أنَّ الأصْغَرَ في مَلَكوتِ السَّماواتِ أعظَمُ مِنْه. مت 11 -12: ومن أيَّامِ يوحنَّا المَعْمَدان حتَّى الآنَ مَلَكوتُ السَّماواتِ يُغتَصَبُ، والمُغتَصِبونَ يَأخُذونَهُ عَنْوةً. مت 11 -13: فجميعُ الأنبياءِ والنَّاموسُ تَنَبَّأوا الى يوحنَّا؛ مت 11 -14: وهُوَ، إنْ شِئتُم أنْ تَفْهَموا، إيليَّا المُزمِعُ أنْ يَأتي. مت 11 -15: مَنْ لَهُ أُذُنانِ فَلْيَسمَعْ!

الله ، أنه سوف يُعمِّد بالروح القدس ، وإنه هو ، أي يوحنا ، لا يستأهل أن يحمل حذاءه أو يحلّ رباطه. يتظاهر يوحنا بأنه تلقّى وحيه عند العماد. فهو يرى السماوات مفتوحة ، والروح يطير على شكل حمامة. إنه يسمع «بات -قول[1]» ، أو «filiam vocis» ، أو صوت من السماء ، الذي يصرخ : « مت 3 -17 : هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»[2]. أعتقد أنني عدت في موضع آخر إلى حقيقة أن أحداً من

---

(1) بالعبرية : בת קול ، [حرفياً ، ابنة الصوت صوت الله] هو صوت من السماء أو صوت إلهي والذي يعلن عن إرادة الله أو حكمه. إنه يشير إلى الروح ها -قوديش ، רוח הקודש [روح القدوس] ، أو يعمل كاسم آخر لله ، لكنه يختلف بشكل جوهري عن الأنبياء ، مع أن هؤلاء كانوا موفدين من قبل الروح ها -قوديش أو ناطقين باسمه. يعتبر الصوت الصادر عن مصدر غير مرئي صوتاً سماوياً ، وفي سفر التثنية نقرأ : "تث 4 -12 : أَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلاَمٍ وَلكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتاً." [12 -4 : וַיְדַבֵּר יְהוָה אֲלֵיכֶם מִתּוֹךְ הָאֵשׁ קוֹל דְּבָרִים אַתֶּם שֹׁמְעִים וּתְמוּנָה אֵינְכֶם רֹאִים זוּלָתִי קוֹל׃] ؛ والنبي حزقيال فيقول : حز 1 -28 : سَمِعْتُ صَوْتَ مُتَكَلِّمٍ. [28 -1 : כְּמַרְאֵה הַקֶּשֶׁת אֲשֶׁר יִהְיֶה בֶעָנָן בְּיוֹם הַגֶּשֶׁם כֵּן מַרְאֵה הַנֹּגַהּ סָבִיב הוּא מַרְאֵה דְּמוּת כְּבוֹד־יְהוָה וָאֶרְאֶה וָאֶפֹּל עַל־פָּנַי וָאֶשְׁמַע קוֹל מְדַבֵּר׃] ؛ أما إيليا فقد أدرك الله عبر 1مل 19 -12 : صوت منخفض خفيف [12 -19 : וְאַחַר הָרַעַשׁ אֵשׁ לֹא בָאֵשׁ יְהוָה וְאַחַר הָאֵשׁ קוֹל דְּמָמָה דַקָּה׃] [قارن أيوب 4 : 16]. قارن أيضاً : حزقيال 1 : 25 ؛ إرميا 25 : 30 ؛ يوئيل 3 : 15 - 17 ؛ عاموس 1 : 2

(2) راجع : مت 17 -5 : وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً : هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا ؛ مر 1 -11 : وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ : أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ ؛ مر 9 -7 : وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً : هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا.

أولئك الذين وقفوا حول يوحنا ويسوع لم ير أو يسمع أي شيء. كان يوحنا ينفذ خطته المحسومة مسبقاً ليس إلا ، ويتصرف كما لو كان في نشوة فشاهد رؤية نبوية ، وكأنه سمع صوتًا من السماء تملأ أصداؤه أذنيه.

كان اليهود ملزمين بأن يؤمنوا بأن نبيًا رأى وسمع ما لم يره أحد من المتفرجين الذين لا يتدخلون بشيء ولم يسمعه ، ففي ذلك الوقت ، اعتادوا أن يُقنعوا بما يسمى البات -كول أو الصوت من السماء ، «لكن هذا الصوت من السماء ، » بين الإسرائيليين ، كان ، طبقاً لاعتراف كل علماء اللاهوت المعتبرين ، لا شيء سوى خداع وتحايل مرتبين مسبقاً. استخدم يوحنا بعد ذلك تمثيلات واختراعات لتعزيز تصميم يسوع ، وكان يسوع يدرك تمامًا أنه فعل ذلك. وبناء عليه ، فإنهم يحاولون أن ينفذوا نيتهم باستخدام طريقة الكلام ذاتها وطريقة التعليم ذاتها. يبدأ يوحنا يكرز : « مت 3 -2: قَائِلاً : تُوبُوا ، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ.» وبعده مباشرة يبدأ يسوع يكرز ، قائلاً : «مت 4 -17 : [مِنْ ذلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ]: تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ». وبمجرد أن يأتيه تلاميذ ، يرسلهم في جميع أنحاء منطقة اليهودية لنشر الكلمات ذاتها. عند الإعلان عن هذا ، لا يحاول يسوع حرمان اليهود من وهمهم بفادٍ دنيوي وجسدي أكثر من الذي يقدّمه يوحنا. فكلاهما يسمح للناس بأن يربطوا المفهوم القديم حول «مملكة السماء» أو «مملكة المسيا» بكلماتهما. لو أنّ يوحنا ، كرسول ، بدأ باستئصال هذا الهوى من عقول البشر ، فلربما اعتمد

عليهم يسوع، دون مزيد من الإعلان؛ لكن بما أن هذه الفكرة عميقة الجذور كان مسموحاً الاحتفاظ بها، وشجع عليها يوحنا وكذلك يسوع وتلاميذه، فلا يوحنا ولا يسوع كان بإمكانهما امتلاك غرض آخر غير غرض إيقاظ الناس على الوصول السريع للفادي المأمول به منذ زمن طويل، وجعلهم متلهفين على مجيئه. إنه لهذا الغرض كانا يكرزان بالتوبة، لأن اليهود كانوا يؤمنون أنه إذا تابوا حقًا وفعليًا، فالله كان سيسمح للمسيح بأن يأتي ويحررهم من بؤسهم، استعبادهم ومضطهديهم، وسيؤسس بينهم مملكة رائعة، مثل مملكة داوود. هذا الاستعداد عن طريق «التوبة الجادة» لم يكن ممكناً تفسيره من قبل اليهود بطريقة أخرى، كما لم يكن ممكناً ليسوع ويوحنا أن يكونا قد قصدا تفسيره على خلاف ذلك. إذا كان اليهودي يتوقع بالفعل، في يومنا هذا، مسياه الدنيوي، وكان يود أن يعلن مجيئه، فإنه، وفقاً للتعليم الشامل للكنيسة اليهودية، لا يكرز بأي استعداد آخر له غير التوبة والإصلاح الجديين. لهذا السبب بالذات، أراد يسوع أن يثبت أن كل أولئك الذين كانوا قبله، وقدّموا أنفسهم كمخلّصين للشعب، لم يكونوا من المخلّصين الصحيحين، وأنهم كانوا لصوصاً وقتلة، والذين هم، عن طريق العنف غير المشروع، بدلاً من الحث على التوبة، فكروا في تحقيق أغراضهم الخاصة. المخلّص، الذي كان يتوقعه اليهود، كان عليه أن يشبه المنقذ الأول من العبودية، موسى، بقدر ما كان عليه أن يكون نبياً عظيماً، وكان عليه أن يقوم بكثير من المعجزات العظيمة: هذه كانت، وفقاً للكنيسة الأرثوذكسية، الآيات المعترف بها والمناسبة

التي بها سيُعرف المسيا المنتظر. يسوع يكرز ويعلّم كنبي ويقوم بمعجزات. ولم يستطع الناس أن يبعدوا عن أذهانهم بأن هذه هي العلامات التي يمكن أن يعرفوا بها الفادي. لقد عزّزتهم أعمال يسوع في الاعتقاد، بأنه مثل مخلصهم الأول، الذي كان نبياً رائعاً، كذلك فإن هذا كان المخلّص الآخر الذي، من خلال معجزات شبيهة، سوف يحرّرهم من عبودية شبيهة ويبني مملكة إسرائيل. وإنه بسبب هذا أنهم قالوا، بالإشارة إلى معجزات وتعاليم يسوع: «أنت حقا النبي الذي يجب أن يأتي إلى العالم»[1]، وبعد ذلك أرادوا جعله ملكاً. لكن يسوع انزلق من بين أيديهم وهرب بعيداً إلى أحد الجبال. ومن اللافت للنظر أنه لم يغتنم هذه الفرصة لتوبيخ الناس، والتأكيد لهم أنهم كانوا مخطئين، وأنه جاء لغرض مختلف للغاية. كان هذا سيبدو الأكثر ضرورة لو أن يسوع كان لديه بالفعل غرض آخر تحت ناظريه، وكان يتمنى للناس أن يفكروا كذلك. لكن كما صدف وكان، لم يكن باستطاعتهم غير التمسك بقناعاتهم فيما يتعلق به. مع ذلك، لم يكن في نيته السماح لذاته بأن يكون ملكاً في مكان صحراوي، وبرعاع مبتذل، مثل ذلك الذي أحاط به حينها. لا الزمان ولا المكان كانا مناسبين له. كانت أفكاره مصممة على دخول كبير إلى مدينة القدس، في عيد الفصح، وهو وقت كان سيجتمع فيه جميع الإسرائيليين من جميع

(1) يو 6 -14: فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!

أنحاء اليهودية هناك، وعندما كان سيتم إجراء الأمر بطريقة احتفالية، وعندما، من قبل الأصوات الموحدة للناس، كان سيعلن أنه ملك اليهود.

كثيراً بالطريقة ذاتها سلك يسوع فيما يتعلق بجعل معجزاته معروفة. إنه يحظر عليهم أن يذكروها عندما كان من المستحيل أن تبقى سرّية، وذلك بغرض جعل الناس أكثر توقاً للحديث عنها. كان على الأبرص أن لا يخبر أحداً، لكنه كان عليه أن يعرض نفسه للكاهن بوصفه أحد الشهود. وكان على المكفوفين أن ينتبهوا لئلا يكشفوا سرّ أنهم استردّوا بصرهم، ومع ذلك فقد سمعهم الجميع ينادون خلفه في الشارع طلباً للمساعدة. وعندما تبعته حشود كبيرة، وكان قد شفى بعض مرضاهم، وجدناه يقول للناس أن يحذروا من جعل الأمر معروفًا. وعندما ضغط عليه الحشد كثيراً، وأخرج الشياطين أمام كل العيون، راح يقول للناس أن يحذروا على أن لا يكون الأمر معروفاً. عندما أيقظ فتاة في الثانية عشرة من عمرها من موتها -نومها في منزل مليء بالناس، الذين كانوا جميعاً ينتظرون بفارغ الصبر ليروا ما إذا كانت ستصدق كلماته، «مت 9 -24: لَمْ تَمُتْ لَكِنَّهَا نَائِمَةٌ»[1]، ومرة أخرى يأمر أن لا يعرف أحد أو يسمع عن ما فعله؛ وعندما جلبوا له رجلاً أصمًا وأبكماً، نجده يأخذه ويعيده إلى الناس، وهو

---

(1) راجع: لو 8 -52: وَكَانَ الْجَمِيعُ يَبْكُونَ عَلَيْهَا وَيَلْطِمُونَ. فَقَالَ: لاَ تَبْكُوا. لَمْ تَمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ.

يسمع ويتكلّم، ويرغب أن لا يُقال شيء لأحد. يبدو لي أن من يروي أو يعرض أي شيء حتى لشخص واحد، واحداً تلو الآخر، بشرط أنهم لا يكررون الأمر، قد يكون من المعقول اتهامه بالحمق، لافتراضه أنّ الآخرين سيبقون سرّاً ما لا يستطيع هو ذاته أن يخفيه؛ لكن الذي يطلب الصمت من أشخاص كثر على ما رأوه، وهذا ما أميل إلى التفكير به، لديه نية لجعلهم أكثر حرصاً على نشر الخبر. وهكذا فهذا ما كان عليه الحال. كلما ازداد نهيه لهم، كلما ازداد إعلانهم له.

في وقت آخر، يأمر هو ذاته بأن معجزاته يجب أن تُعرَف، وعندما يأتي إليه تلاميذ يوحنا بالسؤال ـ «مت 11 -3: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» ـ فإنه يعلن معجزاته أمام كلّ العالم، بحيث يمكنهم أن يخلصوا إلى أنه هو المسيا الحقيقي: «مت 11 -4: اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ. العميان يستعيدون بصرهم، العرج يمشون، البرص يطهرون، الصم يسمعون، الموتى يقومون، والبشارة تُكرز الإنجيل للفقراء، مت 11 -6: وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ».

القسم الرابع:

يستمر يسوع في اتباع النهج ذاته فيما يتعلق بغرضه الرئيس، أي، الإقرار بأنه مسيح أو مسيا. لقد أعلن عنه ابن خالته للتو، والآن هو نفسه يقر بوضوح أنه الإنسان المنتظر، وها هو يرسل تلاميذه لنشر هذه البشارة في جميع الاتجاهات. وفي مناسبة أخرى يكشف عن نفسه بكلمات جافة جداً للمرأة السامرية، فتعلن على الفور في البلدة أنها

وجدت المسيا ؛ فيتدفق السكّان لرؤيته. كما يعترف بأنه هو المسيح أمام رئيس الكهنة والسنهدرين وأمام بيلاطس، ومع ذلك يمنع هنا وهناك أن يتم ذكره على هذا النحو ، حتى من قبل تلاميذه. عن ملكوت السماوات، يتكلم يسوع إلى الناس بأمثال، يستطيعون من خلالها جمع ما يرضيهم. لكنه يضيف هنا وهناك رشات من القوة العظيمة التي أعطيت له، وكرسي المجد الذي سيجلس عليه ويقوم بالدينونة. إنه يخبر تلاميذه أنه سوف يمنحهم ملكوتاً، مثلما أن أباه منحه ملكوتاً، وأنهم سيأكلون ويشربون على مائدته في ملكوته، ويجلسون على اثني عشر مقعداً ويحكمون على اثني عشر سبط لإسرائيل. كان التلاميذ يسألونه مسبقاً قائلين: «مت 19 -27: هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» أجاب يسوع على النحو الوارد أعلاه[1]، مضيفًا: «مت 19 -29: وَكُلُّ مَنْ تركَ بُيوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أو امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ». وهكذا وعدهم، أنه حالما يبدأ ملكوته الرائع، بموقع القضاء والسيطرة على أسباط إسرائيل الاثني عشر، بمئات البيوت، الحقول، الخ.، مثلما تركوهم. كل هذا أشار بلا شك إلى مملكة دنيوية، وأثبت الرأي الضروري الذي كان التلاميذ جاهزين تمامًا

(1) إشارة إلى القول، مت 19 -28: فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي ، فِي التَّجْدِيدِ ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيّاً تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاِثْنَيْ عَشَرَ.

لاعتماده. وفي نهاية المطاف، عندما كان يتصور أن التجوال الرسولي، أي تعاليمه ومعجزاته خلال العامين الأخيرين، أعدّ وهيأ الناس بشكل كافٍ لقبوله والتمسّك به بوصفه مسياهم المنتظر، راح يركّز على زمن عيد الفصح، لأنه كان يعلم جيداً أن كل منطقة اليهوديّة سوف تتجمّع حينها في القدس.

يختار أتاناً مع جحش كي يمتطيها بأبهة في المدينة، ويظهر وكأنه هو الملك الذي كُتب عنه: «مت 21 -5: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ»(1). اعتقد الرسل الآن أن الملكوت كان على وشك أن يبدأ. وهاهم يشغلون أنفسهم فعلاً، يساعدهم بعض الناس، في نشر الملابس على الطريق، في نشر سعف النخيل، وفي الصراخ: «مت 21 -9: أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ!»، وهذا يعني، «السلام على الملك، المسيا الذي سيجلس على كرسي داود؛ مبارك الذي سيأتي باسم الرب». وبهذه الطريقة، يركب الأتان عبر البوابات إلى مدينة القدس، التي يأتي إليها نتيجة لذلك حشد، ضجة، وتُلقى المدينة كلّها في حالة من الإثارة. هذا الموكب العام غير العادي، الذي لم يكن يسوع ليسمح به فحسب، بل شجعه بجد، لم يكن من الممكن أن يستهدف شيئاً سوى مملكة دنيوية. وتمنى لو

(1) النص الكامل للآية: مت 21 -5: قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعاً، رَاكِباً عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ. راجع: زك 9 -9: اِبْتَهِجِي جِدّاً يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ.

أن كل شعب إسرائيل الذي كان هناك مجتمعاً لو أعلن بالإجماع أنه ملك.

القسم السابع:

من الممكن أن يسوع قد لا يشعر بارتياح تام لنتيجة هذا المشروع، وأنه ربما أخبر تلاميذه من قبل أنه يجب أن يكون مستعدًا للمعاناة والموت. لكن هؤلاء كانوا مفعمين بالأمل، وقد وعدوا بدعمه وعدم التخلي عنه، حتى لو ماتوا معه. وهكذا تمت المغامرة بالمحاولة. فنجد يسوع يأخذ مقعده على الأتان، ويسمح بأن تُقام له تشريفات ملكية، يدخل إلى الجمهور، وكما يظهر ذلك في بعض المعايير أنه ينجح، يذهب مباشرة إلى الهيكل، حيث كانت محكمة العدل العليا تُعقد عادة؛ فيضع جانباً لطفه، يبدأ بإشاعة الفوضى، ويرتكب أعمال العنف، مثل الذي يرى فجأة أنه يملك سلطة دنيوية. فها هو يقلب طاولات الصرافين، يأخذ السوط ويطرد المشترين والبائعين وتجار الحمائم في المحكمة الخارجية للهيكل. ثم يقوم ببعض المعجزات داخل الهيكل، ويعلّم. وفي وقت مبكر من اليوم التالي، يلقي خطبة حادّة ضد أولئك الفريسيين والكتبة الذين يجلسون على عرش موسى، أي، أعضاء محكمة العدل العليا، القضاة والسنهدرين. ثم يقول علانية أنه هو المسيح، وأنه وحده ربّهم وسيدهم. ويسيء إلى الفريسيين والكتبة المتعلّمين الذين يتكون منهم مجلس الشيوخ، فيدعوهم بالمنافقين، الذين يغلقون أبواب ملكوت السماوات، الذين يأكلون بيوت

الأرامل، الذين هم أدلاء عمي، حمقى، قبور بيضاء، قتلة الأنبياء، حيات، وجيل من الأفاعي. أخيراً يختم كلامه قائلاً لهم إنهم لن يروه بعد حتى يصرخوا جميعاً[1]، «مت 23 -39: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! كما صرخ الرسل من قبل. الآن أليس هذا تحريضاً للناس على التمرد؟ ألم يكن هذا إثارة لهم ضد الحكومة؟ ألم يكن هذا القول بالنسبة لهم مثله مثل أن يقال «يسقط مجلس الشيوخ، يسقط القضاة، الذين ليسوا سوى مرشدين عمي، منافقين، وظالمين؛ إنهم مجرد عائق في وجه ملكوت المسيا. واحد سيدكم، حتى أنا، فأنتم لن تروا وجهي حتى تعلنوا أني المسيح الذي سيأتي إليكم باسم الرب».

القسم الثامن:

وهكذا يطل علينا من تاريخ الإنجيليين مفهومهم القديم الحقيقي للمخلص الدنيوي؛ وإذا ما اتبعنا سلوك يسوع حتى استعراض دخوله والتهليل[2]، «مبارك ابن داود»، يمكننا أن نرى بوضوح كاف أن جميع الظروف الأخرى المرتبطة بالعقيدة المقبولة المتأخرة حول مخلص مقدّس تتعارض مع هذه التتمة لتعاليم وسلوك يسوع. فما هو معنى هذا

(1) النص كاملاً: مت 23 -39: لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي مِنَ الآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!.

(2) لو 1 -32: هَذَا يَكُونُ عَظِيماً ، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى ، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، مز 72 -19: وَمُبَارَكٌ اسْمُ مَجْدِهِ إِلَى الدَّهْرِ وَلْتَمْتَلِئِ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ. تَمَّتْ صَلَوَاتُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى الْمَزْمُورُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ

الموكب الاحتفالي والصراخ، «مبارك الملك؟» ما هو معنى العنف وإشاعة الفوضى في النظام في الهيكل؟ ماذا كان معنى الخطاب المثير للفتنة الذي وجهه للشعب ضد المجلس الأعلى؟ لماذا تم تحفيزهم لأن يعترفوا به على أنه وحدهم سيدهم؟

يظهر يسوع هنا بوضوح كاف ماذا كانت نيته، لكن هذا كان وقتها الفعل النقدي actus criticus والحاسم decretorius – الفعل الذي كان سيخلق الانعطافة الناجحة للمشروع كله، والذي يتوقف عليه كل شيء. لو تبعه الناس في القدس وانضموا إلى الإعلان بأنه ملك كما فعل الرسل، لكان جعل كل منطقة اليهودية إلى جانبه، وكان من الممكن إسقاط محكمة العدل العليا، وكان يسوع، مع تلاميذه السبعين المختارين، سيحتلون السنهدرين بدلاً من الفريسيين والكتبة المتعلّمين. لقد اتكل يسوع بثقة تامة على موافقة الناس. أما يوحنا المعمدان، الذي كان من المفترض أن يدعم الحركة ، فقد كان قد سجن وقطع رأسه. كان يسوع يتوقع نتائج مواتية من إرساله للرسل، وتخيّل أنهم بعد أن اجتازوا كل مدن منطقة اليهودية، أن ابن الإنسان قد يجرؤ على إعلان نفسه.

توافد المبتذّلون والجهلة على يسوع بالفعل، فقد كانوا يحبون سماع أمثاله؛ وكانت تعاليمه الأخلاقية أكثر قبولا لهم من تعاليم الفريسيين؛ وكثيرون كانوا يأملون أيضًا أن يتم شفاؤهم من أمراضهم على يديه؛ لكن هذا لم يكن كافياً للغرض الرئيس. فلم يكن ثمة إنسان متميز، متعلّم، أو فريسي، إلا الرعاع المبتذل، يتبع يسوع. فلم تكن

القناعة بحقيقة معجزاته قوية جداً. ولو كان الأمر كذلك ، لما كان المؤيدون الأكثر قوة مفقودين.

أخبرنا الإنجيليون أنه هنا وهناك لم يستطع يسوع أن يقوم بأية معجزات لأن الناس لم يكونوا ليؤمنوا به ، وأن يوبّخ مدناً بأكملها[1] (كورزين وبيت صيدا ، حيث من المفترض أن يكون قد قام بمعظم المعجزات) بسبب عوزها للإيمان. وعندما يطالبه الفريسيون والكتبة في المجلس الأعلى بأن يبرّر نفسه بمعجزة ، يرفض ، ويبدأ في التأنيب بدلاً عن ذلك. إذا كان هنالك معجزة واحدة قد قام بها يسوع علانية ، بشكل مقنع ، وغير قابل للإنكار أمام كلّ العالم في يوم الاحتفال العظيم ، فالناس مبنيون بحيث أن الجميع كانوا سينضمون إليه ؛ لكن كم هو قليل عدد اليهود من أي قيمة أو مكانة كانوا إلى جانبه إنما يتضح من حقيقة أنه بعد أن انتهى الصراخ الأول لتلاميذه وبعض الحشد ، لم يستمر أحد بالصراخ ، «مبارك ابن داود».

من المحتمل أن يكون الناس قد اعتبروا أيضًا الأعمال الفاسدة والعنيفة التي ارتكبها يسوع في الهيكل ، والذم المرير الذي استخدمه ضد حكامهم ، كنذير للمزيد من المتاعب لأنفسهم. كان لدى مجلس الشيوخ في جميع الأحوال سبباً وجيهاً لإبقاء عين ساهرة على مثل هذه البداية من جانب يسوع. وكان هناك كثير من قبله الذين تظاهروا

(1) أنظر : مت 11 -21: وَيْلٌ لَكِ يَا كُورَزِينُ! وَيْلٌ لَكِ يَا بَيْتَ صَيْدَا! لأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي صُورَ وَصَيْدَاءَ الْقُوَّاتُ الْمَصْنُوعَةُ فِيكُمَا ، لَتَابَتَا قَدِيماً فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ.

بالمعجزات ليجعلوا من أنفسهم مسيات، والذين أدى اكتشاف دوافعهم الطموحة إلى انكشاف خططهم وفشلها.

كان اليهود في ذلك الوقت تحت حكم الرومان، وإذا كان الشعب قد عانى وشجّع على أي نوع من الاضطرابات التي يبدأها ملك معلن الذي كان سيعطي الحرية لإسرائيل، فإنهم (الرومان) كانوا بلا شك سيستخدمون قوتهم من أجل فرض المزيد من القيود والعبودية على اليهود. لذا اضطروا للتشاور حول كيفية أخذ يسوع، وكيف يجب تجنب الخطر في القيام بذلك.

عندما رأى يسوع أن الناس لم يصرخوا «هوشعنا لابن داود» بحماسة كما فعل تلاميذه، بل إنهم تركوه، وكان القضاة على وشك القبض عليه، امتنع عن إظهار نفسه في الهيكل. لم تكن لديه الشجاعة للاحتفال بمهرجان عيد الفصح بالطريقة الصحيحة، لأنه في هذه الحالة كان سيُجبر، هو أو تلاميذه باسمه، على الظهور في الهيكل، لذبح حمل عيد الفصح، لرش الدم على المذبح، ومن ثم الكذب أو ربما سيتم أخذهم، أو تتبع آثار وجودهم.

يسوع، نتيجة لذلك، أبقى فقط على الباسحا pascha، μνημονευτιχόν، أو عيد التذكّر، وفعل ذلك بطريقة أبكر من المعتاد. وأمر بشراء بعض السيوف للدفاع عن نفسه في حالة الهجوم، لكنه كان غير مرتاح، خشية أن يكشف حتى أحد تلاميذه عن مكان مأواه. فبدأ يرجف ويرتعش عندما رأى أن مغامرته قد تكلفه حياته.

فشا يهوذا عن مكان اختبائه، وأشار إلى شخصه. فأُخذ في الليلة قبل الرابع عشر من نيسان، وصُلب بعد محاكمة قصيرة، قبل أن يبدأ ذبح حملان الفصح في الهيكل. وأنهى حياته بالكلمات التالية، «إيلي، إيلي، لما شبقتاني»، أي، «إلهي، إلهي، لماذا تركتني»[1] — اعتراف لا يمكن تفسيره إلا بمعنى أن الله لم يساعده على تنفيذ نيته وتحقيق هدفه كما كان يأمل منه أن يفعل. من الواضح إذاً أنه لم يكن بنية يسوع أو ضمن أهدافه أن يعاني وأن يموت، بل أن يبني مملكة دنيوية، وأن يحرر بني إسرائيل من العبودية. وفي هذا يبدو أن الله قد تركه، ففي هذا كانت آماله قد محبطة.

القسم التاسع:

وهكذا، فإن تاريخ يسوع الحالي ينيرنا أكثر فأكثر في موضوع سلوكه وتعاليمه، وهو ما يتطابق تماماً مع الفكرة الأولى التي استمتع بها رسله عنه، أي، أنه كان فادياً دنيوياً. وهو ينير لنا أيضاً حقيقة أن لديهم سبباً وجيهاً للاعتقاد به على هذا النحو طالما هو على قيد الحياة. وهو يظهر لنا أيضاً أن المعلّم، وأكثر منه بكثير تلاميذه، وجدوا أنفسهم مخطئين ومخدوعين من خلال الإدانة والموت، وأن النظام

(1) مت 27 -46: وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِيلِي، إِيلِي، لَمَا شَبَقْتَنِي ؟ أَيْ: إِلَهِي ،إِلَهِي ،لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ [illegible]

الجديد لمخلّص روحي معذّب، الذي لم يعرفه أحد أو فكّر به من قبل، قد اختُرع بعد موت يسوع، واختُرع فقط لأن الآمال الأولى قد فشلت. مع ذلك، دعونا نضع جانباً أصالة المعتقد القديم ونفحص بعناية المعتقد الجديد. دعونا نحاول معرفة ما إذا كان بإمكانه التفاخر بوجود أساس أكثر أمناً.

الفصل الثالث

المعتقد الجديد

يُظهر الرسل أنفسهم، بتخليهم عن معتقدهم السابق، أنهم يعترفون أنهم كانوا هم أنفسهم على خطأ، خلال حياة يسوع، في نواياه وغرضه. قد نتخيل أن الآراء المتغيرة لمثل هؤلاء الرجال، الرجال الذين اعترفوا بأنهم كانوا مخطئين بشكل فادح وأنهم قد خاب ظنهم في آمالهم، لم يكن من المرجح أن تكون أفضل أو أكثر أماناً من آرائهم السابقة. لكننا سنكون عادلين قدر الإمكان تجاههم. فسوف ننسى أخطاءهم السابقة لوقت ما، وسوف نزن عقيدتهم الجديدة في حد ذاتها، ووفقا لآرائهم وأسبابهم. إذن، إن تألف نظامهم يتكوّن بإيجاز من هذا: كان من المحتم على المسيح أو المسيا أن يموت من أجل الحصول على المغفرة للجنس البشري، وبالتالي تحقيق المجد الخاص به؛ وأنه بناء على قوة هذا قام حيّاً من الموت من قبره في اليوم الثالث كما تنبأ، وصعد إلى السماء، من حيث سيعود قريباً في غمام السماء بقوة ومجد عظيمين ليدين المؤمنين وغير المؤمنين، الأخيار والأشرار، ومن ثم يبدأ ملكوت المجد.

الآن الجميع سيعترفون مباشرة، كما يفعل الرسل، بأن المسيحية تعتمد كلياً على حقيقة قصة قيامة يسوع من بين الأموات. ويعلم الجميع أن الرسل قد أثبتوا ذلك كحقيقة، جزئياً من خلال أدلة حراس

بيلاطس على القبر، جزئياً من خلال أقوالهم ودعمهم، وجزئياً من خلال نبوءات العهد القديم. وسوف نتابع ونتفحص هذا الدليل الثلاثي في ثلاثة فصول منفصلة، وسننظر بعد ذلك في الوعد بعودة يسوع في الغمام في وقت محدد بوضوح ، بحيث كان ينبغي أن يكون قد حدث منذ فترة طويلة.

سنكون في وضع يسمح لنا بالحكم على حقيقة النظام. وسأبدأ بأن أضع بحرص كل التفاصيل الدخيلة جانباً والتي يمكن أن تعطي للمسيحية سمة جيدة أو منفّرة، لأنه ما من شيء يمكن الوصول إليه بأي قدر من اليقين منها؛ إنها لا تتعلّق بجوهر الموضوع، وبالتالي، لا يمكن أن تقدّم أي دليل. فقط أولئك الأشخاص الذين يعتزون بأفكارهم المسبقة ويفكرون في أخذ الآخرين من قبلهم هم عرضة للبدء بالتطفل على موضوعهم بطبقة جيدة من الظروف المختارة والمسائل الثانوية، ولإغراء العقل من قبلهم قبل أن يلمسوا أي جزء من المادة. وهم يفعلون ذلك كي يتم السماح لهم بعدها بالانزلاق بحرص إلى النقطة الرئيسة. وسوف أخطو مباشرة إلى الشيء نفسه الذي يعتمد عليه كل شيء، وبعد حجة واضحة ومميزة، سأقدّم رأيي في ذلك. إذا كان بالإمكان بهذه الطريقة إنتاج للنقطة الرئيسة أو العقيدة بشكل مقنع، فسوف نكون قادرين بثقة أكثر على انتقاد الظروف الملحقة الخارجية والمبهمة.

القسم العاشر:

السؤال الأول والأكثر أهمية هو... هنا تأتي الكسرة المتعلقة بقصة القيامة التي دمجتها أنا (ليسينغ) مع مساهمات أمين المكتبة. وهي تستمر من القسم العاشر هذا إلى القسم الثاني والثلاثين، ومع القسم الثالث والثلاثين يواصل المؤلف مادته على النحو التالي.

القسم الثالث والثلاثون:

مع ذلك، فالشهود على قيامة يسوع غير قادرين على تقديم أي أشخاص آخرين، بل هم الوحيدون الذين يدعون أنهم رأوا ذلك والذي هو بالنسبة للنزيهين الآخرين ظلّ غير مرئي، وكما في تقاريرهم، كانوا يناقضون أنفسهم بعدة طرق، وعلينا أن نذهب أبعد ونرى ما إذا كان تأكيدهم يمكن إثباته بشكل أفضل من خلال الكتاب المقدس.

كان البارز استفانوس أول من استمر بقوة في اقتناعه بقيامة يسوع، إلى درجة أنه سمح بأن يُرجم حتى الموت لأجل ذلك؛ لكن لأنه لم يستطع أن يؤيد تأكيده من خلال تجربته ولا يشير في أي موضع على الإطلاق إلى أنه رأى يسوع على قيد الحياة، أو بعد أن قام من بين الأموات، فإنه يلجأ إلى دليل وجده في كتابات العهد القديم، ومن أجل أن يسلم نفسه بكمال، يصبح مليئًا بالروح القدس. إن إثباته لحقيقة الدين المسيحي هو إثبات غريب بحدّ ذاته، وسوف أعيد مجمله

هنا. مع ذلك، سوف يرى قرّائي بأنفسهم أنه عند تقديم محتوياته الرئيسة، فأنا لا أحذف أو أحرف أي شيء أساسي[1].

إنه يبدأ بأن يقصّ علينا مائة شيء لا يهتم المرء بسماعها، والتي ليس لها أدنى علاقة بهذه المسألة؛ كيف دُعي إبراهيم من بلاد ما بين النهرين إلى كنعان، كيف أن أحفاده ورثوا الأرض بعد أربعمائة سنة، كيف خرج منه إسحق ويعقوب ويوسف، كيف تم بيع يوسف إلى مصر وكيف أصبح هناك رجلاً عظيماً، كيف أحضر عائلته، في أي مكان دفن يعقوب وأبنائه، وكيف تم إبقاء الأحفاد في العبودية، كيف ولد موسى، كيف تمت تربيته وتعليمه من قبل ابنة فرعون، كيف قتل أحد المصريين وفرّ نتيجة لذلك إلى مدين، كيف اختير بعد ذلك بأربعين سنة لتحرير إسرائيل، كيف أنجز ذلك من خلال العديد من المعجزات، وكيف حصل على الوصايا على جبل سيناء، كيف عاد الإسرائيليون

---

(1) راجع أعمال الرسل، 7: اع 7 -54: فَلَمَّا سَمِعُوا هَذَا حَنِقُوا بِقُلُوبِهِمْ وَصَرُّوا بِأَسْنَانِهِمْ عَلَيْهِ. اع 7 -55: وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَرَأَى مَجْدَ اللهِ وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ. اع 7 -56: فَقَالَ: هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ. اع 7 -57: فَصَاحُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَسَدُّوا آذَانَهُمْ وَهَجَمُوا عَلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ اع 7 -58: وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ. وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْ شَابٍّ يُقَالُ لَهُ شَاوُلُ. اع 7 -59: فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي. اع 7 -60: ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: يَا رَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هَذِهِ الْخَطِيَّةَ. وَإِذْ قَالَ هَذَا رَقَدَ. (ص 8: 1) وَكَانَ شَاوُلُ [بولس] رَاضِياً بِقَتْلِهِ.

إلى الوثنية المصرية المتجلية بعبادة العجل، مولوك ورمفان، كيف حصلوا على خيمة العهد ونقلوها إلى الأرض حتى زمن داود. كيف أراد داود بناء بيت، وكيف بناه سليمان فعلاً، على الرغم من أن الله لا يسكن في البيوت. الآن، ألا يرد هذا السؤال إلى ذهن أحد: لماذا هذه الحكاية الطويلة، التي لا علاقة لها بيسوع أو بقيامته؟ لأنه إذا كان يسوع قد جيء به إلى ارض كنعان مع خيمة العهد أو داخلها فالأمر غير مفهوم لأي كان. لكن صبراً! الآن يأتي الدليل. فعلى أية حال، يبدأ استفانوس بالإساءة إلى المجلس الأعلى. «اع 7 -51: يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ أَنْتُمْ دَائِماً تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذلِكَ أَنْتُمْ! اع 7 -52: أَيُّ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ؟ وَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ. اع 7 -53: الَّذِينَ أَخَذْتُمُ النَّامُوسَ بِتَرْتِيبِ مَلاَئِكَةٍ وَلَمْ تَحْفَظُوهُ».

هنا، يبدو أن شرحه قد وصل إلى نهايته، وأن لا شيء ناقص غير الـ QED[1]. لكن كون «قُسَاةَ الرِّقَابِ، القتلة الغدّارون، أعضاء مجلس الشيوخ الملحدون، أضحوا غاضبين بدلاً من الإيمان به، يملأ استفانوس فجأة بالروح القدس، ينظر إلى السماء، ويرى مجد الله، ويخبرهم أنه يرى يسوع واقفًا هناك! إنه لأمر مؤسف أنه من بين هؤلاء

(1) هي عبارة عن الأحرف الأولى من الجملة اللاتينية "quod erat demonstrandum"، أي، "ما كان يجب إثباته" أو "ما كان يجب أن يظهر».

الرجال السبعين المتنورين لا يوجد أحد لديه عيون نقيّة بما يكفي لرؤية كل هذا أيضاً. بالنسبة للإنسان المفرد استيفانوس الأمر مرئي له وحده فقط، ولهذا السبب فإنه من المستحيل بالنسبة لهم أن يقبلوا بدليله البصري. فيُحكم عليه، ويُرجم.

القسم الرابع والثلاثون:

محاولة أخرى بارعة إلى حد ما لإثبات الدين المسيحي، وقيامة يسوع، يقوم بها بولس في كنيس أنطاكية[1]. إنه يبدأ بالتوقيع بيده على أن يلتزم الجمهور بالصمت، ثم يقول:

«اع 13 -16: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ اسْمَعُوا».

لاحظ، يا قارئي، أنني سأدع بولس يتكلم، ومع ذلك فهو يكشف عن أفكاري الخاصة أيضًا، والتي، إذا ما وضعت نفسي في مكان الأنطاكيين الذين -كانوا -سيعتنقون -الدين، كانت ستدخل إلى ذهني في خطاب بولس هذا.

اع 13 -17: إِلَهُ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ هَذَا اخْتَارَ آبَاءَنَا وَرَفَعَ الشَّعْبَ فِي الْغُرْبَةِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَبِذِرَاعٍ مُرْتَفِعَةٍ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا[2].

(1) سفر أعمال الرسل، 13.

(2) راجع: تث 7 -6: لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ.

من المؤكد أن هذه بداية بأسلوب عظيم! « اع 13 -18: وَنَحْوَ مُدَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً احْتَمَلَ عَوائِدَهُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ. اع 13 -19: ثُمَّ أَهْلَكَ سَبْعَ أُمَمٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ(1) وَقَسَمَ لَهُمْ أَرْضَهُمْ بِالْقُرْعَةِ».

ما المقصود من كل هذا ؟ ما هي علاقته بالسؤال؟

«اع 13 -20: وَبَعْدَ ذَلِكَ فِي نَحْوِ أَرْبَعِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً أَعْطَاهُمْ قُضَاةً حَتَّى صَمُوئِيلَ النَّبِيِّ. اع 13 -21: وَمِنْ ثَمَّ طَلَبُوا مَلِكاً فَأَعْطَاهُمُ اللهُ شَاوُلَ بْنَ قَيْسٍ رَجُلاً مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. اع 13 -22: ثُمَّ عَزَلَهُ وَأَقَامَ لَهُمْ دَاوُدَ مَلِكاً الَّذِي شَهِدَ لَهُ أَيْضاً إِذْ قَالَ: وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي».

كل هذا عرفناه من الكتاب المقدس. ماذا على أرض الواقع سيستخرج منه؟

اع 13 -23: مِنْ نَسْلِ هَذَا حَسَبَ الْوَعْدِ أَقَامَ اللهُ لإِسْرَائِيلَ مُخَلِّصاً يَسُوعَ.

لكن، يا عزيزي بولس، حتى لو ثبت ذلك، أما كان من الأفضل أن نترك كل القصص المعروفة لبني إسرائيل، وأن نجعل هذا الوعد صحيحاً، نظهر معناه الحقيقي، وأن نوضح أنه لم يكن ليشير لإنسان غير يسوع؟

---

(1) في نص رابماروس، في البرية.

«اع 13 -24: إِذْ سَبَقَ يُوحَنَّا فَكَرَزَ قَبْلَ مَجِيئِهِ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ. اع 13 -25: وَلَمَّا صَارَ يُوحَنَّا يُكَمِّلُ سَعْيَهُ جَعَلَ يَقُولُ: مَنْ تَظُنُّونَ أَنِّي أَنَا؟ لَسْتُ أَنَا إِيَّاهُ لَكِنْ هُوَ ذَا يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ أَحُلَّ حِذَاءَ قَدَمَيْهِ».

يجب علينا، على ما أعتقد، أن نعذر القفزة السريعة من نبوءات الأنبياء إلى يوحنا المعمدان. لكن إذا كان هذا لإثبات الاقتراح السابق، فإن الاستنتاج منه هو أن يوحنا كان يبشّر بالتوبة، ويشير إلى يسوع باعتباره المسيّا؛ وليس أن يسوع الناصرة كان قد وعد به أي من الأنبياء ليكون مخلّص إسرائيل. إذا كان دليل يوحنا وحده سوف يظهر من ثم أن يسوع هذا هو المسيا، يجب أن نرفض قبول شهادته، لأنه لم يُثبت لنا ذلك من العهد القديم، كما أنه لم يؤكّد من خلال أية معجزات أو نبوءات بأنه نبي جديد، والذي علينا أن نؤمن به. هذا ما نعرفه عنه، من أنه كان أحد أقارب يسوع المقربين.

«اع 13 -26: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ بَنِي جِنْسِ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ بَيْنَكُمْ يَتَّقُونَ اللهَ إِلَيْكُمْ أُرْسِلَتْ كَلِمَةُ هَذَا الْخَلاَصِ».

يبدو العنوان ساحراً، وربما أنه في موضع آخر يستولي على الذهن، لكننا لم نصل بعد إلى أن نكون مقتنعين بكلمة هذا الخلاص. لم نفهم بعد منها أن الأنبياء القدامى تكلموا عن يسوع الناصري كمخلّص، ولا أنه يجب أن يكون مخلّصاً لأن يوحنا قال ذلك. أن يعد واحدنا ذاته بالخلاص دونما قناعة، يعني أن تتملق الذات بأمل خامل؛

وأن يتخلّى المرء عن ديانته ويعتمد ديانة جديدة دون أي سبب، يعني أن تلعب بالدين.

«اع 13 -27: لأَنَّ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ وَرُؤَسَاءَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا هَذَا. وَأَقْوَالُ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُقْرَأُ كُلَّ سَبْتٍ تَمَّمُوهَا إِذْ حَكَمُوا عَلَيْهِ. اع 13 -28: وَمَعْ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا عِلَّةً وَاحِدَةً لِلْمَوْتِ طَلَبُوا مِنْ بِيلاَطُسَ أَنْ يُقْتَلَ. اع 13 -29: وَلَمَّا تَمَّمُوا كُلَّ مَا كُتِبَ عَنْهُ أَنْزَلُوهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَوَضَعُوهُ فِي قَبْرٍ».

إذا لم يسمع حكامنا عن أي دليل آخر على يسوع، غير ما سمعنا به نحن الأنطاكيين، حتى اليوم، لم يكن بإمكانهم أن يعترفوا به كمخلص. لأنه عند هؤلاء الأنبياء بالذات، الذين تقرأهم كل يوم سبت، لا يذكر اسمه في أي موضع، ولا يمكننا أن نجد عندهم أي علامة يمكن أن تحيلنا إلى هذا الشخص. لكنه، على الرغم ادعائه أنه مسيا، لا يمكننا أن نندهش من أن المجلس الأعلى كان عليه أن يدينه حتى الموت.

بكلّ إنصاف، يجب أن نوافق على أن القضاة تفوهوا بالحكم الصحيح، أن هؤلاء الرجال السبعين المتعلّمين لم يتمكنوا من العثور في يسوع على أي أثر للعلامات النبوية، وعلينا كذلك أن نسلّم بأن هؤلاء الحكام البارزين للشعب كانوا يتوقعون الاضطراب والارتباك اللذين كانا سينشآن عن سلوكه، ومنعوا ذلك.

«اع 13 -30: وَلَكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. اع 13 -31: وَظَهَرَ أَيَّاماً كَثِيرَةً لِلَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ هُمْ شُهُودُهُ عِنْدَ الشَّعْبِ»(1).

نعم، ولكن حتى لو كان قد قام من بين الأموات، فإنه لا يتبع ذلك أنه كان المخلّص، لأننا قرأنا في الكتاب المقدس عن الآخرين الذين أقامهم الله من بين الأموات، لكن لا أحد منهم، يقال عنه ذلك. كان مقدراً له أن يكون المسيا الذي للشعب. وبصورة خاصة، لأن يسوع قام من الموت فنحن ليس لدينا أسس طيبة للإيمان. الشهود هم تلاميذه وأتباعه، أناس سمعتهم عندنا ليست طيبة. وقد حذّر مجلس الشيوخ في القدس منهم بوضوح، قائلاً، إن هؤلاء التلاميذ جاءوا إلى القبر سراً، في الليل، وسرقوا جسد يسوع، وأنهم الآن كانوا في طريقهم، لإعلان أنه قد قام من بين الأموات. ويجب ألا ينحى علينا باللائمة لأننا نثق بأعضاء المجلس الأعلى أكثر من مثل هؤلاء الشهود غير المهمين والمشكوك فيهم.

«اع 13 -32: وَنَحْنُ نُبَشِّرُكُمْ بِالْمَوْعِدِ الَّذِي صَارَ لآبَائِنَا اع 13 -33: إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هَذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضاً فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»(2).

---

(1) في نص رايماروس: الذين صعدوا معه إلى أورشليم وكانوا شهوده أمام كلّ العالم.

(2) مز 2 -7: إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. مز 2 -8: اِسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ. مز 2 -9: تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءِ خَزَّافٍ تُكَسِّرُهُمْ.

إذن، تريد أنت يا بولس أن تقنعنا ببهجة، ليس من خبرتك الشخصية كشاهد، بل من نبوءات الكتاب المقدس، أن الله أقام يسوع من الموت. وأنا هنا أدعوكم أن تنظروا في المزمور الثاني، وتخبرونا من أين تؤكّد هذه الكلمات -«أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»، أنها تعادل الكلمات التي تقول، «في أحد الأيام البعيدة سوف أقيم يسوع الناصري، ابن يوسف، من الموت».

من يستطيع أن يسمح بتفسيراتك للكتاب المقدس؟ لا يعدّ النّص بأنّ أي أحد في المستقبل سيقوم من بين الموتى، ولا أنّ أي أحد من الذين سيقومون من بين الأموات سيكون ابن الله، ولا، من ناحية أخرى، أنّه من هو ابن الله يجب أن يقوم من بين الأموات أو أن يسوع الناصري هو ابن الله. يمكننا أن نحرّف النص ونلويه كما نشاء، لكن لا شيء يمكن أن يخرج منه له أدنى علاقة باقتراحك. من الطبيعي أن نفترض أن الكلمات هي لداود، الذي قبله الله على أنه محبوبه وابنه، ومن راعٍ صنع ملكاً. ويخبرنا داود أن الرب تكلّم معه (أي من خلال صموئيل وناثان)، قائلاً: «مز 2 -7: إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: أَنْتَ (داود) ابْنِي (محبوبي ومصطفاي). أَنَا الْيَوْمَ (الآن ومن الآن فصاعداً) وَلَدْتُكَ (قبلتك كإبن، وانتخبتك ملكاً)». إن كل مزمور إيثان[1] هو شرح لهذه الكلمات.

---

(1) 89: مز 89 -21: وَجَدتُ داوِدَ عَبْدي ومَسَحتُه بِزَيتِ قَداسَتي. مز 89 -22: معَه تَثبُتُ يَدي وذِراعي أيضًا تُقَوِّيه. مز 89 -23: العَدُوُّ لا يَخدَعه وابنُ الإِثمِ لا يُذِلُّه مز 89 -24: وأسحَقُ مِن أمامِ وَجهِه مُضايِقيه وأضرِبُ مُبغِضيه. مز 89 -
==

يُقدّم الله، على أنه يقول ما يلي: «مز 89 -4: مع مُخْتاري عَهْدًا قَطَعتُ ولداوُدَ عَبْدي أقسَمتُ. مز 89 -5: لأثبتَنَّ نَسلَكَ لِلأبد ولأبنِيَنَّ عَرشَكَ مَدى الأجْيال». فيقول النبي عندئذٍ: «مز 89 -20: خاطَبتَ قديمًا أصفِياءَكَ في رُؤيا وقُلتَ: إنِّي نَصَرتُ جبارًا ورفَعتُ مِن بَين الشَّعبِ مُخْتاراً. مز 89 -21: وَجَدتُ داودَ عَبْدي ومَسَحتُه بِزَيتِ قَداسَتي. مز 89 -27: يَدْعوني قائلاً: أنتَ أبي وإلهي وصَخرَةُ خَلاصي. مز 89 -28: وأنا أجعلُه بِكْرًا فَوقَ مُلوكِ الأَرضِ عَلِيًّا. مز

25: معَه أمانَتي ورَحمَتي وبِاسمي تَعتَزُّ قُوَّته مز 89 -26: فأجعَلُ على البَحرِ يَدَه وعلى الأنهارِ يمينَه. مز 89 -27: يَدْعوني قائلاً: أنتَ أبي وإلهي وصَخرَةُ خَلاصي. مز 89 -28: وأنا أجعلُه بِكْرًا فَوقَ مُلوكِ الأرضِ عَلِيًّا. مز 89 -29: لِلأبدِ أَحفَظُ لَه رَحمَتي وأبْقى معه أمينًا لِعَهدي. مز 89 -30: أجعَلُ نَسلَه أبديًّا وعَرشَه مِثْلَ أيَّامِ السماء. مز 89 -31: إن تَرَكَ بَنوه شَريعَتي ولم يَسيروا على أَحْكامي مز 89 -32: إن انتَهَكوا فَرائِضي ولم يَحفَظوا وَصاياي مز 89 -33: أفتَقِدُ بِالعَصا مَعصِيَتَهم وبِالضَّرَباتِ إِثمَهم. مز 89 -34: لَكِنِّي لا أقطَعُ عنه رَحمَتي ولا أخونُ أمانتي. مز 89 -35: لا أنتَهِكُ عَهْدي ولا أُغَيِّر ما خرجَ مِن شَفَتَي. مز 89 -36: أقسَمتُ مرَّةً بِقَداسَتي ألاَّ أكذِبَ على داوُد. مز 89 -37: يَدومُ نَسلُه لِلأبد وعَرشُه كالشَّمسِ أمامي. مز 89 -38: مِثْلَ القَمَرِ يَكونُ لِلأَبدِ ثابِتًا وشاهِدًا في الغُيومِ أمينًا. سلاه مز 89 -39: لَكِنَّكَ نَبَذتَ ورَذَلتَ وعلى مَسيحِكَ غَضِبتَ. مز 89 -40: عن عَهدِ عَبدِكَ أعرَضتَ وتاجَه في التُّرابِ دَنَّستَ. مز 89 -41: حَطَّمتَ أَسْياجَه كلَّها وجَعَلتَ حُصونَه خَرابًا مز 89 -42: سَلَبَه كُل عابِرِ سَبيل وصارَ عارًا لِجيرانِه. مز 89 -43: أعلَيتَ يَمينَ مُضايِقيه فرحتَ جَميعَ أَعدائه مز 89 -44: رَدَدتَ حَدَّ سَيفِه ولم تَنصُرْه في القِتال. مز 89 -45: وضَعتَ حدًّا لِبَهائه والى الأرضِ نَكَّستَ عرشَه مز 89 -46: قَصَّرتَ أيَّامَ شَبابِه وبِالخِزْيِ شَمِلتَه. سِلاه

89 -29: لِلأبدِ أَحفَظُ لَه رَحمَتي وأَبْقى معه أَمينًا لِعَهدي». لا شك، من ثم، أنه يجب أن يكون داود هو من يتكلّم الله عنه في المزمور الآخر، حيث يُدعى، كما في هذا، ابن الله، المختار، البكر الذي سيدعو الله أباه. وباللغة النبوية، فقد ولده الله — هذا يعني أنه قبل به كابن، بالطريقة ذاتها التي ولد بها الله (كما قال موسى) إسرائيل (الذي يسمّى أيضاً ابن الله)، ومرة أخرى بالطريقة ذاتها التي فيها، وفقاً للنبي، ولد إسرائيل الغرباء الذين تم قبولهم في الكنيسة.

ولكن ما الذي يثبته كل هذا عن يسوع الناصري؟ «اع 13 -34: وأمَّا أن أقامَه مِن بَينِ الأمواتِ ولَن يَعودَ إلى الفَسادِ[1]، فقَد ذَكَره في قَولِه: سأُعطِيكُم خَيراتِ داوُدَ المُقَدَّسَة».

قد يكون الآخرون قادرين على فهم طريقة البرهنة هذه. بالنسبة لنا الأمر ذكي للغاية. فوفقاً لها، فإن كلمات، «اع 13 -34: إنّي سَأُعْطِيكُمْ مَرَاحِمَ دَاوُدَ»، لها المعنى ذاته الذي لكلمات، «سأقيم يسوع الناصري من الموت، بتلك الطريقة التي تضمن أنه من الآن فصاعداً لن يعود إلى القبر». يبدو لنا وكأن إشعياء يقول، إنّ الله سيقيم عهداً أبدياً مع بني إسرائيل، ويمنحهم الحظ السعيد ذاته الذي وعد داود به، والذي هو الوعد الذي حافظ عليه، أي، أن أمماً عديدة سوف تكون خاضعة له. يشرح إشعياء نفسه بهذا المعنى في الآية التالية

(1) في نص رايماروس، القبر.

تحديداً: اش 55 -4: هُوَذَا قَدْ جَعَلْتُهُ (داود) شَارِعاً لِلشُّعُوبِ رَئِيساً وَمُوصِياً لِلشُّعُوبِ.

لذلك يقول هو أيضاً في موضع آخر (المزمور 16 : 10): «مز 16 -10 : لأَنَّكَ ... لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَاداً»، لان داود بعدما خدم جيله، سقط نائماً، ووضع بين آبائه ورأى الفساد؛ لكن الذي بعثه الله من جديد لم ير الفساد.»

إذا وضعنا أيدينا من ثم على هذه الحجة ، فسيبدو الأمر أكثر تميزاً.

المزمور يتحدث عن شخص لا يرى الفساد؛ لكن داود رأى الفساد. لذلك لم يكن من الممكن أن يكون داود هو الذي يتحدث عنه المزمور. ونعيد مرة أخرى، «من أقامه الله لم يرَ فساداً»؛ لكن الله أقام يسوع ، لذلك لم ير يسوع فساداً، لذلك فيسوع هو الذي يتحدث عنه المزمور. نقول الآن ، يا بولس، فيما يتعلق باستدلالك الأول، السؤال هو، ما إذا كانت كلمتا «يرى فساداً» يجب أن تؤخذا حرفياً، أو ما إذا كانتا تشيران إلى زمن معين، وإلى خطر الموت الوشيك. أعتقد أن أي شخص على دراية بلغة داود لن يجد أي شيء غير عادي في هذه الكلمات. ومن المعروف أنه في موضع آخر، فإن داود، في ظل العنوانين، «القدوس» و«التقي»، لا يعني شيئاً غير نفسه، ويرى المرء بوضوح أنه هنا، في هذا المزمور بالذات، يمتدح مساعدة الله، التي أنقذته من خطر الموت الذي هدده به شاؤول، ألقت بقسمته في

الأماكن الممتعة، وأعطته ميراثاً عادلاً. في ذلك الوقت، لم يكن دون سبب وجيه أنه كان يأمل ويصلي: «لن تترك نفسي (لن تتركني أنا) في الجحيم (مملكة الموتى)، لن يعاني تقيك (داود) في رؤية الفساد (القبر)، لكنك ستمنحه قريباً حياة أطول، بحيث يمكن أن يستفيد من مراحمك الموعودة». «في موضع آخر، يتحدث داود من جديد عن حياة طويلة: «ما من أخ يمكنه أن ينقذ الآخر من الموت، على الرغم من أنه يعيش طويلاً، ولا يرى الفساد». وهكذا، «لا يرى الفساد»، لا تعني «أن لا يموت على الإطلاق»، أو «أن لا يكون ميتاً إلى الأبد»، بل ببساطة «أن لا يموت على الفور»، أو «أن لا يموت قريباً»، باختصار، العبارة تعني، «العيش لفترة أطول». لأنه يتحدث بعد ذلك مباشرة عن أولئك الذين لا يرون الفساد، «وسوف يُرى أن هؤلاء الحكماء سوف يموتون (في النهاية)، مثل الجهلاء»[1]. وفي موضع آخر، نقرأ: «مز 89 -49: أيُّ إنْسانٍ يَحْيا ولا يَرى المماتَ؟ ومَنْ يُنَجِّي نَفسَه من يَدِ مَثْوى الامْواتِ؟» لذلك، يا بولس، اقتراحك الأول أن المزمور يتحدث عن شخص والذي لن يرى الفساد، أو لن يرى الفساد أبداً، هو غير صحيح. ما الذي سيدفع بنا إلى أن نترك داود ذاته، في حين يتحدّث هو عن ذاته، من خلال المزمور كله، ويستخدم دائماً الكلمات الشائعة ـ أنا، خاصتي، مع نفسي، وما إلى ذلك؛ وكيف

(1) راجع: مز 49 -10: أفبَعدَ ذلِكَ للأَبَدِ يَحْيا والهوةَ لا يَرى؟ مز 49 -11: بل يَرى الحُكَماء يَموتون الجاهِلَ والغَبِيَّ كِلاهُما يَهلِكان فيَتركانِ ثَروتَهما لِلآخَرين.

أمكن لداود أن يتخيل أو يتوقع، عندما يتكلّم بهذه الطريقة، أن أي شخص يجب أن يفكر بيسوع الناصري، وهو رجل لم يكن قد ولد؟ في حجتك الأخرى، يا بولس، يبدو أنك نسيت ما أردت إثباته، لأن نقطتك الرئيسة، التي كان ينبغي إثباتها، نراك تعتبرها مسلمة في الأصل دونما دليل. الآن فالنقطة الرئيسة التي يجب إثباتها، بحسب قولك، هي أن «الله أقام يسوع بمثل هذه الطريقة بحيث أنه لن يعود إلى القبر بعدها». وفي حجتك الأخرى، أنت تقبل كالسابق أن الله أقام يسوع، ومن ثم تستنتج أن المزمور يقول عن يسوع إنه لم يرَ فساداً. وبالتأكيد لا يمكن أن نطلق عليه إثباتًا ـ قبول ذلك الذي يجب أن يبرهن عليه، دون دليل، بوصفه العنصر الشرطي في القضية. لا يمكن أن يأتي شيء من هذا سوى متبطل يجادل في دائرة. أنت تقول: «لقد أقام الله يسوع». وأنا أسأل: «كيف يمكنك إثبات ذلك؟» إجابتك: «لأنه هو نفسه الذي يقول عنه داود إنه لن يرى الفساد». وأنا أسأل: «لماذا كان على داود أن يعني بالضرورة يسوع، وكيف لنا أن نعرف أن يسوع لم ير الفساد؟» إجابتك: «لأنه أقيم؛ فالذي أقامه الله، لم ير الفساد.»

القسم الخامس والثلاثون:

لا أدعي التأكيد على أن أفكار الأنطاكيين، أثناء الاستماع إلى خطاب بولس، كانت هي أفكاري ذاتها، لكن كما في هذه الأيام يجب أن نكون في كثير من الأحيان أنطاكيين، ويجب أن نستمع إلى أدلة بولس عن القيامة والديانة المسيحية، أقول بصراحة إنه مهما تكن

النزاهة في شروعي بالعمل، لا أستطيع أن أستخلص أي استنتاج آخر منه. وكل واحد تقدّم حتى الآن في التفكير بحيث يكون قادراً على الوصول من الخطاب الجامح إلى استنتاجات عامة، وبالتالي اختباره، سيتفق معي، بأنه لا يمكن انتزاع أي استدلال آخر من خطاب بولس. وهكذا، من الواضح تماماً أن دليل الكتاب المقدس القديم عن قيامة يسوع لا يمكن أبداً أن يثبت برهانه أمام كرسي الحكم للعقل السليم، وهو لا يحتوي إلا على تهرّب من السؤال بائس وملموس بالنسبة للحلقة.

الآن فإنّ هذه الأدلّة من استيفانوس وبولس هي الأكثر أهمية وظرفية في العهد الجديد، والتي يتم إدخالها في الفصلين الثاني والثالث من أعمال الرسل لإقحام، من خلال الكتاب المقدس، أن افتراض قيامة لا يحتوي على شيء جديد، لا شيء يميزها عن هاتين الشهادتين؛ لذلك، سيكون من غير الضروري العودة إلى ذلك مرة أخرى. وسأفحص لاحقًا أدلة العهد القديم التي قدمها الإنجيليون. لكن ما قلته أعلاه أعتقد أن كل واحد سوف يرى فيه الكثير: أنه إذا كان لا يمكن لأحد أن يفترض بحسن نية أن النقطة الرئيسة من العهد الجديد يجب أن تُثبت، أي، العبارة القائلة: «هذا القول يشير إلى يسوع الناصري»، فما من نص من أقوال الكتاب المقدّس الأخرى تثبت أي شيء. إنها تشير بشكل طبيعي إلى أشخاص، أزمنة، وحوادث مختلفين تماماً. ومن بين الإنجيليين ما من أحد يقدّم الكثير من الاقتباسات من

الكتاب المقدس مثل متى. ومع ذلك لا يوجد شيء أكثر وضوحاً مثل البحث في صفحات الكتاب المقدّس، حيث أنها إما أنه لا يمكن العثور عليها هناك على الإطلاق، أو أنه ليست في تلك الكتب التي تدعي أنها مأخوذة منها، أو أن الكلمات محرّفة. بالنسبة للذهن العقلاني، فهم، جميعهم، لا يحتوون على أي شيء في حد ذاته والذي على أساس منه يقدّم متى آياته، وعندما تقرأ النص في سياقه، لا يمكن أن يعتبر الأمر من ثم إلا مراوغة مجرّدة في رمزية قسرية. وهذا جدير بالملاحظة على نحو خاص حين يقتبس يونان كعلامة على قيامة يسوع المستقبلية. كيف يمكن لأي شخص عاقل أن يربط مثل هذا الدلالة بأي من هذه الإشارات؟ قرأت أن هناك نبيًا اسمه يونان والذي لم يكن ليكرز بالتوبة لأهل نينوى الوثنيين وفرّ إلى البحر. هل عليّ، إذن، أن أستنتج أنه كان هناك شخص اسمه يسوع والذي جاء من الناصرة والذي كان سيكرز بالتوبة إلى الإسرائيليين، وبالتالي لم يطر إلى البحر، بل ذهب طواعية إلى القدس كي يعاني ويموت؟ قرأت كذلك أن يونان ألقي من قبل البحارة في اليم أثناء عاصفة، ومرت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وهو على قيد الحياة، داخل النون. فهل لي أن أخلص إلى أن يسوع الناصري قد مرّ، ليس لثلاثة أيام وثلاث ليال، بل ليوم وليلتين، ليس في البحر، بل على الأرض، ليس حياً بل ميت في قبر في صخرة؟ مهارتي في استخلاص النتائج لا تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك.

القسم السادس عشر:

لقد ثبت حتى الآن أن النظام الجديد الذي اعتمده الرسل، حول معاناة روحية للمخلّص، الذي كان من المقرر أن يقوم من بين الموتى، وأن يرجع بعد صعوده من السماء بقوة ومجد عظميين، هو نظام زائف في أول مبدأ رئيس له، أي القيامة من بين الموتى؛ أولاً، لأنّ الدليل الذي تمّ إيراده آنفاً حول الحرّاس الرومان، في متى، إنما هو غير مناسب إلى حد كبير، ولا يشار إليه في أي موضع آخر من قبل الإنجيليين أو الرسل الآخرين. على العكس من ذلك، إنه يتناقض مع العديد من الظروف. وهكذا فإن القول، الذي أضحى متداولاً بين اليهود، أي، أن التلاميذ جاءوا ليلاً وسرقوا الجسد، وبعد ذلك قالوا إنه قام، لا يبقى ممكناً تماماً فحسب، بل محتمل جداً. ثانياً، لأن التلاميذ أنفسهم، كشهود على قيامة يسوع، لا يختلفون فقط بشكل صادم في النقاط الأساسية لتوكيداتهم، بل إنهم أيضاً، وبطرق متعددة، يتناقضون بشكل واضح وكبير واحدهم مع الآخر. ثالثاً، إن دليلهم على القيامة وعلى نظامهم برمته من خلال كتابات العهد القديم، وعدد من الأشياء التي لا علاقة لها به، إنما هو يتألّف من التوبيخ والسخرية، تشويه جمل الكتاب المقدس، الاستنتاجات الخاطئة، والتسوّل Petitionibus Principii. والآن، نصل إلى المبدأ الآخر للنظام الجديد للرسل، ألا وهو: أن يسوع، بعد صعوده، سيعود قريباً من السماء بالقوة والمجد العظيمين.

الفصل الرابع

مذهب عودة يسوع

القسم السابع والثلاثون:

من الأفضل أن نفهم هذا الادعاء ونكتشف زيفه، وسأذكر هنا بعض الحقائق. أولاً، يجب أن يُعرف أن اليهود أنفسهم لديهم نظامان مختلفان للمسيا الخاص بهم. فمعظمهم، في الواقع، كان يتوقع في مثل هذا الشخص حكماً دنيوياً، والذي كان ينبغي أن يحرّرهم من العبودية، ويجعل الأمم الأخرى خاضعة لهم. في هذا النظام لم يكن هناك سوى الروعة والمجد، لا معاناة سابقة، لا عودة؛ كان يجب أن تبدأ المملكة التي رُغب بها لزمن طويل عند قدوم المسيا. مع ذلك، كان هناك بعض الأشخاص الآخرين الذين قالوا إن المسيا سيأتي مرتين، وفي كل مرة بطريقة مختلفة تمامًا عن الأخرى. المرة الأولى كان سيظهر ببؤس، وكان سيعاني ويموت. المرة الثانية كان سيأتي في غمام السماء، ويتلقى سلطة غير محدودة. ويقرّ اليهودي أطريفون عند يوستينيانوس الشهيد بالمستقبل ذي الشقين هذا للمسيا. وهو موجود في التلمود وكذلك في كتابات يهودية أخرى. حتى أن اليهود الأكثر حداثة قد صنعوا مسيا مضاعفاً من هذا المجيء ذي الشقين؛ واحد من سبط يوسف الذي كان سيعاني ويموت؛ وآخر من سبط يهوذا، المنحدر من داود، الذي كان سيجلس على عرشه ويحكم. لقد حاول اليهود

بجديّة، في زمن العبودية، أن يقوّوا الأمل الحلو الذي سُرّوا به حول مخلّص، من خلال مقاطع كثيرة من الكتاب المقدس، حيث أنهم، بمساعدة استعارات فريسية، وجدوا مسياهم في أقوال لا تحصى، وفي كل الاتجاهات تقريبًا. ولهذا السبب، فإن المقاطع، التي لم تتضمن في حد ذاتها أي إشارة إلى ذلك، كانت متناقضة مع بعضها بعضاً بحيث أنه كي يجعلوها متناغمة كلّها لم يكن باستطاعة اليهود أن يساعدوا أنفسهم بأي طريقة غير تخيل مسيا ذي شقين. وعلى سبيل المثال، كان يُعتقد أن زكريا أشار إلى المسيا عندما قال: «زك 9 -9: إبتَهجي جِداً يا بِنتَ صِهْيون وآهتِفي يا بنتَ أُورَشَليم هُوَذا مَلِكُكَ آتِياً إِلَيكِ باراً مُخَلِّصاً». لكنه، مرة أخرى، يصفه بأنه «زك 9 -9: وَضيعاً راكِباً على حمارٍ». وهكذا كان هناك العديد من المقاطع الأخرى في الكتاب المقدس والتي بدت لهم، على ضوء بعض الظروف، على أنها تتحدّث عن الملك والمخلّص المأمول، لكنهم مازالوا يخلطون بين وضعه البائس والظلم والاضطهاد. وفي تناقض مع هذا، يرى دانيال، في رؤياه الليلية، ما يلي: «دا 7 -13: كنتُ أَنظر في رُؤيايَ لَيلاً فإِذا بِمِثْلِ آبنِ إِنسانٍ آتٍ على غَمامِ السَّماء فبَلَغَ إِلى قَديمِ الأَيَّام (واحد منكوب بالسنوات) وقُرِّبَ إِلى أَمامِه. دا 7 -14: وأُوتِيَ سُلْطاناً ومَجداً ومُلكاً فجَميعُ الشُّعوبِ والأُمَمِ والأَلسِنَةِ يَعبُدونَه». ليس لدينا هنا إلا القوة والعظمة، كما هو الحال في العديد من المقاطع الأخرى المتعلّقة، وفقاً للأفكار اليهودية، بالمخلّص الموعود. نتيجة لذلك، فالقليل من اليهود، الذين جمعوا بين الروايتين، استطاعوا بالكاد أن

يفشلوا في التوصّل إلى الفكرة القائلة إن المسيا سيأتي مرتين، وفي كل مرة بطريقة مختلفة تمامًا عن الأخرى. ويرى المرء بنفسه أن رسل هذا النظام، مهما كانوا قليلين، استخدموه أكثر من ذلك لأن نظامهم الأول والأكثر قبولاً، بسبب فشله، قد تم وضعه جانباً؛ ويرى المرء أيضًا أنه بعد موت يسوع كمسيا، وعدوا أنفسهم بمستقبل مجيد منه.

علاوة على ذلك، يجب أن يُعرف أن اليهود تصوروا أن قيامة الموتى ستحدث بعد المجيء الثاني للمسيا، عندما سيدين الأحياء والأموات، ومن ثم سيبدأ ملكوت السماوات أو العالم الآخر، لكنهم، على أية حال، لم يعنوا بذلك، مثل مسيحيي زمننا الحالي، أبدية سعيدة أو بائسة بعد نهاية العالم؛ لكنهم قصدوا الحكم المجيد للمسيا على هذه الأرض، والذي يجب أن يعوضهم على وضعهم السابق ومن ثم الحالي. لذلك كان الرسل ملزمين، في عقيدتهم الجديدة، بأن يعدوا بعودة مختلفة للمسيح من بين الغمام، والتي من خلالها سيتم تحقيق كل ما كانوا يأملون به دون جدوى، والتي من خلالها، بعد صدور الحكم، سيدخل أتباعه المخلصون في ميراث الملكوت. ولو لم يكن الرسل قد وعدوا بمثل هذه العودة المجيدة للمسيح، لما كان هناك إنسان سيشغل ذاته بمسياهم، أو بالاستماع لوعظهم. كانت هذه المملكة المجيدة عزاء بني إسرائيل في كل محنهم؛ وفي الأمل المحدد بها تحملّوا كل بلية، وتخلّوا عن طيب خاطر عن كلّ ما لديهم، لأنهم كانوا يتوقعون الحصول عليهم مرة أخرى مائة ضعف.

القسم الثامن والثلاثون:

الآن إذا كان الرسل قد قالوا في ذلك الوقت أنه سيكون حوالي سبع عشرة سنة، ثماني عشرة سنة، أو عدة مئات من السنين قبل أن يعود المسيح في غمام السماء ويبدأ ملكوته، وكان الناس ببساطة يضحكون عليهم، فهم بطبيعة الحال فكّروا من خلال وضعهم لتحقيق الوعد بعيداً خلف حياة العديد من البشر والأجيال، أنهم كانوا يسعون فقط لإخفاء خزيهم وخزي معلّمهم. ما من يهودي فصل حتى الآن المجيء الثاني للمسيا عن المجيء الأول؛ وحيث أن الأول كان لا بد أن يحدث بسبب الثاني، لم يكن هناك سبب وجيه لعدم بدء ملكوت المجد في القريب العاجل. من كان سيشارك بوسائل عيشه أو ثروته من أجله، ويجعل نفسه فقيراً قبل الوقت وبلا طائل؟ من أين أمكن للرسل أن يستخلصوا الوسيلة التي كانوا يقتسمون بها بكثرة شديدة مع المتحولين الجدد إلى الدين؟ كان من الحتمي إذن أن يعِد الرسل بالمجيء الثاني للمسيح وملكوت المجد في الوقت المناسب، أو في جميع الأحوال خلال حياة اليهود الذين كانوا موجودين آنذاك. والأقوال التي تعزا إلى المسيح إنما تشير إلى عودته قبل موت ذلك الجيل من اليهود.

في الإصحاح الرابع والعشرين من متى، عندما يتحدث يسوع عن دمار أورشليم ومجيئه الثاني، يسأله التلاميذ: «مت 24 -3: قُلْ لَنا متى تكونُ هذه الأُمور وما عَلامَةُ مَجيئِكَ وِنهايةِ العالَم؟». بنهاية العالم كانوا يعنون، وفقاً للغة اليهودية، نهاية الزمن الذي يسبق ملكوت المسيا، أو زوال الملكوت الحالي، الذي كان من المفترض أن يرتبط

مباشرة بالملكوت الجديد. وينسب الرسل والمبشرون إلى معلّمهم إجابة تبدأ بتحذيرهم من أي مسحاء أو مسيات كاذبين الذين قد يتظاهرون بأنهم هو ذاته قبل أن تأتي النهاية، فيقول: «مت 24 -29: وعلى أثرِ الشِّدَّةِ في تلكَ الأيَّام، تُظلِمُ الشَّمس، والقَمَرُ لا يُرسِلُ ضَوءَه، وتَتساقَطُ النُّجومُ مِنَ السَّماء، وتَتزعزَعُ قُوَّاتُ السَّموات»؛ أي، بحسب اللغة النبوية للعبرانيين، فإنّ العالم الحالي أو العرف الحالي للجمهورية اليهودية يجب أن ينتهي. ويكمل يسوع: «مت 24 -30: وتَظهَرُ عِندَئِذٍ في السَّماءِ آيةُ ابنِ الإنسان. فتَنتَحِبُ جميعُ قبائِلِ الأرض، وتَرى ابنَ الإنسانِ آتِياً على غَمامِ السَّماء في تَمامِ العِزَّةِ والجَلال. الخ». «مت 24 -34: الحَقَّ أقولُ لكم: لَن يَزولَ هذا الجيلُ حتَّى تَحدُثَ هذِه الأُمورُ كُلُّها». لكن عن اليوم والساعة لا يعرف أحد. «مت 24 -42: فاسهَروا إذاً، لأَنَّكُم لا تَعلَمونَ أيَّ يومٍ يأتي ربُّكم[1]. مت 24 -44: لذلكَ كونوا أنتُم أيضاً مُستَعِدِّين، ففي السَّاعَةِ الَّتي لا تَتَوَقَّعونَها يأتي ابنُ الإنسان. مت 25 -31: وإذا جاءَ ابنُ الإنسانِ في مَجْدِه، تُواكِبُه جَميعُ الملائكة، يَجلِسُ على عَرشِ مَجدِه، مت 25 -32: وتُحشَرُ لَدَيهِ جَميعُ الأُمَم، فيَفصِلُ بَعضَهم عن بَعْضٍ، كما يَفصِلُ الرَّاعي الخِرافَ عنِ الجِداء».

وفقا لهذه الخطابات، فإن المجيء المرئي للمسيح في غمام السماء إلى ملكوت مجده يتم تعيينه بشكل واضح ومحدّد على نحو دقيق، بعد

(1) في نص رايماروس: لذلك اسهروا، لأنكم لا تعرفون بأية ساعة يأتي ربكم.

محن اليهود الوشيكة، وقبل هذا «الجيل»، أو قبل أن يتوفى أو يموت هؤلاء اليهود الذي كانوا على قيد الحياة زمن يسوع. وعلى الرغم من أنه ما من أحد كان سيعرف اليوم أو الساعة، إلا أن أولئك الذين كانوا على قيد الحياة آنذاك، لاسيما التلاميذ، كانوا سيراقبون ويتأهبون، لأنه كان سيأتي في ساعة عندما لا يتوقعونه. وكون هذا هو المعنى الحقيقي لكلمات الإنجيلي إنما يظهر بوضوح في مقطع آخر من الإنجيل ذاته؛ لأنه بعد أن قال يسوع إنه يجب أن يصعد إلى أورشليم وأن يقتل هناك ويقوم من جديد، يضيف: «مت 16 -27: فسَوفَ يَأتي ابنُ الإنسانِ في مَجدِ أبيهِ ومعَه مَلائكتُه، فيُجازي يَومَئذٍ كُلَّ امرئٍ على قَدْرِ أعمالِه. مت 16 -28: الحَقَّ أقولُ لكم: مِنَ الحاضِرينَ ههُنا مَن لا يَذوقونَ الموتَ حتَّى يُشاهِدوا ابنَ الإنسانِ آتِياً في مَلَكوتِه».

لا يمكن لأي خطاب في هذا العالم أن يحدد بوضوح أكثر زمن عودة المسيح المجيدة المرئية بفترة معينة وضمن حدود غير بعيدة جداً. فبعض هؤلاء الأشخاص الذين وقفوا في البقعة نفسها حول يسوع لم يكونوا ليموتوا قبل عودته، بل كانوا سيرونه يدخل إلى ملكوته.

القسم التاسع والثلاثون:

لكن، لسوء الحظ، لم يأت المسيح في غمام السماء في الوقت المحدد، ولا حتى بعد مرور عدة قرون، فالناس يحاولون اليوم أن يعالجوا فشل الوعد بإعطائه كلماته مغزى مصطنع وإن بدا هزيلاً للغاية. وكلمات «مت 24 -34: الحَقَّ أقولُ لكم: لَن يَزولَ هذا الجيلُ

حتَّى تَحدُثَ هذِهِ الأُمورُ كُلُّها» لا بدّ أنها تحتاج لأن تعاني بحيث يكون معناها أن الشعب اليهودي أو الأمة اليهودية لن يزولا. ومن خلال هذا التفسير، يعتقدون أن الوعد ما يزال قائماً. وهكذا يقولون إنّ الأمة اليهودية لم تنته، لذلك لم يحن الوقت المحدد للمجيء الثاني للمسيح. لكن اليهود يُشجعون ويُعزّزون بشكل جيد في المسيحية من أجل أن تنتهي هذه الأمة الرقيقة، ويبدو كما لو أن المرء قد قام بالحساب بشأن الحيلة التي كانت ضرورية لعدة قرون حتى الآن، مثلما هي الآن. لكن لا الآن ولا في المستقبل يمكن أن تضمن ملجأً آمناً. إن كلمات متى، أو، إذا كنتم تفضلون، كلمات المسيح الخاصة التي تم اقتباسها في المقطع السابق، لا يمكن أبداً أن تتصالح مع العقل، لأن الناس الذين وقفوا في مكان معين حول يسوع قبل معاناته، لم يكن باستطاعتهم حتماً أن يدلوا على الأمة اليهودية بأكملها بعد العديد من القرون المتتالية. وليس من الممكن أن أياً منهم لم يذق بعد طعم الموت! لتأكيد هذا سوف يكون واحدنا ملزمًا، كملجأ أخير، أن يخترع يهوديًا أبديًا، كان موجودًا منذ زمن يسوع. وسأستمرّ الآن لأظهر من الكلمات المقتبسة ذاتها، أن الكلمة الأساسية γενεά[1] [جيل أو عرق] لا تعني على الإطلاق أمة أو شعبًا. إن شعب أو أمة اليهود، أو أي شعب أو

(1) 12 -39: ο δε αποκριθεις ειπεν αυτοις γενεα πονηρα και μοιχαλις σημειον επιζητει και σημειον ου δοθησεται αυτη ει μη το σημειον ιωνα του προφητου ؛ مت 12 -39: فَأَجابَ وَقَالَ لَهُمْ: جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ.

أمـة غـير اليهـود، إنمـا يعبّـر عنهمـا بـالكلمتين λαός [شـعب][1] وέθνος[2] [أمة أو عرق]، لكن كلمة γενεά في العهد الجديد وفي أي كتاب غيره، إنما تعني «جيل»، أو الناس الذين يعيشون معاً في العالم في الوقت ذاته، والذي بخروجه من هذه المرحلة، يفسح المجال لأجيال أخرى.

القسم الأربعون:

لا بدّ أن نتذكّر أنه في بداية إنجيل متى، يتم تعداد، من إبراهيم إلى داود، γενεαι τέσσαρες καίδεκα، أربعـة عشـر جـيلاً، ومـن جديـد فمـن داود إلى السـبي البـابلي، γενεαι τέσσαρες καίδεκα، أربعـة عشـر جـيلاً؛ وأخـيراً مـن السـبي البـابلي إلى المسـيح، γενεαι τέσσαρες καίδεκα، أربعة عشر جيلاً، وكل تلك الأجيال يسميها متى[3] أيضاً وذلك ضمن جدول الأجيال. الآن فإنّ أي أجيال أخرى

---

(1) 4 -16 : ο λαος ο καθημενος εν σκοτει φως ειδεν μεγα και τοις καθημενοις εν χωρα και σκια θανατου φως ανετειλεν αυτοις ؛ مـت 4 -16 : الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُوراً عَظِيماً ، وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ.

(2) 24 -7: εγερθησεται γαρ εθνος επι εθνος και βασιλεια επι βασιλειαν και εσονται λιμοι και σεισμοι κατα τοπους ؛ مت 24 -7: لِأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ.

(3) مت 1 -17 : فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً ، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً ، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً :

1 -17 : πασαι ουν αι γενεαι απο αβρααμ εως δαυιδ γενεαι δεκατεσσαρες και

==

إلى جانب تلك الموجودة كانت تسمى παρωχημενοι, ετέραι, αρχαιαι, γενεαι ، الأجيال القديمة ، أي أولئك الذين كانوا قد ماتوا. كان الجيل الذي عاش في زمن يسوع هو αυτη γενεα ، أو الجيل الحالي ، أو هذا الجيل الذي هو أيضاً كان في وقته سوف يموت. يصف يسوع في كثير من الأحيان الجيل الموجود آنذاك بأنه جيل شرير، زان، غير مؤمن، لأنه كان قد افترى عليه وعلى يوحنا، وكان يطلب إشارة من السماء. فقال هو إن أهل نينوى وملكة سبأ سيكونون أفضل كثيراً في يوم القيامة من هذا الجيل، الذي سمع نبياً أكبر بكثير من يونان[1]، وأكثر حكمة من سليمان[2]، ومع ذلك احتقروه. يُشمل يسوع على وجه الخصوص تلاميذه في هذا الجيل، ويقوم بتوبيخهم كجيل فاسد

απο δαυιδ εως της μετοικεσιας βαβυλωνος γενεαι δεκατεσσαρες και απο της μετοικεσιας βαβυλωνος εως του χριστου γενεαι δεκατεσσαρες.

(1) مثلاً: مت 12 -41: رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هَهُنَا! لو 11 -29: وَفِيمَا كَانَ الْجُمُوعُ مُزْدَحِمِينَ ، ابْتَدَأَ يَقُولُ: هَذَا الْجِيلُ شِرِّيرٌ. يَطْلُبُ آيَةً ، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ. لو 11 -30: لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى ، كَذَلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً لِهَذَا الْجِيلِ. لو 11 -32: رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هَهُنَا!

(2) مت 12 -42: مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُ ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هَهُنَا! لو 11 -31: مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ رِجَالِ هَذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُمْ ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هَهُنَا!

وخـال مـن الإيمـان، عنـدما لا يسـتطيعون طـرد شـيطان معـين؛ ثـم يسأل[1]، «إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟» في كل جزء آخر من العهد الجديد ،

---

(1) مت 17 -14: وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الْجَمْعِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ جَاثِياً لَهُ مت 17 -15: وَقَائِلاً: يَا سَيِّدُ ارْحَمِ ابْنِي فَإِنَّهُ يُصْرَعُ وَيَتَأَلَّمُ شَدِيداً ، وَيَقَعُ كَثِيراً فِي النَّارِ وَكَثِيراً فِي الْمَاءِ. مت 17 -16: وَأَحْضَرْتُهُ إِلَى تَلاَمِيذِكَ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْفُوهُ. مت 17 -17: فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ الْمُلْتَوِي إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ هَهُنَا! مت 17 -18: فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ فَخَرَجَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ. فَشُفِيَ الْغُلاَمُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.

مت 17 -19: ثُمَّ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالُوا: لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟ مت 17 -20: فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ. مت 17 -21: وَأَمَّا هَذَا الْجِنْسُ فَلاَ يَخْرُجُ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ. مر 9 -14: وَلَمَّا جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ رَأَى جَمْعاً كَثِيراً حَوْلَهُمْ وَكَتَبَةً يُحَاوِرُونَهُمْ. مر 9 -15: وَلِلْوَقْتِ كُلُّ الْجَمْعِ لَمَّا رَأَوْهُ تَحَيَّرُوا وَرَكَضُوا وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ. مر 9 -16: فَسَأَلَ الْكَتَبَةَ: بِمَاذَا تُحَاوِرُونَهُمْ؟ مر 9 -17: فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ وَقَالَ: يَا مُعَلِّمُ، قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ ابْنِي بِهِ رُوحٌ أَخْرَسُ، مر 9 -18: وَحَيْثُمَا أَدْرَكَهُ يُمَزِّقْهُ فَيُزْبِدُ وَيَصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيَيْبَسُ. فَقُلْتُ لِتَلاَمِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا. مر 9 -19: فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ، إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ!. مر 9 -20: فَقَدَّمُوهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَآهُ لِلْوَقْتِ صَرَعَهُ الرُّوحُ، فَوَقَعَ عَلَى الأَرْضِ يَتَمَرَّغُ وَيُزْبِدُ. مر 9 -21: فَسَأَلَ أَبَاهُ: كَمْ مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَصَابَهُ هَذَا؟ فَقَالَ: مُنْذُ صِبَاهُ. مر 9 -22: وَكَثِيراً مَا أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَفِي الْمَاءِ لِيُهْلِكَهُ. لَكِنْ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئاً فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا. مر 9 -23: فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ. مر 9 -24: فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو الْوَلَدِ بِدُمُوعٍ وَقَالَ: أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي. مر 9 -25: فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ الْجَمْعَ يَتَرَاكَضُونَ، انْتَهَرَ
==

كلمة "γενεά" لها الدلالة ذاتها، مثلما يمكن لكل واحد أن يرى والذي يُسرّ بالتجوال عبر محبي التوافق. فالسبعون مترجماً، الأبوكريفا، فيلون، يوسيفوس، وكذلك الكتّاب الوثنيون يعزون المعنى نفسه، على نحو دقيق، لها. بالنسبة للعبرانيين، على وجه الخصوص، فهي ليست غير الكلمة العبرية דור [دور]. هكذا يقول سليمان، جا 1 -4: دورٌ يمضِي ودورٌ يجِيءُ والأرضُ قائِمةٌ إلَى الأبدِ؛ דּוֹר הֹלֵךְ וְדוֹר בָּא וְהָאָרֶץ לְעוֹלָם עֹמָדֶת؛ γενεὰ πορεύεται καὶ γενεὰ ἔρχεται, καὶ ἡ γῆ εἰς τὸν αἰῶνα ἕστηκε. يقول موسى أن الله سمح لإسرائيل بأن يتجولوا في البرية جيئة وذهاباً لمدة أربعين سنة، حتى يموت الجيل كله الذي فعل الشر في عيني الرب، ἕως ἐξανηλώθη πᾶσα ἡ γενεὰ οἱ ποιοῦντες τὰ πονηρὰ؛ عد 32 -13: فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَتَاهَهُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى فَنِيَ كُلُّ الْجِيلِ الَّذِي فَعَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ؛ 13 -32: וַיִּחַר־אַף יְהוָה בְּיִשְׂרָאֵל וַיְנִעֵם בַּמִּדְבָּר אַרְבָּעִים שָׁנָה עַד־תֹּם כָּל־הַדּוֹר הָעֹשֶׂה הָרַע בְּעֵינֵי יְהוָה. كذلك في موضع آخر نقرأ: تث 2 -14: وَالأَيَّامُ الَّتِي سِرْنَا فِيهَا مِنْ قَادِشَ بَرْنِيعَ حَتَّى عَبَرْنَا وَادِيَ زَارَدَ كَانَتْ ثَمَانِيَ وَثَلاثِينَ سَنَةً حَتَّى فَنِيَ كُلُّ الْجِيلِ رِجَالُ

الرُّوحَ النَّجِسَ قَائِلاً لَهُ: أَيُّهَا الرُّوحُ الأَخْرَسُ الأَصَمُّ، أَنَا آمُرُكَ: اخْرُجْ مِنْهُ وَلاَ تَدْخُلْهُ أَيْضاً! مر 9 -26: فَصَرَخَ وَصَرَعَهُ شَدِيداً وَخَرَجَ فَصَارَ كَمَيْتٍ، حَتَّى قَالَ كَثِيرُونَ: إِنَّهُ مَاتَ!. مر 9 -27: فَأَمْسَكَهُ يَسُوعُ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ، فَقَامَ. مر 9 -28: وَلَمَّا دَخَلَ بَيْتاً سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَلَى انْفِرَادٍ: لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟ مر 9 -29: فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا الْجِنْسُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ.

الحَرْبِ مِنْ وَسَطِ المَحَلةِ كَمَا أَقْسَمَ الرَّبُّ لَهُمْ[1] ؛ וְהַיָּמִים אֲשֶׁר־הָלַכְנוּ מִקָּדֵשׁ בַּרְנֵעַ עַד אֲשֶׁר־עָבַרְנוּ אֶת־נַחַל זֶרֶד שְׁלֹשִׁים וּשְׁמֹנֶה שָׁנָה עַד־תֹּם כָּל־הַדּוֹר אַנְשֵׁי הַמִּלְחָמָה מִקֶּרֶב הַמַּחֲנֶה כַּאֲשֶׁר נִשְׁבַּע יְהוָה לָהֶם: ἕως οὗ Lorrcov.διέπεσεν πᾶσα γενεὰ ἀνδρῶν. ومـرة أخـرى، عنـد الإشارة إلى أولئك الذين عاشوا في زمن يشوع، مكتوب ، أن الجيل كلـه قـد انضـمّ إلى آبائـه[2] ، καί γε πᾶσα ἡ γενεὰ ἐκείνη προσετέθησαν πρὸς τοὺς πατέρας αὐτῶν.

القسم الحادي والأربعون:

لـذلك لا يمكـن الـدحض أنـه في عبـارة يسـوع في متـى حـول «هـذا الجيـل»، 23 -36: αμην λεγω، لا تعـني أكثـر مـن «اليهـود الـذين عاشوا في زمن يسوع». وهؤلاء لم يكونوا ليرحلوا أو يموتـوا حتـى يـروه [الابـن الإنسـان يسـوع] «مـر 13 -26: «آتِيـاً فِـي سَـحَابٍ بِقُـوَّةٍ كَـثِيرَةٍ وَمَجْدٍ». الآن، وكما لا يمكن إنكار أنه لم يحدث شيء من هذا القبيـل، فالحقيقة أن الأمة اليهودية لم تنته بـل مـا زالـت موجـودة وهـو مـا يعـني

---

(1) النصّان العربي والعبري إضافة مـن المترجـم، وترجمـة الـنص اليونـاني الـذي أورده رايماروس ؛ تقول: حتى فني كلّ الجيل.

(2) النص من سفر القضاة 2 : 10 : καί γε πᾶσα ἡ γενεὰ ἐκείνη προσετέθησαν πρὸς τοὺς πατέρας αὐτῶν καὶ ἀνέστη γενεὰ ἑτέρα μετ᾽ αὐτούς οἳ οὐκ ἔγνωσαν τὸν κύριον καί γε τὸ ἔργον ὃ ἐποίησεν ἐν τῷ Ισραηλ ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ الْجِيلِ أَيْضاً انْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ، وَقَامَ بَعْدَهُمْ جِيلٌ آخَرُ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ وَلاَ الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلَ لإِسْــــــرَائِيلَ. וְגַם כָּל־הַדּוֹר הַהוּא נֶאֶסְפוּ אֶל־אֲבוֹתָיו וַיָּקָם דּוֹר אַחֵר אַחֲרֵיהֶם אֲשֶׁר לֹא־יָדְעוּ אֶת־יְהוָה וְגַם אֶת־הַמַּעֲשֶׂה אֲשֶׁר עָשָׂה לְיִשְׂרָאֵל:

دليلاً مؤسفاً على زيف ذلك التوقع. «هذا الجيل»، الذي كان يمكن أن يرحل وكان سيرحل، لا يمكن أن يكون الأمة كلها بكل أجيالها في أوقات مختلفة. لم يعتقد يسوع ولا اليهود قط برحيل شعبهم أو أمتهم، لكن حقيقة أن جيلاً تلو الآخر سيرحل كان قد اعترف بها كلّ من موسى ويشوع وسليمان، بل كانت معروفة للجميع، من التجربة المشتركة للموت. قد يقال بعد ذلك عن جيل إنه يجب أن يزول، ومن ثم قد يتم تعيين وقت حدوث ذلك في المستقبل، من خلال حدود حياة الجيل الحالي؛ لكن لم يقل أي يهودي عن كل الأمة اليهودية إنها سوف تزول؛ لذلك لا يمكن تعيين وقت حدوثه في المستقبل اعتماداً على رحيل الأمة كلها. ففي الواقع، لا يمكن تحديد إنجاز شيء معين، بعد واقعه المأمول، من خلال شيء يستحيل الإضرار به، شيء يستمر على الدوام من قرن إلى قرن، حتى الأبدية. لو كنت أقف بجانب نهر الدانوب، أو اللابه، أو الراين، وكنت أعرف كلّ تيارات الجدول، هل كنت سأقول لأي واحد فيها: لن يزول هذا النهر حتى أعود مرة أخرى؛ ألا يكافئ ذلك القول: «لن أعود مرة أخرى أبداً»؟ للتأكيد بأن عبارة «الأمة اليهودية بأكملها، بكل أجيالها المستمرة، لن تزول حتى يأتي المسيح مرة أخرى»، ستكون طريقة لطيفة لتعيين عودته في الغمام! بالنسبة إلى أي يهودي، قد يقول المرء أيضاً: «لن يأتي مرة أخرى حتى ينتهي نهر الأردن، حتى تنتهي الأبدية». لذلك من المستحيل أن تعبير «هذا الجيل» في تنبؤ المسيح كان ينبغي له أن يعني أي شيء سوى «اليهود الذين كانوا يعيشون آنئذٍ».

علاوة على ذلك، ما الذي كان بإمكانه أن يكون أكثر وضوحًا في الإشارة إلى معنى وموضوع الكلمات من خطاب يسوع التالي في مقطع آخر: «لو 9 -27: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ الله. مت 16 -28: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي مَلَكُوتِهِ[1]. إن المعنى هنا مطابق بكلّ التفاصيل لشكل المعنى في أسلوب التعبير السابق: «هذا الجيل سوف لن يرحل»؛ وبالنسبة لأولئك الذين كانوا موجودين هناك، قرب يسوع، فقد كانوا أشخاصاً معينين من ذلك الجيل، أو، من اليهود الموجودين آنذاك، وكانوا سوف لا يذوقون طعم الموت حتى يروه آتياً مرة أخرى في الغمام؛ وبقدر ما يكون الجيل الموجود آنئذٍ من اليهود (في التعبير الأخير) محدداً بحياة الأشخاص الذين تمت تسميتهم، يتم تحديد الشيء بشكل أكثر عملية ودقّة، وهكذا فإنّ كلّ من لا يزال باستطاعته أن يثير اعتراضات على معنى محدّد ظرفيّاً على هذا النحو، فلا بدّ أنه فقد كل شعور بالخجل. ومن المؤكد أن أول مجيء للمسيا في العهد القديم ليس شيئًا محدّداً تمامًا بوقت معين، كما هو المجيء الثاني في العهد الجديد؛ ويمكن لليهودي أن يستخدم، كذريعة لعدم ظهور مسياه المأمول، تفسيرات وحجج أكثر عدلاً وأكثر منطقية مما يستطيع أي مسيحي تقديمه على عدم عودة المسيح.

(1) رايماروس يستشهد بمتى.

القسم الثاني والأربعون:

من خلال دراسة العهد الجديد، يستوعب واحدنا أن التلاميذ فهموا مفهوم رجوع يسوع الموعود، وأنهم نقلوا إلى الذين اعتنقوا المسيحية حديثًا أنه سيحدث في وقت قريب جداً، في الواقع، أي أثناء حياتهم هم. يمثل التلاميذ من قبل لوقا على أنهم يستفسرون من يسوع بعد قيامته: «اع 1 -6: يَا رَبُّ هَلْ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟»[1] ومرة أخرى، في رسائلهم، يزعمون أن عودة المسيح قريبة في متناول اليد، ويحثون المؤمنين على المراقبة والاستعداد، كما لو كان سيحدث في زمنهم، نعم، فربما يأتي في أي ساعة أو لحظة، بحيث يجدون أنفسهم في وضعية تتطلب منهم المشاركة في مملكة المجد.

يعقوب، من ناحيته، يشجعهم أيضاً على النحو التالي: «يع 5 -7: فَتَأَنَّوْا أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ. يع 5 -8: فَتَأَنَّوْا أَنْتُمْ وَثَبِّتُوا قُلُوبَكُمْ، لأَنَّ مَجِيءَ الرَّبِّ قَدِ اقْتَرَبَ. يع 5 -9: هُوَذَا الدَّيَّانُ وَاقِفٌ قُدَّامَ الْبَابِ». ويكتب بولس إلى أهل تسالونيكي، أنه على الرغم من أن البعض منهم قد ذهب للنوم قبل عودة الرب، فإنهم سيحملونهم لمقابلته عندما يظهر في الغيوم، في الوقت ذاته الذين ظلوا على قيد الحياة وقتها. وها هو يقول: «1تس 4 -13: ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ

(1) النص وجدته في سفر الأعمال.

لاَ رَجَاءَ لَهُمْ. 1تس 4 -14: لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ. 1تس 4 -15: فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ. 1تس 4 -16: لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. 1تس 4 -17: ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ. 1تس 4 -18: لِذلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِهذَا الْكَلاَمِ. 1تس 5 -1: وَأَمَّا الأَزْمِنَةُ وَالأَوْقَاتُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، 1تس 5 -2: لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هكَذَا يَجِيءُ. 1تس 5 -3: لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: سَلاَمٌ وَأَمَانٌ حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلاَ يَنْجُونَ. 1تس 5 -4: وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلَسْتُمْ فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذلِكَ الْيَوْمُ كَلِصٍّ». وبالطريقة ذاتها يتحدّث بولس لأهل كورنثوس: «1كور 15 -51: هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ 1كور 15 -52: فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ».

القسم الثالث والأربعون:

ومن ثم لا ينبغي أن نتساءل، أنّ المسيحيين الأوائل بعد هذه الكلمات الواضحة من يسوع نفسه، ومن رسله، هل كان عليهم أن يحثوا يوماً عن هذه العودة للمسيح في الغمام، أو أنه هل كان عليهم أن يكونوا في حالة توقع دائم للمملكة المجيدة، معتقدين أن بعضهم على الأقل سيكون على قيد الحياة زمن بدايتها. هل يمكن أن نلومهم على التفكير بأن الوقت طويل للغاية، عندما ينام الواحد تلو الآخر دون أن يعيش ليشهدوها؟ هل من المفاجئ أن نجد أن الساخرين قد جاءوا أخيراً ليقولوا: «2بط 3 -4: أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ لأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ». ولا بد أن يكون قد وصل إلى مسامع بولس، أن أهل تسالونيكي، من رسالته الأولى وخطب الآخرين، اعتبروا أنّ عودة المسيح ستكون قريبة جداً، بحيث أنه سيكون من المستحيل الوفاء بالوعد. وفي رسالته الثانية يتحدّث بكلمات غامضة من قبيل 2تس 2 -3: «وَيُسْتَعْلَنَ إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ، ابْنُ الْهَلاَكِ»، «الملحد الذي يجب أن يأتي أولاً»[1]، الذي كان يعمل حتى في ذلك الوقت، لكن تم اعتقاله، وعندما كشف عن نفسه في النهاية،

(1) التزمنا هنا بالترجمة الحرفية لنص رايماروس، لأن الترجمات العربية متناقضة. "ويَظهرَ إنسانُ الإثم" [الترجمة البولسية]؛ "وَيُسْتَعْلَنَ إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ" [فانديك]؛ "وأن يَظهرَ رَجُلُ الإلحاد" [الترجمة الكاثوليكية].

كان الرب سيلقي به في الموت بنفس فمه، وكان سيدمره بسطوع مجيئه. لذلك يصلّي لأهل تسالونيكي، قائلاً: «2تس 2 -2: أَنْ لاَ تَتَزَعْزَعُوا سَرِيعاً عَنْ ذِهْنِكُمْ، وَلاَ تَرْتَاعُوا، لاَ بِرُوحٍ وَلاَ بِكَلِمَةٍ وَلاَ بِرِسَالَةٍ كَأَنَّهَا مِنَّا: أَيْ أَنَّ يَوْمَ الْمَسِيحِ قَدْ حَضَرَ». لكن هذا العزاء المتلكئ المظلم لا يمكن الاعتماد عليه لأي فترة زمنية، لأنه حتى إذا كان المقصود من «ابن الهلاك» هو أن يمثّل كاليغولا الإمبراطور، أو أي من خلفائه (كما يظن كثيرون) فلا بدّ أن تمّ الكشف عنه قريباً. فلماذا لم يدمره «سطوع مجيء المسيح»؟ إذا كان المقصود، من ناحية أخرى، «بابن الهلاك» شخصاً والذي كان ينتمي إلى قرن لاحق، فالتنبؤ بيسوع ذاته بأنه «مت 16 -28: مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي مَلَكُوتِهِ» ما كان ليتم تحقيقه. والوعد الذي قطعه بولس على نفسه لأهل تسالونيكي وكورنثوس، أي، أن بعضاً منهم لن يكونوا نائمين حين سيأتي المسيح مع بوق الله في الغمام إلى مملكته، ما كان ليتم تحقيقه. والحقيقة هي أن تقارن كلمات بولس بأي رواية تريدها، لا يمكن لهذه الكلمات أن تتوافق مع، أو أن تنطبق على، واحدة مفردة منها، وتقريباً فالاستنتاج الوحيد الذي يمكن أن تصل إليه هو أنه كي يخرج نفسه من الصعوبات بشرف، أخفى نفسه بعناية في الظلام، بحيث يمكن جعل تأخير عودة المسيح أبعد وأبعد بالإرادة التعسفيّة.

القسم الرابع والأربعون:

لكنّ بولسنا الطيب لا يفهم بشكل كامل فن إعطاء الأجوبة المراوغة. بطرس أفضل يداً في ذلك. إنه يقول: «2بط 3 -3: عَالِمِينَ هَذَا أَوَّلاً: أَنَّهُ سَيَأْتِي فِي آخِرِ الأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، 2بط 3 -4: وَقَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ لأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ».أعلم أنه في الأيام الأخيرة سيأتي المستهزئون ويقولون: أين هو وعد عودته؟ لأنه من الأيام التي رقد فيها الآباء، بقي كل شيء كما كان منذ بداية الخلق. وبعد ذكر بعض الأشياء التي لا علاقة لها بالموضوع، يتابع قائلاً: «2بط 3 -8: وَلكِنْ لاَ يَخْفَ عَلَيْكُمْ هذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، أَنَّ يَوْماً وَاحِداً عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. 2بط 3 -9: لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، ... 2بط 3 -10: وَلكِنْ سَيَأْتِي[1] كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، الخ». وحتى في ذلك الوقت يبدو أنه كان هنالك مستهزئون، لأن بطرس يحذر أتباعه المخلصين منهم، ويخبرهم بعدم الاقتناع بهم. إذا الآن بعد ألف وسبع مئة سنة[2] أتي المتهكمون وسألوا: أين هي عودته الآن؟ فقد سبق

---

(1) في نص رايماروس: لكن يوم الرب سيأتي كلص. الترجمة العربية المستخدمة آنفاً هي ترجمة فاندايك؛ لكن الترجمة البولسية تقرأ: 2بط 3 -10: بَيدَ أنَّ يومَ الرَّبِّ سيأتي كَلِصّ. في النص اليوناني الأصلي، نقرأ: ηξει δε ημερα κυριου ως κλεπτης εν η οι ουρανοι ροιζηδον [ويوم الرب كلص في السماء].

(2) رايماروس مولود عام 1694.

لبطرس أن أجاب مسبقاً، بأنهم انتظروا ما يزيد قليلاً عن يوم ونصف اليوم من أيام الرب أكثر مما كان مستحقاً، وأن التأخير كان بسبب «معاناته الطويلة». وإذا لم تحدث عودة المسيح لبضع آلاف من السنين، فبطرس سيلتقي المستهزئين مرة أخرى بإجابة تقول إن حساباته خاطئة، وقد كانت الألفا سنة مجرّد بضعة أيام أمضاها المسيح لمصلحتهم في السماء قبل أن ينزل. لكن مثل هذه الأجوبة، وهذا ما أخشاه، لن ترضي الرجال الشرفاء العقلاء، بل وحتى أقل بكثير من المستهزئين. فالشيء الذي لا يمكن دعمه بدعامات أفضل من هذه يجب أن يكون بطريقة سيئة للغاية. ما الذي تفعله هنا الآية من المزمور السابق؟ وفقاً للمبشرين الإنجيليين، حدّد المسيح بشكل واضح مجيئه الثاني بأن بعضاً من أولئك الذين كانوا حوله يجب أن يكونوا أحياء حين عودته في الغمام. وسوف يكون عندئذ من السخف الدفع بعودته إلى الأمام، لأن ألف سنة مع الله هي كيوم واحد؛ لأن العودة، كما ترون، لم تكن محدّدة وفقاً لأيام الله، بل بحسب أيام الإنسان، أي أيام أولئك الناس الذين كانوا حوله. على أية حال، من السخف قياس الوقت بأيام الله، حتى لو كانت بطول مئة ألف سنة من سنوات البشر؛ لكن إذا كان هذا سيُفهم وفقاً للاستيعاب البشري، لماذا جعل بطرس يوماً إنسانياً بألف عام؟

القسم الخامس والأربعون:

هنا ، إذن ، لم يكن هنالك بديل سوى دفن التعيين الدقيق للوقت طي النسيان، كما لو أنه لم يكن ثابتًا على الإطلاق، وبدلاً من ذلك، كان من الممكن وضع حدّ طويل له بحيث يمكن تمديده إلى الأبدية ؛ لأن ثلاثمائة وخمساً وستين ألف سنة بشرية كان يجب أن تنقضي قبل أن تنتهي سنة واحدة من سنوات الله، ومع ذلك لا يمكن أن يسمى التأخير بالتأخير، لأنه إما «معاناة طويلة» أو بعض الخصوصية الأخرى لله والتي كانت ستبدو سبباً كافياً يعلّل لماذا لا ينبغي لأحد أن يستفسر على وجه الخصوص جداً في نظرته، نبوءاته ، وحقيقته.

في هذه الأثناء، اكتسب الرسل هذا كثيراً على يد المسيحية الحمقاء الأولى: ذلك أنه بمجرد أن غلب المؤمنين النوم ومرّت النهاية الحقيقية بشكل جيد، فإن المسيحيين الذين خلفوهم وآباء الكنيسة كان يمكنهم أن يستمروا في الحفاظ على الوهم من خلال الآمال والوعود الخاملة. لقد قرأنا أن يوحنا، أحد الرسل والإنجيليين، والذي كان في زمن يسوع صغيراً جداً، والذي عاش عمراً هو الأطول بينهم، يدعي بأنه من الممكن له هو أن يعيش ليرى عودة المسيح. ويقدّم بطرس على أنه يقول ليسوع: «يو 21 -21: فلمَّا أبصَرَهُ بُطرُسُ، قالَ لِيَسوعَ: «وهذا، يا ربّ؟... «يو 21 -22: قالَ لهُ يَسوعُ: «إنْ شِئتُ أنْ يَثبُتَ إلى أنْ أجيءَ، فماذا لَكَ؟» لكن يسوع ، لم يقل إنه لن يموت، بل فقط، «إنْ شِئتُ أنْ يَثبُتَ إلى أنْ أجيءَ، فماذا لَكَ؟» تبعاً لذلك، يختتم

يوحنا رؤياه على النحو بالتالي: «رؤ 22 -20: فالشَّاهِدُ بهذِهِ الأشياء يَقولُ: «نَعَم، إنّي آتٍ عَن قَريب!» آمين! تَعالَ، أيُّها الرَّبُّ يسوع! [1]. «رؤ 22 -21: نِعمَةُ ربِّنا يسوعَ مع الجميع. آمين من يختبر هذه الأشياء يقول: «بالتأكيد أتيت بسرعة. آمين. مع ذلك جاء الرب يسوع» [2].

بعد الرسل، استمر الآباء الأوائل للكنيسة في الأمل بأن يظهر المسيح ويبدأ مملكته على الأرض في أزمنتهم هم. وهكذا استمر الأمر من قرن إلى قرن، حتى أصبح الزمن غير المنجز للمجيء الثاني للمسيح غائباً أخيراً في غياهب النسيان، وعلماء لاهوتنا الحاليين يمرون برشاقة على هذا الأمر لأنه غير مفيد لأهدافهم؛ ويحاولون أيضاً أن يزرعوا شيئًا مختلفًا تمامًا في عودة المسيح في غمام السماء، لم يعلّمه هو ذاته ولا ورسله.

الآن، بعد أيام، عندما يقرأ الناس ما هو في التعليم المسيحي والملخصّات اللاهوتية أكثر مما هو في الكتاب المقدس، كم عدد الذين يتذكرون أن الوقت المعين بشكل مفتوح للمجيء الثاني ليسوع قد مرّ عليه زمن طويل، وبالتالي، تبين لنا أن أحد أركان المسيحية عديم القيمة تمامًا؟ المقترحان ومقولتا الإيمان: «المسيح قد قام من بين الأموات»، و«المسيح سيعود إلى مملكته في غمام السماء»، هما دون

(1) هذه الآية غير موجودة في نص رايماروس، وقد أضفناها بهدف مزيد من الإيضاح.
(2) ملاحظة من المحرّر الإنكليزي: إن القول بأن مؤلّف إنجيل يوحنا هو ذاته مؤلّف الرؤيا إنما هي مسألة غير مثبتة إلى حدّ كبير.

نقاش الركائز التي بنيت عليها المسيحية وعقيدة الرسل الجديدة. إذا لم يقم المسيح، كما يعلن بولس نفسه، فإن إيماننا باطل[1]؛ وإذا لم يأت المسيح ولن يأتي مرة أخرى لمكافأة المؤمنين في مملكته، فإن إيماننا عندئذ عديم الفائدة لأنه مزيف. سوف يرى قرائي أنه في التأمّل الذي تمّ القيام به حتى الآن أنني قد تجنبت لمس الحالات الطارئة غير الضرورية، لكنني شققت طريقي إلى جوهر المسيحية وبؤرتها الرئيسة. لقد قارنت النظام القديم للرسل، أي، الخلاص الدنيوي لإسرائيل، مع مقاصد يسوع في تعليمه وسلوكه وفق الرواية التي قدمها الإنجيليون، ووجدت أسباباً راسخة للاعتقاد بأنهم يتفقون؛ وأنه فقط بسبب الفشل وخيبة الأمل تخلّى الرسل عن عقيدتهم الأولى. كما أن هيكليتهم الدينية الجديدة المتغيرة حول مخلِّص روحي للجنس البشري أقيمت على حقيقتين مزعومتين تم تقديمهما كقواعد إيمان، والتي، من خلال التناقضات المتنوعة للشهود ومسار الأحداث نفسها، تظهر وكأنها خيالية بشكل لافت للنظر.

يجب أن أكون سعيداً إذا كان كل قارئ مستقيم منطقي يبحث في كل كتاب تمت كتابته عن حقيقة الديانة المسيحية، ويحكم بنفسه إذا كان أي شيء موجود فيها يمكن أن يزيل بأقل درجة الاعتراضات المذكورة أعلاه، أو يمكن أن يقدم أي شيء لا بدّ به أن تنهار أرضاً. أنا

(1) 1كور 15 -14: وإنْ كانَ المسيحُ لم يَقُمْ، فكِرازتُنا إذَنْ باطِلَةٌ، وإيمانُكم أيضًا باطل.

نفسي أقرأ أكثر هذه الكتب وأفضلها قبل أن أبدأ الشك؛ ومنذ ذلك الحين، أدى التأمّل والتفكير الجاد إلى إثارة الشكوك، وأقول إنه لم يكن أحد من كتّاب هذه الأعمال قادراً على إزالة واحداً من هذه الشكوك - الكثير منها لم يتم التطرّق إليها حتى. وفي الواقع، فهؤلاء الأبطال المفترضون للمسيحية يتخطون جميعاً بسلاسة للغاية أساسها الحقيقي. إنهم يستنفذون قوة عقولهم ولغتهم في أشياء غير جوهرية، والتي هي، على الرغم من أنها تنقل إلى الدين ذكاءً رائعًا للغاية لأشخاص غير قادرين على غربلة الأساس، مع ذلك فهي إما أنها غير محتملة في حد ذاتها، أو أنها لا تحمل أي دليل أكيد على حقيقة المسيحية.

الفصل الرابع

حول المعجزات والنبوءات

القسم السادس والأربعون:

الأجزاء الأساسية من المسيحية هي بنود الإيمان التي من خلال إنكارها أو تجاهلها نتوقف عن أن نكون مسيحيين. ومبدأ هذه المواد هو: الخلاص الروحي من خلال معاناة وموت المسيح؛ القيامة من الموت لتأكيد المعاناة الكافية للمسيح؛ وعودة المسيح للثواب والعقاب، كثمرة ونتيجة للخلاص. وإن من يصارع أو يدحض هذه المبادئ الأولى إنما هو يهاجم مادة (أو جوهر) الغرض.

بالأشياء غير الأساسية بالإشارة إلى الدين، فأنا أعني أولاً وقبل كلّ شيء، المعجزات، التي رغم ذلك، تعلّق عليها الديانة المسيحية مثل هذه الأهمية الخاصة. لا يمكن لأحد أن يؤكد أن معجزاتهم تؤسس لبند إيمان واحد. وإذا سلّمنا جدلاً أن بنود الإيمان حملت معها قناعة ومصداقية متأصلة، كيف ينبغي لنا أن نجرؤ على طلب المعجزات من أجل تصديقها؟

إذا سلّمنا جدلاً أن القيامة قد ثبتت صحتها من قبل أكثر الشهود من الذين لا تثار حولهم الشكوك والذين أجمعوا على ذلك، كما هو الحال في جميع حالات النزاهة، يمكننا بالتأكيد أن نصدق ذلك بدون أي معجزة مساعدة. إذا سلّمنا جدلاً أن المسيح عاد فعلاً في غمام

السماء، كما كان يجب أن يفعل بحسب الوعد، يجب أن لا نرغب بالتأكيد إلى معجزات لإثبات ذلك.

من ناحية أخرى، إذا ما سلّمنا جدلاً بأن حقيقة الأحداث المذكورة أعلاه تستند جزئياً على أدلة مشبوهة ومتناقضة، وجزئياً على حالات لم تحدث ظاهرياً قط، أو أن العقائد تحتوي على تناقضات، لا يمكن لأي معجزات أن تصلح هذه المسألة، أولاً، لأن المعجزات هي أحداث غير طبيعية، غير محتملة بقدر ما هي غير قابلة لأن تصدّق، وتتطلب قدراً كبيراً من الفحص الذي يفترض به إثباتها؛ وثانياً، لأنها لا تحتوي على أي شيء في حد ذاته يمكن منه استخلاص الاستدلال: ـ بأن هذا أو ذاك كان قد حدث: وبالتالي هذا المذهب أو ذاك صحيح: وبالتالي هذا أو ذاك ليس تناقضاً.

القسم السابع والأربعون:

لقد قلت إن اكتشاف ما إذا كانت المعجزات صحيحة أم لا إنما يتطلب إجراء تحقيق بقدر الشيء الذي يُفترض أنها تُبرهن عليه. وفي قراءة لتاريخ موسى والأزمنة التالية، رأينا بالفعل أنّ الأمر لا يكلّف الكاتب عقلاً، ولا مهارة، مثلما أنه لا توجد مشكلة أمام القيام بالمعجزات، وأن المطلوب من القارئ ذكاء أقل من أجل تصديقها. يقتل المؤرخ جميع مواشي فرعون ثلاث مرات. وفي كل مرة لا تُترك بهيمة واحدة على قيد الحياة؛ لكنه في خياله الخصب هنالك بهائم جديدة جاهزة لأن يُقضى عليها مرة أخرى.

من أين جاءوا كلهم إنما هو أمر غير مهم بالنسبة له. فهو يجعل بني إسرائيل يأخذون كل ماشيتهم معهم، ولا يتركوا وراءهم حافراً واحداً، ومع ذلك فعندما يريد أن يصنع معجزات، نجدهم يعانون في كل لحظة من الجوع، لذا يجب أن يحتاج اللحم لأن يهطل من السماء. وفي ثلاث ساعات وفي ليلة مظلمة جداً، يجلب ثلاثين ألف رجل مع النساء والأطفال، مسنين ومرضى، عرجاً وعميان، خياماً وأثاث، عربات وعدة خيول، ثلاث مائة ألف ثور، ستمائة ألف خروف، آمنين وبحالة سليمة إلى قاع البحر الذي يجب أن يكون اتساعه ميلًا ألمانيًا على الأقل؛ القاع الذي بسبب الحشائش والطين في أحد الأمكنة، والرمل وفروع الشعاب في مكان آخر، صخور هنا وجزر صغيرة هناك، غير سالك. وهو لا يزعج نفسه ليفكّر ما إذا كان هذا الشيء ممكنًا. يكفيني أنا أنه يتخيّل ويكتب لهم عبوراً آمناً في ساعة واحدة من الليل! وكي يضيء على إسرائيل المقهورة، فإنه يأمر الشمس أن تقف أربعاً وعشرين ساعة. في أي نوع من الظروف والتي كان على العالم الخارجي أن يُلقى نتيجة لذلك، هو أمر غير هام. ما كان عليه سوى أن يقول الكلمة، لتقف الشمس مع كلّ الآلات في العالم. إنه ينفخ ويسقط أقوى الأسوار، على الرغم من أنه لا يستطيع الصياح في المركبات الحديدية المزعجة أكثر مما يستطيع أن يوقفهم. وهو يغيّر شيئًا إلى آخر وفقًا لمشيئته؛ العصي إلى الثعابين، الماء إلى دم، والغبار إلى قمل. وهو يأمر المياه أن تصعد دون دعم، خلافاً لطبيعتها، وبضربة من عصاه يخرج الماء من صخرة جافة. إنه يخلق عالماً يطير فيه الناس متجولين في الهواء، وفيه يتحاور الحمار، الملاك، والإنسان معًا.

باختصار، كل الطبيعة تحت أمره، فهو يقوم بتشكيلها وتنظيمها كما يشاء؛ لكن، كما في حلم، مليء بالحكايات الخرافية، يوتوبيا، دون نظام، قواعد، انسجام، حقيقة، أو معنى. يمكن للكاتب الأكثر صبيانية أن يصنع معجزات مثل هذه، ومن أجل تصديقها، على المرء أن يتخلى عن كل مقدمات العقل السليم. وفي الواقع، فإن المؤرخين يخونون أنفسهم عبر القول إن المعجزات، في الوقت الذي حدثت فيه، لم يكن يوجد أي إيمان عند بني إسرائيل.

القسم الثامن والأربعون:

معجزات العهد الجديد ليست شنيعة ومثيرة للاشمئزاز في كافة أرجائه مثلما هي معجزات العهد القديم. وهي تتكوّن أساساً من شفاء العرج، المكفوفين، الصم، المرضى، والذين تسكنهم الشياطين. لكن الكتّاب يربكون أنفسهم بنوع من العجز هنا وهناك في تناقض صارخ، ولا يقدمون إلينا في أي موضع تقريراً عن الظروف والتحقيقات التي يمكن الاتكال عليها، والذي يمكن من خلاله الحكم على ما إذا كان الشيء المفترض حدوثه كان معجزة أصيلة. إنهم يكتبون تأكيداتهم بأبشع الطرق وأكثرها ضبابية، ثم يضعون ختم الإيمان عليها: «من يؤمن يخلص، ومن لا يؤمن يُلعن». لم يتمكن يسوع نفسه من أداء المعجزات حيث لم يكن الناس يؤمنون مسبقاً، وعندما كان العقلاء، المتعلمون والحكّام في تلك الأوقات، يطالبونه بمعجزة يمكن وضعها تحت الفحص، فإنه، عوضاً عن التسليم بالطلب، كان يبدأ بتوبيخهم؛ وهكذا فإنه ما من إنسان يحمل هذا الطابع كان بإمكانه

تصديقه. ولم يكن إلا بعد مرور ثلاثين إلى ستين سنة على موت يسوع، أن بدأ الناس يكتبون عن القيام بمثل هذه المعجزات، بلغة لم يفهمها اليهود في فلسطين. وقد كان هذا زمناً كانت الأمة اليهودية فيه في حالة من حالات الارتباك وعدم الاكتراث الأكبر، وعندما كان عدد قليل جداً من أولئك الذين عرفوا يسوع ما يزالون على قيد الحياة. لم يكن أسهل عليهم إذاً أكثر من اجتراح العديد من المعجزات وفق ما يشاؤون، دون خوف أن تكون كتاباتهم غير مفهومة أو سهلة الدحض. كان لها تأثيرها على كل من اعتنق الدين منذ البداية بحيث كانت في آن مفيدة ومخلّصة للنفس إذا ما تم الاعتقاد بها، وكذلك من أجل وضع العقل في مغبة الأسر تحت طاعة الإيمان؛ ومن ثم كان هنالك قدر كبير من السذاجة بينهم بقدر ما كان هنالك «غش محبّب» أو «خداع بدوافع حسنة» بين معلميهم؛ وكلا هذان النوعان، كما هو معروف، ساد إلى أعلى درجة في الكنيسة المسيحية المبكرة.

الأديان الأخرى، في الواقع، مليئة تماماً بالمعجزات. يفتخر الوثنيون بالكثير منها، وكذلك الترك[1]. لا يوجد دين بدون المعجزات، وهذا ما يجعل المعجزات المسيحية مشكوكاً فيها، وتحثّنا على السؤال: «هل حدثت الأحداث حقا؟ هل تمّ ذكر الظروف المصاحبة لها؟ هل جاءت بشكل طبيعي، أو بالحرفة، أو عن طريق الصدفة؟» سوف يعرف جيداً أولئك الذين هم ملمون بالمسألة والتاريخ

(1) المقصود بذلك، المسلمون.

أنني أكتب الحقيقة. لكني مع ذلك لا أطلب من أولئك الذين لا يمتلكون معرفة بها أن ينسبوا لي العدالة والحق. وفي هذه الأثناء، أجدني مضطراً لأن أضع أمامهم الشكوك التي يمكن أن تخطر للتفكير العقلاني عند قراءة معجزات العهد الجديد، بحيث أنهم إذا لم يعرفوا كيف يردّون على مثل هذه الشكوك، فهم يمكنهم على الأقل أن يعترفوا أن المعجزات ليست حقائق مؤكدة يمكن للمرء أن يثبتها ويؤسس من خلالها روايات أو مذاهب أخرى غير قابلة لأن تصدّق، وإنه نتيجة لذلك فإن أولئك الذين كانوا سيبنون المسيحية على المعجزات فإنهم لا يقدّمون لها شيئًا ثابتاً، أو عميقاً، أو جوهرياً كأساس.

القسم التاسع والأربعون

إنها دائماً علامة على أن العقيدة أو التاريخ لا يمتلكان عمق الأصالة عندما يضطر المرء إلى اللجوء إلى المعجزات من أجل إثبات حقيقتهما. فالمعجزات لا تمتلك في حد ذاتها أو من خلال ذاتها أي مبدأ يحتوي على بند واحد من بنود الإيمان أو على حقيقة قاطعة. لا يتبع ذلك أنه لأن نبيًا صنع معجزاتٍ لذلك كان يقول الحقيقة، لأن الأنبياء الكذبة والسحرة قاموا أيضًا بآيات وعجائب، وصنع مسحاء كاذبون من المعجزات التي قد يخدع بها حتى المختارون. لا يتبع ذلك أنه لأن يسوع أعاد البصر لرجل أعمى وشفى أعرجاً، أنه بسبب ذلك أن الله ثلاثي الأقانيم، وأنه بسبب ذلك فإن يسوع إله حقيقي وإنسان حقيقي.

لا يتبع ذلك أنه لأن يسوع أقام إليعازر من الموت إنه نتيجة لذلك يجب أن يقوم هو أيضاً من الموت. لماذا نحتاج إلى الابتعاد عن النقطة الرئيسة ونشير إلى أشياء غير ذات صلة غريبة، عندما نجد علامات كافية على الشيء ذاته والذي يمكن به تمييز ما هو صحيح عمّا هو باطل، وعندما لا يمكن محو هذه العلامات ذاتها من قبل أية كمية من المعجزات الكماليّة؟

إن العلامات السديدة حول الحقيقة والباطل هي اتساق وتناقض واضحان، ومتمايزان. وهذا هو الحال أيضاً مع الوحي، بقدر ما أنه يجب أن يكون خالياً من التناقض، مع بعض الحقائق الأخرى. وبقدر ما تستطيع المعجزات أن تثبت أن ضعف الاثنين هو خمسة أو أن المثلث له أربع زوايا، يمكن إزالة أي تناقض من تاريخ وعقائد المسيحية بأي عدد من المعجزات. ومهما كان كثيراً عدد العميان والعرج الذين شفاهم يسوع والرسل، ومهما كان كثيراً عدد جحافل الشياطين الذين أخرجوهم، فهم لا يستطيعون بذلك إشفاء التناقضات في نظامهم للمسيا، وفي أدلتهم غير المرضية على قيامته وعودته. التناقض هو الشيطان وأبو الكذب، الذي يرفض أن يُطرد إن بالصيام والصلاة، أو بالمعجزات. دعوا ما كان سيفعله هؤلاء الأشخاص الذين يؤدون المعجزات، فهي لا يمكنها بذلك أن تجعل الأشياء تحدث والتي لم تحدث، ولا جعلت المسيح يعود في غمام السماء قبل أن يذوق طعم الموت أولئك الذين وقفوا قربه.

لا يمكن لأية معجزة أن تثبت أن القول، «مت 2 -15: من مصرَ دَعَوْتُ ابني»[1]، كان يتحدث عن يسوع، أو أن أي نبي من الكتاب المقدس قال في أي وقت، «مت 2 -23: إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيّاً».

القسم خمسون:

ما قلته من المعجزات، بمعنى أنها هي ذاتها غير مؤكدة ولا تحتوي على دليل على الحقيقة، يجب أن أقوله أيضاً عن النبوءات، التي يلحّ على عصمتها المدافعون عن المسيحية أيضاً. إذا كانت النبوءة يجب أن تسمى «معصومة»، فإني أطالب إلى حد ما أن يقال سلفاً على نحو مباشر، واضح، ومميّز ذلك الذي ما من إنسان كان باستطاعته سابقاً أن يعرفه، وإن الشيء ذاته سوف يحدث بعد ذلك في الوقت المعين، وهو سوف يحدث لأنه تم التنبؤ به. إذاً، على أية حال، لا يمكن التحقق من مثل هذه النبوءة إلا من خلال التفسير المجازي للكلمات والأشياء؛ إذا كانت مكوّنة فقط من كلمات مظلمة ومريبة، والتعبيرات التي تحتوي عليها شائعة ومبهمة وغير مؤكدة؛ إذا كان قد اعتُقد أن المسألة محتملة، أو تم توقعها بواسطة المكر البشري؛ إذا هي تحدث لأنه تم التنبؤ بها؛ إذا كانت الكلمات المستخدمة تشير إلى مسألة أخرى ولا تنطبق على النبوة إلا عن طريق المراوغة؛ إذا كانت مكتوبة فقط بعد وقوع الحدث؛ إذا كان كتاب أو مقطع نبوئي يُعطى ليكون أقدم مما هو

(1) الإشارة هنا إلى هو 11 -1: مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي.

عليه؛ أو أخيراً، إذا كان الشيء المتوقع لا يحدث على الإطلاق، فستكون النبوءة عندئذٍ إما مشكوكاً فيها أو غير صحيحة.

حين نحكم إذاً بهذه القواعد ونبدأ تحقيقًا بنبوءات العهد القديم التي طبقت على العهد الجديد، فسوف نجد أنها لا قيمة لها وزائفة. وتلك التي تم التعبير عنها بأوضح ما يمكن لم يسبق لها أن حدثت، وعلى سبيل المثال: أن «المسيا يجب أن يجلس على كرسي داود على جبل صهيون وأن يحكم من بحر إلى آخر، حتى إلى نهاية العالم»، وكل ما هو بجانب ذلك تمّ التنبؤ به عن مخلّص إسرائيل. النبوءات الأخرى يتم تكييفها فقط من خلال المراوغة، وهي في الواقع تشير إلى أشياء أخرى تماماً. لقد قدمت مؤخراً مثالين على ذلك، وفي وقت لاحق سأوضح أنه ليس هنالك جملة واحدة من العهد القديم والتي طبقها متى وآخرون على تاريخ يسوع كانت قد كتبت بالمعنى الذي عزي إليها. وتحتوي فقرات أخرى على أمور يطبّقها الرسل بشكل استعاري على المسيح، مثل آية النبي يونان الذي كان ثلاثة أيام وثلاث ليال في بطن الحوت، وكذلك القول، « 2صم 7 -14: أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً»(1). أمام مقاطع مثل هذه لا يملك لاهوتيونا الحاليون بديلاً سوى اللجوء إلى الدائرة، والتي أعني بها أنهم يحاولون إثبات حقيقة العهد الجديد وعقيدته من خلال نبوءات القديم، والأشياء التي قيلت أو قصدت في العهد القديم من خلال الجديد، أي، من خلال

(1) راجع: أخبار الأيام الأول 17: 13.

القديس متّى، القديس بولس، وما إلى ذلك. مع القليل من براعة إضافية، أُمكن بالتالي تطبيق العديد من المقاطع على المسيح، من أجل أن «يتحقق ما هو مكتوب»[1]، مثل، «زك 9 -9: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ.. وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ»[2]. باختصار، يحق لي أن أؤكد أنه لا يمكن للمرء أن يشير إلى نبوة واحدة مقتبسة والتي هي غير خاطئة؛ أو إذا كنتم تريدون أن أتكلّم بشكل أكثر تعقيداً، سأقول فقط إنها جميعاً غامضة ومشكوك فيها، ولا يمكن قبولها من قبل الكتّاب الذين يبدّدون الوقت بالأشياء والكلمات.

القسم الحادي والخمسون:

وهكذا فمن السهل إدراك كيف تقف النتيجة على جميع الجوانب: -

أولاً. لأن الحجة، المستمدة من التنبؤات التي لا تكون أوضح أو أكثر تميّزاً من تلك المذكورة أعلاه في العهد الجديد، تدور في دائرة ويجب أن تفترض petitionem principii.[3]

تمثيل المسيحية من قبل بولس هو – «يسوع الناصري هو ابن الله».

كيف ذلك؟

(1) مت 1 -22: وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ.

(2) ملاحظة من رايماروس: مثال عن شيء تحقق، لأنه كان قد تمّ التنبؤ به.

(3) مغالطة منطقية يفترض فيها أن المقدمة صحيحة من دون مبرر أو عندما يتم اعتبار ما يجب إثباته ضمنياً أمر مسلم به.

«لأنه مكتوب: سأكون أباه، وهو سيكون ابني: أنت ابني، فهذا اليوم قد ولدتك»[1].

لكن يبدو لي أن الجزء الأول يشير إلى سليمان والجزء الأخير إلى داود.

«وحتى لو كان الأمر كذلك، يجب أن تكون شخصية أعلى بكثير قد تمّ تخيلها في إطار داود وسليمان».

جيد. لكن كيف لي أن أعرف ذلك؟ هل يثبت كتّاب العهد القديم أن هذا هو الحال؟

«ليس بالضبط. لكن الرسول بولس المقدّس، بإلهام من الروح القدس، يبين لنا العقل -الموجّه والصورة المضادة التي تم تصويرها مسبقاً».

إذاً إنّ عقيدة بولس صحيحة، لأنه يقول ذلك. وهكذا فهو مع مئة مقطع آخر، وبشكل أساسي مع تلك التي لا يمكن للمرء أن يستخلص منها أية نتيجة لصالح المسيحية ما لم يسلّم المرء جدلاً أولاً أنها تمتلك معنىً استعارياً، يشير إلى المسيحية.

ثانياً. وحتى لو افترضنا أن معاني مقاطع العهد القديم بحد ذاتها تكشف شيئاً ما بحق، فإن هذا لا يعني على الإطلاق أن يسوع الناصري كان المعني بها. وإذا ما سلّمنا جدلاً أن المسيا كان سيخرج من

---

(1) مز 2 -7: أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ.

بيت لحم ، فهل أنّ كل من يخرج من بيت لحم مسيات؟ وإذا ما سلّمنا جدلاً أنّ المسيا كان سيخرج من مصر، فهل كل الذين سيخرجون من مصر إذاً مسيّات؟

وإذا ما سلّمنا جدلاً أنه عاش في الناصرة، فهل يستطيع أي شخص أقام في الناصرة أن يطلق على نفسه اسم «المسيا»؟ سيُرد علينا بالقول، «ذلك كله جيّد جداً، لكن عندما يكون عدد كبير جداً، عندما تتحقق كل الآيات في شخص واحد، يجب أن يكون ذلك الشخص هو المعني، وليس شخصاً آخر». لكن هنا نرتكس مرة أخرى إلى الدائرة القديمة ذاتها. فقد لاحظ كتّاب العهد الجديد الخصوصيات المرافقة لحياة يسوع (والتي أعطيت بعض الأوصاف لها من قبل)، ومن ثم كانوا سيرغبون بسعادة أن يصنعوا منه مسيا. لإنجاز هذا ادعوا أن هذه الخصائص قد تم التنبؤ بها وتحقيقها فيه. وحيث أن النبوءات التي تتطابق لم يكن بالإمكان العثور عليها، فقد قاموا ، من خلال المراوغات والرموز، بتحوير وتحريف هذا المقطع في العهد القديم أو ذاك ليتناسب مع غرضهم. إذاً، حين لا يمكننا أن نكتشف أن أيًا من تلك المقاطع قد كتب بالمعنى المنسوب إليه، أو أن أياً منها يشير إلى يسوع على وجه الخصوص، يتبع ذلك أنّ علينا أن نؤمن بالمعنى المعطى للنبوءات من قبل كتّاب العهد الجديد ببساطة لأنهم يقولون ذلك.

ثالثاً. إنه استنتاج خاطئ بأن «هذا أو ذاك كان قد تنبّأ بالمسيا اليهودي؛ ونتيجة لذلك فإن هذا أو ذاك تم تحقيقه في يسوع». أنا أسمي هذا التسلل خلسة عابراً فرضيتين في آن، وفقط تلك التي هي في الواقع

محط السؤال. وينبغي أن أختم كما يلي: «حدث هذا أو ذاك أو تمّ توقعهما»؛ ونتيجة لذلك، التنبؤ بذلك الذي حدث تم تحقيقه». لأنه يجب دائما أن يثبت سابقاً أن هذا أو ذاك حدث فيما يتعلّق بشخص معين، وأن هذا الفعل أو الحدث كان قد تنبأ به عن ذاك الشخص. عندها فقط يمكننا أن نقبل بحقيقة النبوة، ونسلّم جدلاً أنها تحققت في الشخص. حتى موسى يعلّمنا أن نستنتج ذلك. لكن أولئك الذين يبدؤون بالتسليم جدلاً بأن النبوءات يجب أن تكون صحيحة ويجب أن تتحقق، أولئك الذين لا يظهرون أولاً أن الأحداث يجب أن تكون قد وقعت بالفعل، لكنهم يثبتون من خلال النبوءات أنها من المفترض أنها صحيحة، ويسرقون بخبث النقطتين المعنيتين. دعونا، على سبيل المثال، نفترض أنه قد تم التنبؤ بأن المسيا يجب أن يصنع معجزات، يعيد البصر للمكفوفين، ويجعل العرج يمشون، وأنه يجب أن يقوم من الموت. هل يتبع ذلك أن النبوة كانت حقيقية؟

القسم الثاني والخمسون:

كل قارئ يقظ سوف يستوعب مباشرة أنني أنظر إلى المعجزات العديدة التي قدمها الرسل، نزاهتهم وتقواهم المفترضتين في روايتهم، مذاهبهم وحياتهم، موت الشهداء الذي عانوه، والذي يستند على أساسه دليل المسيحية على نحو رئيس، على أنها عدد من الأشياء الثانوية غير الأساسية، والتي لا تشكل بأي حال من الأحوال حقيقة المسألة الرئيسة. حتى لو سمحت للأمر أن يبقى غير محدّد فيما إذا كلّ

واحدة من هذه الروايات إذا ما أخذناها فرديًا كانت غير قابلة لأن تنكر أم لا، وقابلة لأن تُثبت، ومن المشكوك به كيف جاءت الأشياء، يظل من الواضح تمامًا أن أياً منها لا تلامس جوهر الموضوع، أو يمكن أن تقضي على الشكوك والصعوبات. تمتلك العديد من الأديان الأخرى المبادئ ذاتها الملتبسة في الأساس، لكن البراهين التي تزعم أنها تحتوي على حقيقة ديانة ليست قاطعة، وحيث توجد علامات واضحة على الزيف، تكون عقيمة.

إنّ ألف معجزات مؤكدة لا يمكن لها أن توضح وتصحح تناقضاً واحداً واضحاً في روايات القيامة التي هي الآن أمام عيني. وكل التقوى والقداسة المؤكدتين للرسل لا يمكنهما أن تقنعاني بأن يسوع عاد مرئيّاً بقوة ومجد عظيمين، ويبدأ مملكته المجيدة على الأرض قبل أن يذوق بعض الذين وقفوا حوله طعم الموت. وكلّ الشهداء الذين عانوا من العذابات التي لم يسمع بها والتي تحمّلوها لن يقنعوني بأن المقطع القائل، «من مصر دعوت ابني» يشير إلى يسوع؛ أو أن جملة، «يجب أن يدعى ناصرياً»، تطالعنا في الكتابات الموجودة من العهد القديم.

حقيقة أن عدداً من الناس، مهما كان مهولاً، قد تبنوا ديناً واحداً، لا تظهر لي أنهم كانوا على حق عندما فعلوا ذلك، وأنهم قاموا بخيارهم ذاك بعد دراسة مناسبة وتفكير مناسب. إذن، كما انه لا يمكن إلقاء أي ضوء على النقطة الرئيسة بالنسبة لي من خلال أي من هذه الأشياء، وكما أنهم لا يستطيعون القضاء على أي من شكوكي،

فأنا لا أفهم لماذا يجب أن أسمح لنفسي بأن تُسحب من مسيرتي المستقيمة من خلال النظر إليهم عن كثب أكثر، ولا أعتقد أن قرّائي يرغبون في القيام بذلك ، لكني سأشعر بالرضا إذا لم أتطرق إلا إلى ما قد أواجهه في الطريق، والذي ربما يعيق تقدمي. وسأشرع الآن إذاً في التحقيق في موضوع الغرض الحقيقي للرسل في اختراع وبناء مذهبهم الجديد، وكيف نجحوا من خلال التدرجات، وسوف أحاول، عبر مقارنة جميع الظروف بشكل أساسي، أن أكتشف الأمر قدر الإمكان.

الفصل الخامس

الطموح الدنيوي للرسل

القسم الثالث والخمسون:

كان الرسل بمعظمهم من رجال الطبقة الدنيا والموارد الضئيلة، الذين كانوا يكسبون عيشهم بصيد السمك وغيرها من الحرف. وربما كانوا لا يعرفون إلا القليل أو لا يعرفون شيئًا عن غير مهنتهم، على الرغم من أنه كان من الممكن أن يكونوا رجالًا يجمعون بين الدراسة والعمل، وأن لا يلجأوا إلى الأخير إلا في حالة الضرورة، كما كان الحال مع اليهود مثل بولس، والذي هو، على الرغم من أنه كان متعلّماً، إلا أنه كان يساعد ذاته بين الفينة والفينة عن طريق صنع الخيام. الآن عندما عزموا على إتباع يسوع، تخلّوا تماماً عن تجارتهم وارتبطوا كلهم به، سمعوا تعاليمه، وذهبوا معه إلى كل مكان، أو من وقت لآخر كان يرسلهم إلى مدن إسرائيل ليعلنوا أن ملكوت السماء كان قريباً، وبالتالي تم اختيار اثني عشر واحداً منهم ليصبحوا رسل الفرح هؤلاء. ونحن هنا لا نطلب باستدلالات أو استنتاجات حول ما حمل الرسل على التخلي عن كلّ شيء وإتباع يسوع، لأن الإنجيليين يطلعوننا بوضوح على أنهم يعلقون الآمال بأن يقوم المسيا بإنشاء

مملكة، أو أن يصبح ملكًا لإسرائيل، وأن يجلس بنفسه على عرش داود. وفي الوقت نفسه أعطاهم يسوع بذاته وعده بأنهم هم أيضاً سيجلسون على اثني عشر عرشًا وسيحكمون على أسباط إسرائيل الاثني عشر. وفي الواقع كانوا يجلسون عليهم بثبات في الخيال، حتى بدأوا في الاختلاف فيما بينهم، قبل الأوان، حول من يجب أن يكون له المكان الأول والسلطة الأعظم بعد يسوع. فأراد أحدهم الجلوس إلى يمينه، والآخر إلى يساره. في هذه الأثناء، لم ينسوا تذكير يسوع بمزاعمهم في تركهم لكل شيء والسير خلفه، ولا أن يسألوه عما يجب أن يتلقوه بسبب قيامهم بذلك. وحين كان يسوع يريحهم بالقول إن أولئك الذين تركوا الحقول، المنازل، وما إلى ذلك، من أجله، سوف يتلقون مائة ضعف، نجدهم راضين، وينتظرون بفارغ الصبر ليس إلا الوقت والساعة عندما ستبدأ مملكته حقاً. لكن هذا الانتظار المرهق استمر فقط حتى إعدام يسوع، الذي دمر للحال كل آمالهم الفارغة؛ وعندئذٍ راحوا يشتكون، قائلين، "كنا نأمل أنه كان سيخلّص إسرائيل!» من الواضح، من خلال روايتهم الخاصة، ونتيجة لذلك لا يتطلب الأمر أي دليل آخر، أن الرسل وجميع التلاميذ كانت تحرّضهم دوافع طموحة، آمالهم في الثروات والسلطة في المستقبل، الأراضي والسلع الدنيوية، كي يسيروا خلف يسوع وذلك باعتباره مسياهم وملكهم. من الواضح أيضًا أنهم لم يتخلوا عن هذه الآمال والأهداف قط طالما كان يسوع على قيد الحياة، بل إنها أعطتهم متنفساً حتى بعد

وفاته. وحتى الآن، كل هذا يجب الاعتراف به من قبل الجميع. لا أحد يستطيع أن ينكره دون أكبر قدر من الوقاحة. لكن الآن، فإن عقيدة رسل يسوع تجتاز بخطى متسارعة نوعاً من التغيير! فهل تتغير أهداف الرسل بالمثل؟ لا، إنهم يبنون مذهبًا جديدًا بالفعل، لكن فقط لأن آمالهم أحبطت؛ مذهب والذي على الفور بعد وفاة يسوع لم يبدأوا حتى في التفكير به، والذي لديه كل مظاهر الاختراع الوهمي؛ نتيجة لذلك، لا يمكننا أن نصدق غير أن رسل يسوع احتفظوا بأهدافهم وغاياتهم السابقة، وسعوا إلى تحقيق إنجازاتهم بأفضل ما أمكن لهم ذلك، وإن كان ذلك بطريقة مختلفة. لو لم نتحقق بالفعل من هذا المذهب الجديد لاكتشاف ما إذا كان صحيحاً أم خاطئاً، لو كنا على دراية فقط بالحالة الذهنية والرغبات السابقة للرسل، أي، أنهم كانوا حتى تلك اللحظة يتطلعون باستمرار إلى العظمة والمزايا الدنيوية في مملكة يسوع، التي وضع لها حد بموته، ومن هذا الفشل استنبطوا مذهباً جديداً حول يسوع كمخلص روحاني، معانٍ، والذي حتى زمن بعد ذلك لم يدخل رؤوسهم قط، وأنهم بعد ذلك نصّبوا أنفسهم كمرسل ومبشرين بهذه البشارة، كان لا بد لنا من أن نشك بهم بعدل وقوة أنهم كانوا سيُفعّلون من قبل الهدف الطموح القديم في عقيدتهم المتغيرة؛ لأنه من المحتمل أكثر أن يستمر الناس في العمل من الدوافع ذاتها التي فُعِّلوا بها بشكل لا يمكن إنكاره وعلى نحو لا يتغيّر قبل أن يتخلوا عنها ويعتنقوا أخرى.

لكننا اتبعنا مساراً أكثر استقامة ؛ فقد فحصنا، منذ فترة قصيرة، أساس هذا الهيكل الجديد بشكل كامل وبحد ذاته، ووجدنا أنه زائف وخيالي من أساسه إلى رأسه. وهكذا فنحن نرى كم كان من المستحيل أن يكون لدى الرسل أي هدف آخر في نشر عقيدة جديدة غير عقيدتهم القديمة، أي، الحصول في النهاية على السلطة والمزايا الدنيوية.

لأن تصنيعاً متعمداً، مدروساً لحدث خاطئ، يمكن أن ينبع فقط من عزم مسبق ومن غرض أو دافع مغروس في العقل. وهذا الذي يخترع كذبة بوعي وحرص لا بدّ أن يكون لديه دافع للقيام بذلك قبل أن يتمكن من تكوين أي شيء من شأنه أن يعزّز هدفه ؛ وكلما كان هذا التلفيق أكثر جرأة وأهمية، كلما كان يجب أن تكون النية متجذّرة سابقاً بشكل أعمق في عقل، وأن تكون النتيجة أكثر أهمية بالنسبة له.

كما أنّ عقيدة الرسل الجديدة كانت من ثم فبركة لا شك فيها، كان عليهم أن يخترعوها وفقاً لدافع مسبق في ذهنهم وإرادتهم. الآن، وحيث أنّ الدوافع السابقة للرسل، على نحو دائم حتى زمن الفبركة، كانت تهدف إلى الثروة والسلطة الدنيويتين، فإنه يعقب ذلك بكل اليقين الأخلاقي أن امتلاك الثروة والسلطة الدنيويتين كان أيضاً غرض الرسل في فبركة عقيدتهم الجديدة. ولا يمكننا أن نشك في أن جميع الظروف التي رافقت سلوكهم سوف تؤكّد هذا الاستنتاج.

القسم الرابع والخمسون:

بعد موت يسوع، ساد القلق والخوف بين التلاميذ خشية أن يلاحقوا ويعاقبوا، لأنهم تبعوا رجلاً أراد أن ينصّب نفسه ملكاً، وحرّض الشعب على التمرد. وعلى الرغم من أنهم تظاهروا بأنهم شجعان للغاية، وأنهم يرغبون في تقاسم الخطر والموت مع يسوع، نعم، حتى أنهم كانوا على استعداد للقتال بالسيوف لأجله، فقد أصبحوا جبناء من اللحظة التي رأوا فيها أنه قد تم أخذه، وكان من المحتمل أن يُدان بجدية. «مر 14 -50: فَتَرَكَهُ الْجَمِيعُ وَهَرَبُوا»؛ أما بطرس الذي استجمع ما يكفي من الشجاعة كي ينظر من بعيد لمعرفة ما الذي يمكن أن تؤول إليه نهاية الاضطراب، فأنكر معلّمه ثلاث مرات[1]، وأعلن وهو يقسم أنه لا يعرفه ولا يعرف عنه شيئاً، لأنه، كما ترون، كانت الأمور تتعارض تماماً مع الهدف المنشود. فقد انقلبت المقاعد الاثنا عشر التي كان المعني بها الجلوس عليها والحكم في

(1) مر 14 -66: وَبَيْنَمَا كَانَ بُطْرُسُ فِي الدَّارِ أَسْفَلَ جَاءَتْ إِحْدَى جَوَارِي رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. مر 14 -67: فَلَمَّا رَأَتْ بُطْرُسَ يَسْتَدْفِئُ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ! مر 14 -68: فَأَنْكَرَ قَائِلاً: لَسْتُ أَدْرِي وَلاَ أَفْهَمُ مَا تَقُولِينَ! وَخَرَجَ خَارِجاً إِلَى الدِّهْلِيزِ، فَصَاحَ الدِّيكُ. مر 14 -69: فَرَأَتْهُ الْجَارِيَةُ أَيْضاً وَابْتَدَأَتْ تَقُولُ لِلْحَاضِرِينَ: إِنَّ هَذَا مِنْهُمْ! مر 14 -70: فَأَنْكَرَ أَيْضاً. وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً قَالَ الْحَاضِرُونَ لِبُطْرُسَ: حَقّاً أَنْتَ مِنْهُمْ لأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ أَيْضاً وَلُغَتُكَ تُشْبِهُ لُغَتَهُمْ!. مر 14 -71: فَابْتَدَأَ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: إِنِّي لاَ أَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ!

ملكوت المسيح، ولم يعودوا يرغبون في الجلوس على يمينه وعلى يساره!

استمر ذعر الرسل لبعض الوقت بعد موت يسوع. فتركوا ليوسف ونيقوديموس والنساء أن يحضروا دفنه، وبقوا مبتعدين حتى عن واجباتهم الأخيرة[1].

---

(1) يو 19 -38: ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، وَهُوَ تِلْمِيذُ يَسُوعَ، وَلكِنْ خُفْيَةً لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، سَأَلَ بِيلاَطُسَ أَنْ يَأْخُذَ جَسَدَ يَسُوعَ، فَأَذِنَ بِيلاَطُسُ. فَجَاءَ وَأَخَذَ جَسَدَ يَسُوعَ. يو 19 -39: وَجَاءَ أَيْضاً نِيقُودِيمُوسُ، الَّذِي أَتَى أَوَّلاً إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً، وَهُوَ حَامِلٌ مَزِيجَ مُرٍّ وَعُودٍ نَحْوَ مِئَةِ مَناً. يو 19 -40: فَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ، وَلَفَّاهُ بِأَكْفَانٍ مَعَ الأَطْيَابِ، كَمَا لِلْيَهُودِ عَادَةٌ أَنْ يُكَفِّنُوا. يو 19 -41: وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ بُسْتَانٌ، وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ. يو 19 -42: فَهُنَاكَ وَضَعَا يَسُوعَ لِسَبَبِ اسْتِعْدَادِ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْقَبْرَ كَانَ قَرِيباً. مر 15 -39: وَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ الْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ، قَالَ: حَقّاً كَانَ هذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللهِ! مر 15 -40: وَكَانَتْ أَيْضاً نِسَاءٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، بَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ، وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ وَيُوسِي، وَسَالُومَةُ، مر 15 -41: اللَّوَاتِي أَيْضاً تَبِعْنَهُ وَخَدَمْنَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ. وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ اللَّوَاتِي صَعِدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. مر 15 -42: وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، إِذْ كَانَ الاسْتِعْدَادُ، أَيْ مَا قَبْلَ السَّبْتِ، مر 15 -43: جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، مُشِيرٌ شَرِيفٌ، وَكَانَ هُوَ أَيْضاً مُنْتَظِراً مَلَكُوتَ اللهِ فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. مر 15 -44: فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعاً. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ، وَسَأَلَهُ: هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟ مر 15 -45: وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ وَهَبَ الْجَسَدَ لِيُوسُفَ. مر 15 -46: فَاشْتَرَى كَتَّاناً، فَأَنْزَلَهُ وَكَفَّنَهُ بِالْكَتَّانِ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرٍ كَانَ مَنْحُوتاً فِي صَخْرَةٍ، وَدَحْرَجَ حَجَراً عَلَى بَابِ الْقَبْرِ. مر 15 -47: وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يُوسِي تَنْظُرَانِ أَيْنَ وُضِعَ.

كانوا يجتمعون في أماكن سرية، يقفلون عليهم الأبواب خوفاً من اليهود، لأن رغباتهم ومصالحهم المشتركة جعلت من المستحسن أن يظلوا متماسكين ويحافظوا على العقلية ذاتها. وبعد فترة وجيزة، راحوا واحداً بعد الآخر يغامرون في مغادرة البلاد. ليجدوا أنه ما من تحقيق قضائي آخر بشأنهم. إنهم يلاحظون أن القضاة والحكام، بعد إعدام يسوع كمدان رئيس، يعتبرون أن أهمية أتباعه ضئيلة، فلم يكونوا ليزعجوا أنفسهم بشأنهم؛ ولم يكن باستطاعتهم ربما أخذ خطوات إضافية أيضاً أمام بيلاطس. لذا، سرعان ما تشجعوا وبدأوا يفكرون في التغلب على الأخطار وفي التوقعات المستقبلية للسعادة. ما الذي ينبغي القيام به؟ إذا عادوا إلى مهنهم وحرفهم الأصلية، لا شيء سوى الفقر والخزي في انتظارهم. الفقر، لأنهم تركوا كلّ شيء، لاسيما شباك صيدهم والسفن وغيرها من الأدوات؛ وإلى جانب ذلك، فقد تنامت فيهم عادة عدم العمل. والخزي، لأنهم اختبروا مثل هذا السقوط الهائل لتوقعاتهم العظيمة والقوية، ومن خلال التصاقهم بيسوع أصبحوا مألوفين جداً لكل العيون، فكان الجميع يصرخون ويشيرون إلى قضاة بإسرائيل المزعومين والأصدقاء الحميمين للمسيا ورسله، الذين عادوا من جديد الآن صيادي سمك فقراء وربما حتى متسولين. وكون الاثنان (الفقر والخزي) النقيض تماماً لآمالهما الثابتة وطويلة الأمد فقد كانا مزعجين وبغيضين للغاية. من ناحية أخرى، فقد تشرّبوا، بينما كانوا مع معلّمهم، القليل من الدلالة المنذرة للأهمية التي يجب اكتسابها من خلال التبشير، وأكّدوا بالمثل أنه لم يكن مهنة

غير مدفوعة الأجر. لم يكن لدى يسوع ذاته أي شيء. وتقول أقدم الروايات المتعلقة به إنه كان يحدّد ذاته من خلال مهنة ما حتى زمن رسالته. مع ذلك، ففي السنة الثلاثين من حياته، وضع تجارته جانباً وبدأ في التعليم. هذا لا يعني بأي حال من الأحوال العوز أو الجوع، على الرغم من أنه لم يعد بتوفير دخل مريح، وهو في الواقع لم يكن بالأمر الاعتيادي بين اليهود، الذين كانوا سيبدون أكثر سخاء بالهبات الخيرية. وعندما حطّ رحاله في القدس كان من المؤكد أن أحد أصدقائه سيدعوه ليكون ضيفه. من هذا أيضاً ظهر القول إنه كان «مت 11 - 19: إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ»[1]. من الملفت للنظر أيضاً أنه كان هنالك العديد من المرثات[2] اللواتي سببن لأنفسهن الكثير من المتاعب والآلام في إعداد أطباق لذيذة له. وعندما كان يتجوّل، كانت تصاحبه تلك النسوة المحبوبات[3] من أمثال مريم

(1) لو 7 -34: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ.

(2) لو 10 -38: وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ دَخَلَ قَرْيَةً فَقَبِلَتْهُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا مَرْثَا فِي بَيْتِهَا. لو 10 -39: وَكَانَتْ لِهَذِهِ أُخْتٌ تُدْعَى مَرْيَمَ، الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلاَمَهُ. لو 10 -40: وَأَمَّا مَرْثَا فَكَانَتْ مُرْتَبِكَةً فِي خِدْمَةٍ كَثِيرَةٍ. فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ: يَا رَبُّ، أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدِمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي! لو 10 -41: فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: مَرْثَا، مَرْثَا، أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، لو 10 -42: وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا.

(3) لو 8 -1: وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَمَعَهُ الاِثْنَا عَشَرَ. لو 8 -2: وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ
==

المجدلية، يونّا، زوجة خوزي، وكيل هيرودس، سوسنة، والعديد من النساء ألأخريات اللائي كن يخدمنه من أموالهن، كما أخبرنا لوقا (8: 1 - 3). نتيجة لذلك، لم يكن يتمّ تزويده بالطعام فحسب، بل بالمال أيضاً؛ وكان يهوذا[1]، الذي كان يحمل صندوق النقود، هو الصرّاف الذي يشتري ويدفع ثمن كل ما هو مطلوب في الرحلة، ويقدّم حساباً بشأن النفقات.

وحيثما كان يسوع يتناول وجبات طعامه، كان التلاميذ يأكلون معه. وحيثما كان يسافر يسوع، كانت مصاريفهم تدفع من المحفظة العامة، بحيث كانت العطايا الكريمة التي كانت تمنح ليسوع خلال خدمته كافية لدفع نفقات ما لا يقل عن ثلاثة عشر شخصاً. وذات مرة، كما لو كان الأمر للتأكّد ما إذا سيُشعر بالعوز في مثل هذا المسار من الحياة، تم إرسال بعض التلاميذ خارج المنطقة إلى جميع بلدات منطقة اليهودية للإعلان عن ملكوت الله، دون محفظة أو مال، وعند عودتهم، سئلوا عما إذا كانوا قد عانوا في أي مناسبة من الجوع أو

وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ، لو 8 -3: وَيُوَنَّا امْرَأَةُ خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ، وَسُوسَنَّةُ، وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ.

(1) يو 12 -4: فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ، الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: يو 12 -5: لِمَاذَا لَمْ يُبَعْ هَذَا الطِّيبُ بِثَلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَ لِلْفُقَرَاءِ؟ يو 12 -6: قَالَ هَذَا لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقاً، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ.

العوز، فأجابوا بأنهم لم يختبروا ذلك. كان الرسل يدركون جيدا أن الوعظ، ولاسيما الإعلان عن المسيا، لم يكن ليؤذيهم، ولن يقلّل من قيمتهم إلى درجة التسول. كان هو نفسه الشرف والمجد. وقد رأوا أن حشود من الناس كانت تركض خلف المسيح ليصغوا إلى تعاليمه.

هم أنفسهم كان أيضاً قد تم تكريمهم إلى حدٍ ما وكان الجمهور يبحث عنهم، لأنهم ، باعتبار أنهم كانوا التلاميذ الموثوق بهم والذين سُمح لهم بمعرفة أكثر من غيرهم، فقد رسم معلّمهم خطاً بينهم وبين الناس. كان لديهم أيضاً القليل من نذر الشرف والمجد عندما كانوا يجولون كسفراء ورسل للمسيا، معلنين عن ملكوت السماوات. وفوق كل ذلك، كانوا يعرفون مدى التأثير الذي يمكن أن يحظى به المعلم بين اليهود، لأن الفريسيين، الذين كانوا أهم المعلمين وأكثرهم نفوذاً، استبدلوا الكثير من قوانينهم وأقوالهم الخاصة بقوانين وأقوال الأنبياء، وقد عودّوا الشعب على القبول بذلك بشكل أعمى. قد ترتفع سوية مثل هذا التأثير والأهمية إلى حد كبير في الزمن الذي توقفت فيه النبوءات والمعجزات، فكان على أحدهم أن يخطو إلى الأمام ويتظاهر بأنه تلقى وحياً إلهياً ويصنع معجزات، والطيران الأعلى بين الجميع كان يمكن أن يقوم به ذلك الذي يعود إلى رواية التوقع الشامل للمسيا، الذي كان سيعلّم الشعب عن عودته السريعة كي يبحثوا عنه، وأن يجعلهم يعتقدون أنه يحمل مفاتيح ملكوت السماوات. تلك هي الطبيعة الإنسانية! ومن يستطيع أن يتحدث إلى الناس ويقودهم إلى الاعتقاد بأنه يستطيع أن يريهم الطريق إلى النعيم الأبدي، أسلوب لا يعرفه

الآخرون، أو الذي هو مغلق في وجه الآخرين جميعاً، لكنه أيضاً طريق يمكن له أن يغلقه، وكذلك أن يفتحه، ومن ثم يصبح سيّداً على كلّ ما يعتبره الإنسان غالياً على قلبه؛ على أفكاره، حريته، شرفه، وثروته، لأن كل شيء يغرق في التفاهة بالمقارنة مع هذا الأمل العظيم والحبيب!

إذا سمح لنا بإلقاء نظرة خاطفة على سلوك الرسل بعد ذلك، فإن التتمة تُظهر أنهم قاموا بالفعل بالسير في الطرق المؤدية إلى النفوذ والعظمة؛ واستمدوا منها الكثير من السلطة على عقول الناس الجاهلين قدر استطاعتهم.

إنهم يكتبون إليهم بشكل مشترك ، وكذلك في مجلسهم، ليملوا عليهم جميعاً باسم الروح القدس ليس فقط ما يجب عليهم أن يؤمنوا به، بل أيضاً ما يجب عليهم أن يفعلوا وما يجب عليهم تجنبه، وما يجب عليهم أن يأكلوا وأن يشربوا. إنهم يأمرون، إنهم يهددون، ويعطون الناس إلى الشيطان؛ إنهم يعينون الأساقفة، الرؤساء، والشيوخ؛ ويجبرون الناس على بيع جميع ممتلكاتهم ووضع العائدات تحت أقدامهم، بحيث أن أولئك الذين كانت تعود إليهم ملكية الأراضي كان عليهم من الآن فصاعداً أن يعتمدوا على إحسانهم؛ ولن نقول شيئًا عن الآخرين الذين ليس لديهم ممتلكات من هذا النوع، والذين كانوا يتطلعون بالكامل إلى أيدي الرسل الخيرة من أجل الحصول على الدعم. وحيث لم يتمكنوا من تقديم هذه الثروة المشتركة، كانوا يعرفون كيف يحثون على جمع الصدقات بحماس ديني كبير، بحيث أنه كان يعتبر شيئاً صغيراً بالنسبة لأي شخص أن يقتسم ثروته الدنيوية مع

أولئك الذين أصبح من خلالهم مشاركاً في الثروة السماوية والروحية. بعد ذلك، تعلّم الرسل من خلال النُذر القليلة المذكورة أعلاه، أنه عبر الكرازة والإعلان عن ملكوت المسيا، تأمين ما يكفي ليس فقط لإعالة أنفسهم، بل أيضاً كان يمكن لهم بذلك الحصول على السلطة والشرف والمجد. كانوا يمتلكون أيضاً حساً كافياً (كما يُظهر سلوكهم المستقبلي) لتحويل كل هذه الأشياء إلى مصلحتهم بأفضل ما يمكن. لا عجب إذن أن شجاعتهم لم تتركهم بالكامل بعد الإخفاق الأول لآمالهم في الثروة والسلطة الدنيوية في مملكة المسيا، وبأنهم استطاعوا بضربة قوية أن يمهدوا لهم طريقاً جديدة.

القسم السادس والخمسون:

لقد لاحظنا للتو أنه في ذلك الوقت آمن بعض اليهود، رغم قلة عددهم، بالمجيء المزدوج للمسيا، الذي كان سيظهر أولاً في المعاناة والبؤس، ومرة أخرى في السلطة والمجد. وهذا الاعتقاد كان مناسباً تماماً لغرض الرسل. فقد رأوا أن اللعبة لم تخسر بعد. كان التوقّع المستقبلي للمسيا لا يزال يحظى بقبول شامل، وعلى الرغم من أن اليهود خدعوا بأشخاص مثل ثوداس[1] ويهوذا الجليلي[2]، إلا أنهم لم يتوقفوا قط

(1) اع 5 -36: لأَنَّهُ قَبْلَ هذِهِ الأَيَّامِ قَامَ ثُودَاسُ قَائِلاً عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ شَيْءٌ الَّذِي الْتَصَقَ بِهِ عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ نَحْوُ أَرْبَعِمِئَةٍ الَّذِي قُتِلَ وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَبَدَّدُوا وَصَارُوا لاَ شَيْءَ.

(2) اع 5 -37: بَعْدَ هذَا قَامَ يَهُوذَا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الاكْتِتَابِ وَأَزَاغَ وَرَاءَهُ شَعْباً غَفِيراً. فَذَاكَ أَيْضاً هَلَكَ وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتَّتُوا.

عن البحث عن مسيا في الآخرين وبطريقة مختلفة، كما هو موضح في تاريخ اليهود المتأخر.

كان يمكن للرسل أيضًا أن يشعروا بالثقة بأن عددًا كبيرًا ممن نظروا إلى يسوع كنبي، عظيم بالأقوال والأفعال، كانوا سيتم اصطيادهم من الآن فصاعداً في شباك هذه العقيدة، وكانوا سيعتبرون معاناته جزءاً من رسالته، ونتيجة لمجيئه الأول؛ ونتيجة لذلك، كانوا سيؤمنون ويتوقعون مجيئه الثاني المجيد من السماء ليكون قريباً جداً في مناول اليد. كذلك لم يكن بإمكانهم أن يشكّوا في أن العديد من أتباع يسوع السابقين، من الخشية ذاتها من الفقر والخزي اللذين تركوا على ذواتهم آثاراً لا تمحى، كانوا سيصعدون إلى القارب ذاته معهم، وكانوا سيعتقدون بسعادة بكل ما كان الرسل يتمنونه، وهكذا فقد تمكنوا من إقناعهم فقط أنهم لم يخطئوا ولم يُخدعوا. وخلف الأبواب المغلقة، وطالما كانوا مجمعين على همّهم المشترك، كانت لديهم فرص جيدة للتداول والتشاور مع بعضهم البعض فيما يتعلق بأفضل طريقة لاستخدام فكرتهم لمصلحتهم الخاصة. قبل كل شيء، كان من الضروري التخلّص من جسد يسوع بأسرع ما يمكن، كي يقولوا إنه قام وصعد إلى السماء، وسوف يرجع من هناك على الفور من هناك بقوة ومجد عظيمين. وكان هذا المخطط للتخلص من جسد يسوع سهل التنفيذ.

لقد تمّ دفنه في صخرة تقع في بستان يوسف. وقد سمح كل من المعلم والبستاني للرسل بزيارة القبر ليلاً أو نهاراً. إنهم يخونون أنفسهم

من خلال الاعتراف أنّ أي شخص يمكنه أن ينقل الجسد سراً. وقد اتهموا من قبل الحكام والقضاة بأنهم قاموا بذلك بأنفسهم ليلاً، ولم يجرؤوا قط على مناقضة التقرير العام. باختصار، تجمعت كل الظروف لتظهر أنهم قد نفذوا تعهداتهم بالفعل، وأضافوها فيما بعد إلى حجر الأساس لعقيدتهم الجديدة. ويظهر في التكملة، أيضًا، أنهم لم يأخذوا وقتاً طويلاً في ذلك، لأنهم تخلّصوا من الجثة في أكثر من أربع وعشرين ساعة بقليل، قبل أن ينال منها الفساد؛ وعندما أيقنوا أن جسد يسوع قد ذهب، تظاهروا بأنهم ممتلئون دهشة، وجاهلون بأية قيامة، وانطلقوا مع الآخرين إلى الموقع من أجل معاينة القبر الفارغ[1].

حتى الآن، كان من السابق لأوانه التأكيد على ذلك. وها هم ينتظرون مدة خمسين يومًا كاملة قبل أن يحاولوا ذلك، بحيث يكون قد مرّ زمن من أجل فحص الجسد، ومن أجل الطلب منهم أن يخرجوا على الملأ يسوع الذي قام من بين الأموات. إنهم ينتظرون خمسين يومًا حتى يتمكنوا من الإصرار بمزيد من الثقة على رؤيتهم إياه هنا وهناك، وأنه كان معهم، وتحدث إليهم، وتناول معهم طعامًا، وانفصل عنهم في النهاية، وصعد إلى السماء بحيث يمكن له أن يعود قريباً في المجد.

(1) لا أستطيع أن أؤيد هذا الجزء من نظرية رايماروس. ويبدو أنه من الأكثر عقلانية، وأقل عنفاً للعرض، أن يؤمن بأن يسوع لم يمت على الصليب قط، بل تم إنعاشه بمجهودات يوسف، وتمكن من الهروب من القبر في ثوب البستاني؛ وأنه هرب إلى الجليل، وأن معرفة أنه بقي على قيد الحياة بالفعل بعد أن تمّ صلبه كان قد حفّز على توقع العودة في المجد. - المحرر.

القسم السابع والخمسون:

بأي فرصة للنجاح يمكن أن يعدوا أنفسهم بمثل هذا العمل؟ بلا شك فرصة جيدة. لا أحد يمكنه أن يتهمهم الآن بشكل واضح بالاحتيال أو التزوير. لم يكن بالإمكان العثور على جسم الجريمة، وحتى لو كان لأي شخص أن يأتي ويشير إلى أنه يمكن أن نجده في مكان ما، فقد مر أكثر من خمسين يومًا على موت يسوع، ولا بدّ أن يكون الاضمحلال قد فعل فعله. من سيكون قادراً على التعرف عليه الآن، ويقول «هذا هو جسد يسوع»؟ مرور الزمن أنقذهم من التحرّي، وجعل التحقيق عديم الفائدة. كما ساعدهم الأمر على إخبار حشود الناس كم كان يظهر لهم غالباً وعن الطرق المتعددة التي ظهر لهم فيها في تلك الأثناء، وما قاله لهم؛ وذلك حتى يتمكنوا من تعليم وترتيب أي شيء يبدو مرغوباً فيه، كما لو أنهم كانوا يفعلون ذلك وفقاً لأقوال يسوع وأوامره، وإذا حدث وكان لأي شخص بعد خمسين يوماً أن يسأل: «أين هو يسوع هذا الذي قام من بين الأموات؟ أروه لي»، كانت الإجابة كلّها جاهزة: «لقد صعد الآن إلى السماء». كلهم اعتمدوا على إظهار جبهة جريئة، وفي تأكيدهم بثقة أنهم رأوا يسوع، تحدّثوا معه، شعروا به، أكلوا وساروا معه؛ وفي هذه الإعلانات كانوا جميعاً على قلب واحد.

لم يكن من الممكن رفض مثل هذه الأدلة بسهولة، لأن الحقيقة، وفقاً للقانون، كانت تتألف من أدلة من شاهدين أو ثلاثة، وكان هنالك أحد عشر شخصًا ذكروا الشيء ذاته هنا. القيامة في حد ذاتها لم

تكن غير قابلة للتصديق بالنسبة للكتلة الأكبر من الناس، أي بالنسبة إلى الفريسيين؛ أما الشعب، الذي اعتقد أن آخرين قد قاموا من الموت على يد الأنبياء، فقد كان مجبراً بالتالي على السماح باحتمال قيامة يسوع وفقاً لعقيدة الشعب الخاصة. كان الرسل، أو بالأحرى بولس، بوصفه أكثرهم ذكاءً، يعرفون كيف يحولون هذا لحساب دفاعه وتبرئته بأسلوب حاذق، عندما وقف لمحاكمته أمام المجلس. ومن أجل خلق صراع بين الفريسيين والصدوقيين (الذين جلسوا معاً في الحكم) ومن ثم ينجو، تظاهر في ذلك الوقت بعدم تأكيده على نحو خاص على قيامة يسوع، لكنه حرّف التهمة الموجهة ضده، جاعلاً إياها تبدو كما لو أنها تشير إلى عقيدة شائعة. فحين وقف أمام القضاة في القدس، (أع 23: 6): «اع 23 -6: وَلَمَّا عَلِمَ بُولُسُ أَنَّ قِسْماً مِنْهُمْ صَدُّوقِيُّونَ وَالآخَرَ فَرِّيسِيُّونَ صَرَخَ فِي الْمَجْمَعِ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ. عَلَى رَجَاءِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أَنَا أُحَاكَمُ. اع 23 -7: وَلَمَّا قَالَ هَذَا حَدَثَتْ مُنَازَعَةٌ بَيْنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ وَانْشَقَّتِ الْجَمَاعَةُ اع 23 -8: لأَنَّ الصَّدُّوقِيِّينَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَيْسَ قِيَامَةٌ وَلاَ مَلاَكٌ وَلاَ رُوحٌ وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَيُقِرُّونَ بِكُلِّ ذَلِكَ. اع 23 -9: فَحَدَثَ صِيَاحٌ عَظِيمٌ وَنَهَضَ كَتَبَةُ قِسْمِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَطَفِقُوا يُخَاصِمُونَ قَائِلِينَ: لَسْنَا نَجِدُ شَيْئاً رَدِيّاً فِي هَذَا الإِنْسَانِ! وَإِنْ كَانَ رُوحٌ أَوْ مَلاَكٌ قَدْ كَلَّمَهُ فَلاَ نُحَارِبَنَّ اللهَ». وفي قيصرية نجد يوسف يتحدث بعد ذلك بالطريقة ذاتها (أع 24: 20): «اع 24 -20: أَوْ لِيَقُلْ هَؤُلاَءِ أَنْفُسُهُمْ (اليهود) مَاذَا وَجَدُوا فِيَّ مِنَ الذَّنْبِ وَأَنَا قَائِمٌ أَمَامَ الْمَجْمَعِ اع 24 -21: إِلاَّ مِنْ جِهَةِ هَذَا الْقَوْلِ الْوَاحِدِ الَّذِي صَرَخْتُ بِهِ وَاقِفاً بَيْنَهُمْ: أَنِّي مِنْ أَجْلِ

قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أُحَاكَمُ مِنْكُمُ الْيَوْمَ». ومن جديد يتحدّث بالطريقة ذاتها أمام الملك أغريباس، ويسفّه اليهود في حضوره (أع 26 :8): «أع 26 -8: لِمَاذَا يُعَدُّ عِنْدَكُمْ أَمْراً لاَ يُصَدَّقُ إِنْ أَقَامَ اللهُ أَمْوَاتاً؟». ما كان يقصده هو: «لماذا، إنه إيمانكم بأن هنالك قيامة للموتى! هنالك أمثلة على ذلك في الكتاب المقدس». لقد عرف بولس كيف يمسك اليهود من عقائدهم الخاصة؛ وعندما كان يأتي إلى قيامة يسوع بشكل خاص، كان يلجأ إلى باتكول، وهو صوت دعاه من السماء. الآن فإنه نحو مثل هذا الباتكول، في ذلك الوقت، كانوا يشعرون بكل الشرف، لذلك كانوا ملزمين بإظهار ما يتوجب عليهم من احترام له: « اع 23 -9: وَإِنْ كَانَ رُوحٌ أَوْ مَلاَكٌ قَدْ كَلَّمَهُ فَلاَ نُحَارِبَنَّ اللهَ».

وبطريقة مشابهة ، غالباً ما يلجأ الرسل إلى أصوات سماوية، الروح القدس، الملائكة، الرؤى، الإنخطاف عالياً كما لو أنه كان إلى السماء الثالثة، وما إلى ذلك، كلما أرادوا إعطاء قوة لتظاهراتهم.

إن أولئك الذين كانوا ما يزالون يحترمون ويقدّرون شخص يسوع، والذين سمعوا عن معجزاته العديدة، بل وأنه أعاد أناساً من الموت، كانوا أكثر استعداداً للاعتقاد بأنه هو نفسه قد قام من بين الأموات. لقد تعلم الرسل أيضاً من معلّمهم كيفية أداء المعجزات، أو بالأحرى كيفية تقديم ما يشبه تلك المعجزات إلى المشاهدين، وقد أظهرت في موضع آخر أنه لا يتطلب أية نوعية من مهارة كي تحكي عن معجزات، أو حتى أن تقوم بها، وهكذا هنالك الكثير من الحلفاء للمساعدة من خلال البراعة في الكلام واليد، وحيثما يكون عليهم

التعامل مع شعب اعتاد منذ الصبا وما بعد على الارتياح في المعجزات. كان الرسل يبذلون جهداً لتعزيز هذا الاستعداد للاعتقاد، من خلال التوصية والحث على الإيمان بوصفه إيماناً مفيداً ومخلصاً، وإدانة عدم الإيمان بالخطيئة المميتة. وعندما كان هنالك سؤال عن الإثبات، كان لديهم موسى وجميع الأنبياء لدعمهم؛ ولأنهم اكتسبوا كل حيل التكيف المجازي، لم يكن من الصعب عليهم العثور على مقاطع تنطبق على يسوع كمسيا، على ولادته، على رحلته إلى مصر، على إقامته في الناصرة، أفعاله، معجزاته، صلبه، دفنه، القيامة، الصعود، المجيء الثاني، وباختصار، على أي شيء آخر أرادوه. كان فن التفكير الفريسي هذا، في تلك الأيام، يُنظر إليه على أنه عرض لأعظم الذكاء، أعمق العلوم، باختصار، لا يمكن مقاومته؛ وحيث كان ثمة افتقار إلى الإدانة، يميل الرسل إلى الدفع بعقول الناس نحو الإيمان عبر الوعد بالمكافآت الغنية عند عودة يسوع السريعة إلى مملكته المجيدة. لأن لهذه المملكة، وفقاً لرأي اليهود والمسيحيين الأوائل، لم تكن لتكون مجرد مملكة غير مرئية من الثروة الروحية في السماء، والتي من المحتمل أنها كانت ستترك انطباعاً أقل، بل كانت ستكون مملكة مرئية ستدوم ألف سنة على الأرض، كان الناس سيأكلون ويشربون ويعيشون فيها مثلما كانوا من قبل، فقط كان كل شيء سيكون لا حدّ له من الوفرة، السرور والسعادة، وسيتم غزو جميع الأعداء وإخضاعهم. مثل هذه الوعود لا يمكن أن تفشل في لمس الحواس. مثل هذه التمثيلات البرّاقة تبهر الرغبات (وبالتالي العقل) إلى درجة أن الناس يهملون ويحتقرون

بالكامل كل أنواع التقصّي، كل أنواع البحث عن الحقيقة، وحتى المصالح الحالية بالأمل الحي بوفرة مستقبلية من الثروات والسعادة. وبهذه الطريقة وجد الرسل فرصًا لإقناع الكثيرين بالتخلي عن أموالهم وممتلكاتهم للاستخدام المشترك من أجل المكافأة الهائلة التي تنتظرهم في الآخرة. كان هذا بنك ادخار كان فيه كل شخص مهما كانت ثروته ضئيلة يجاهد لشراء أسهم في مملكة السماء المتوقعة بسرعة؛ وتقسيم هذه الممتلكات إلى صدقات مكّن الرسل ليس فقط من تبديل فقرهم بالغنى، بل بإغراء آلاف من الفقراء بتخفيف حاجاتهم الفورية ووعدهم بالكثير من المستقبل.

القسم الثامن والخمسون:

كما تظهر النتيجة فإن الرسل استفادوا بالفعل من هذه الوسائل، وأنهم كانوا ناجحين في تعزيز أغراضهم ، وكما رأينا من أين حصل الرسل على موارد لتنفيذ تلك الأغراض، لا يمكن أن يكون هناك أي شك في أنهم توقعوا، تحدثوا بمودة، واعتمدوا هذه الوسائل في الأيام التي كانوا فيها متحدين ووديين مع بعضهم. هل فكّروا بعد ذلك أن أية صعوبات قد تظهر في الطريق وتعوق تنفيذ خططهم؟ يمكن لنا أن نفترض على نحو معقول أنهم توقعوا ظهور صعوبات، لكن كل من له إلمام بالوضعية الآنية للشعب اليهودي آنذاك سوف يدرك أن مثل هذه الصعوبات لم يكن من الممكن أن تبدو مستعصية على الحل، بل ربما يمكن التغلب عليها من خلال الحزم والشجاعة. بدأوا، عندها، بمجرد إعلان عن قيامة يسوع من بين الأموات؛ شيء والذي بدا للرومان

بساطة سخيفاً، ولم يكن له أي تأثير على حكومتهم من اليهود. لكن بالنسبة إلى اليهود الفريسيين، لا يمكن أن يبدو الأمر غير معقول، وفي جميع الأحوال لم يكن بالإمكان رفضه، لأن العكس لم يكن من الممكن أن يُظهر بشكل واضح بعد أن تُركت الجثة مدة خمسين يومًا، وكذلك لأن الواقعة كان قد تم تأكيدها بأكثر من طريقة مشروعة، أي من خلال أكثر من ثلاثة شهود. لقد عرف الرسل أنهم ليسوا بحاجة لأن يخافوا من أي فحص قضائي منتظم وظرفي يتم فيه أخذ دليل كل شاهد بناء على قَسم، تدوينه، وبعد ذلك مقارنته، لمعرفة ما إذا كان من الممكن اكتشاف تناقض في واحد أو أكثر من الأدلة أو في أي من ظروف التواصل المزعومة. لا، فكل شيء في ذلك الوقت في المحاكم القانونية الرومانية، ناهيك عن محاكم اليهود، كان يتم على نحو صاخب جداً وسطحي للغاية. إن كيفية مواجهة الخداع والخطأ في الحقائق المزعومة عن طريق الفحص العقلاني، لم تكن مفهومة حتى الآن. وتاريخ العهد الجديد وتاريخ الرسل يظهران جيداً بما فيه الكفاية أنه الحال كان هكذا عندما كان أي شخص يقف أمام المجلس. وإذا كان للرسل أن يسقطوا أي شيء من المجيء الثاني المجيد ليسوع إلى مملكته في غمام السماء، فإنه بالمثل كان ينظر إليه بازدراء من قبل الرومان وكثير من اليهود على أنهم حلم باطل وتظاهر لا قيمة له، وسوف يظهر الزمن زيفه. لكن هل يجب أن تصل الأمور إلى الأسوأ، ماذا كان على الرسل أن يخشوه من الحكام اليهود؟ المحكمة الجنائية اليهودية لم تعد موجودة. والحكّام لم يجرؤوا على قتل أي شخص؛ ذلك كان شأن الحاكم الروماني. ربما من المحتمل أن تطبّق عقوبة الجلد على الرسل، أو قد يتم

طردهم من الكنيس ووضعهم تحت الحظر. وهذا هو كل شيء. مع ذلك، فقد دفعوا بعقولهم لأن تقوم بهذه المغامرة الخطرة، وبعد أن أُجبر معلّمهم على الخضوع لأكثر حالات الموت إذلالاً من خلال الصلب، فقد قرروا أن ينظروا إلى أدنى وصمة عار على أنها شرف، كما لقّنوا أولئك الذين تبنوا الإيمان المسيحي روح الاستشهاد هذه.

لكن، كما قيل من قبل، لم يكن بوسع الحكام اليهود معاقبتهم بشدة، لأن سلطتهم كانت قد هدمت تماماً وكان الانضباط العام في حالة ارتباك كبيرة؛ وهذا واضح جداً من حادثتين يرويهما سفر أعمال الرسل. فعندما وقف بولس أمام المجلس الأعلى (أع 23 : 2)[1] وبدأ في المجادلة، أمر الكاهن الكبير حنانيا بضربه على فمه، ربما لأنه تحدث بدون إذن، والذي اعتبر غير ملائم عند المتهم، ولأنه لن يبقى صامتاً بعد أن كان ممنوعاً عن الكلام من قبل. على أية حال، فقد كان لدى بولس من الوقاحة ما يكفي لتوبيخ ولعن رئيس الكهنة. قال: «سَيَضْرِبُكَ اللهُ أَيُّهَا الْحَائِطُ الْمُبَيَّضُ! أَفَأَنْتَ جَالِسٌ تَحْكُمُ عَلَيَّ حَسَبَ النَّامُوسِ وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُخَالِفاً لِلنَّامُوسِ؟». ما الذي يمكن أن

(1) اع 23 -1: فَتَفَرَّسَ بُولُسُ فِي الْمَجْمَعِ وَقَالَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ إِنِّي بِكُلِّ ضَمِيرٍ صَالِحٍ قَدْ عِشْتُ لِلَّهِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. اع 23 -2: فَأَمَرَ حَنَانِيَّا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ أَنْ يَضْرِبُوهُ عَلَى فَمِهِ. اع 23 -3: حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ بُولُسُ: سَيَضْرِبُكَ اللهُ أَيُّهَا الْحَائِطُ الْمُبَيَّضُ! أَفَأَنْتَ جَالِسٌ تَحْكُمُ عَلَيَّ حَسَبَ النَّامُوسِ وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُخَالِفاً لِلنَّامُوسِ؟ اع 23 -4: فَقَالَ الْوَاقِفُونَ: أَتَشْتِمُ رَئِيسَ كَهَنَةِ اللهِ؟ اع 23 -5: فَقَالَ بُولُسُ: لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّهُ رَئِيسُ كَهَنَةٍ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: رَئِيسُ شَعْبِكَ لاَ تَقُلْ فِيهِ سُوءاً.

يكون أكثر جرأة من هذا السلوك تجاه القاضي الأكثر نفوذاً في المجلس الأعلى؟ مع ذلك، وعلى الرغم من أنه تم استدعاؤه للمساءلة عن ذلك، فقد تُرك دون عقاب. واعتذاره، «لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّهُ رَئِيسُ كَهَنَةٍ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: رَئِيسُ شَعْبِكَ لاَ تَقُلْ فِيهِ سُوءاً»، لم يكن لينقذه. العذر كان عذراً أعرجاً، لأن رئيس الكهنة لم يكن ممكناً أن يكون غير معروف بالنسبة له، وإذا لم يكن قد ميّزه كرئيس للكهنة، فلا بدّ أنه كان يعرف أنه قاض، والذي هو، بسبب انتمائه إلى المجلس الأعلى، لا بدّ بالضرورة أن يكون شخصاً مميزاً، وبالتالي، فهو حاكمه، وهنا قاضيه. هل سمح له إذن، باستثناء رئيس الكهنة، أن يلعن أي من الأعضاء الآخرين في المجلس الأعلى؟ فهو ذاته يقول: " لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: رَئِيسُ شَعْبِكَ لاَ تَقُلْ فِيهِ سُوءاً». ألم يكن حينها كل قاض وعضو في ذلك المجلس حاكماً للشعب اليهودي؟ ألا يضرب بولس نفسه بكلماته هو؟ لكن كما قلت من قبل، لم يكن اعتذاره هو ما جعله يحصل على حريته، بل ضعف السنهدرين اليهودي، والتأثير الضئيل لكل القضاة، الذين هم، خلال حقبة الحكم الروماني، لم يتجرأوا على التلفظ ببعض الكلمات المسيئة أيضاً على وجه التحديد. كان بولس مدركاً لهذا الضعف مثلما كان مدركاً لخلافاتهم ومشاجراتهم الخاصة، لأن المجلس كان يتألف من الفريسيين والصدوقيين، ونتيجة لذلك فإن القضاة غالباً ما كانوا يختلفون في الرأي وينقسمون إلى أحزاب متعارضة، وكانت نهاية ذلك أنهم كانوا يطلقون سراح المتهم. وكون بولس كان يعرف عندئذٍ أن الصدوقيين كانوا ينكرون قيامة الموتى، وأن الفريسيين كان يؤيدونها، فقد لعب

على هذا الانقسام. فقد أخذ جانب الفريسيين: «أع 23: 6: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ. عَلَى رَجَاءِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أَنَا أُحَاكَمُ». يترتب على ذلك ضجة وشجار بين القضاة أنفسهم، فيقف الفريسيون إلى جانبه، وينطقون ببراءته، وتنهار دائم اتهام بولس. وهكذا يضحك بولس في عبّه على المجلس اليهودي العاجز، ويشعر بثقة كبيرة في أنه لا يمكن له أن يؤذيه. وحتى عندما كانت تعرض هذه الخلافات الدينية أمام المجلس الروماني، كان الحكم يُعطى دائماً لصالح المتهم، لأن الرومان إمّا أنهم كانوا ينظرون إليها على أنهم مشاجرات لا معنى لها، وهم لا يستطيعون ولن يحكموا على طوائفهم الخاصة والهراطقة؛ أو، كما في العديد من الروايات، يجب على المرء أن يصل إلى نتيجة مفادها، أنّ الرومان كانوا يشجعون هذه الانقسامات والمشاحنات بين اليهود، سعياً بذلك إلى مزيد من الإنقاص لسلطة ونفوذ قضاتهم، من أجل منح أنفسهم فرصة أفضل لوضع الشعب في نهاية المطاف تحت نيرهم، والذي نجحوا، في الواقع، في تحقيقه عاجلاً.

القسم التاسع والخمسون:

الانضباط المدني كان أيضاً في ذلك الوقت في حالة سيئة جداً بين اليهود. فقد كان يمكن للناس أن يفعلوا ما يحلو لهم دون خوف من العقاب. ومع ذلك، فإنني لا أعني ضمناً أن الرسل نجوا من اللوم في تقديم هذه الجماعة ذات الملكية، لأن مثل هذه الحالة كان يجب بالضرورة أن تكون غير مؤاتية لرفاهية الأمة. فهؤلاء المواطنون الذين يعيشون في ظروف سهلة؛ والذين يقومون ببيع جميع سلعهم

وأمتعتهم وأراضيهم ومنازلهم، لوضع أموالهم في بنك عام، يتم سحبهم نتيجة لذلك من الدولة. فهم يصبحون فقراء، ولا يمكنهم بأي حال المساعدة في دعم الأعباء العمومية، أو المساعدة في تعزيز نمو الدولة من خلال التجارة والأعمال. يصبح الأشخاص الخاصّون أسياداً وسادة لكل الثروة التي لوزارة الخزانة والشؤون العامّة مشاركة وحق المطالبة فيها تماماً، ومن ثم يتم تمكين هؤلاء الأشخاص من جذب آلاف المواطنين الآخرين، الذين أصبحوا يعتمدون عليهم من الآن فصاعداً ويضطرون إلى إتباع إشارة ودعوة قادتهم والمحسنين إليهم؛ أيضاً، من خلال حرمانهم من السيطرة والطاعة للقضاة والحكام، يتمّ تصنيفهم في موقع المعارضة للطرف الأخير. ومع ذلك، لن أطلب من النظام اليهودي منع مثل هذه الأذى للصالح العام. لقد شعر الرسل أنهم أحرار في استغلال هذا الإهمال والارتباك، وفي وسط الدولة بدأوا بإقامة دولة أخرى، والتي لم يعد فيها الدين والرأي، الممتلكات والاستيلاء عليها، وبالتالي سلوك أتباعها يعتمد على أوامر القوانين أو الأمور التي تحرمها، بل على إيماءة الرسل ودعوتهم، واللتين استخدمتا من قبلهم ضد أوامر القوانين أو الأمور التي تحرمها، تحت ذريعة أنه يجب على المرء أن يطيع شريعة الله قبل قانون الإنسان. من المؤكد أنه من الأكثر إدهاشاً أنه مع بداية هذه المؤسسة الرسولية، فقد شخصان حياتيهما واحداً تلو الآخر في غرفة الرسل، واللذين حُملا منها موتى، وأنه لم يعقب ذلك أي تحقيق أو فحص قضائيين مثل لماذا وبأية وسائل قابل هذان الشخصان حتفيهما، لأن مثل هذا الحدث

يجب بالضرورة أن يثير الشك. وفي سفر الأعمال(1) 5 : 1 ، يوافق حنانيا وسفيرة على أخذ أسهم في البنك الرسولي. إنهم يقرّران مع المعرفة المسبقة بالرسل أن يحذوا حذو الآخرين ويبيعا ممتلكاتهما. وهذا بحدّ ذاته كان شيئًا مخالفاً لشريعة موسى، والذي به أثار الرسل الاضطراب في مجمل دستور النظام اليهودي، لأنه، بحسب أمر موسى، كان على كل شخص أن يحتفظ في حوزته بميراث آبائه.

يجب أن يكون هذان الشخصان قد لاحظا أنه عندما يُحرم الآخرون من ممتلكاتهم مرة أخرى، فإن وسائل العيش كانت تأتي

---

(1) اع 5 -1: وَرَجُلٌ اسْمُهُ حَنَانِيَّا وَامْرَأَتُهُ سَفِّيرَةُ بَاعَ مُلْكاً اع 5 -2: وَاخْتَلَسَ مِنَ الثَّمَنِ وَامْرَأَتُهُ لَهَا خَبَرُ ذَلِكَ وَأَتَى بِجُزْءٍ وَوَضَعَهُ عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ. اع 5 -3: فَقَالَ بُطْرُسُ: يَا حَنَانِيَّا لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ اع 5 -4: أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ. اع 5 -5: فَلَمَّا سَمِعَ حَنَانِيَّا هَذَا الْكَلاَمَ وَقَعَ وَمَاتَ. وَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذَلِكَ. اع 5 -6: فَنَهَضَ الأَحْدَاثُ وَلَفُّوهُ وَحَمَلُوهُ خَارِجاً وَدَفَنُوهُ. اع 5 -7: ثُمَّ حَدَثَ بَعْدَ مُدَّةِ نَحْوِ ثَلاَثِ سَاعَاتٍ أَنَّ امْرَأَتَهُ دَخَلَتْ وَلَيْسَ لَهَا خَبَرُ مَا جَرَى. اع 5 -8: فَأَجَابَهَا بُطْرُسُ: قُولِي لِي أَبِهَذَا الْمِقْدَارِ بِعْتُمَا الْحَقْلَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ بِهَذَا الْمِقْدَارِ. اع 5 -9: فَقَالَ لَهَا بُطْرُسُ: مَا بَالُكُمَا اتَّفَقْتُمَا عَلَى تَجْرِبَةِ رُوحِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا أَرْجُلُ الَّذِينَ دَفَنُوا رَجُلَكِ عَلَى الْبَابِ وَسَيَحْمِلُونَكِ خَارِجاً. اع 5 -10: فَوَقَعَتْ فِي الْحَالِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَمَاتَتْ. فَدَخَلَ الشَّبَابُ وَوَجَدُوهَا مَيْتَةً فَحَمَلُوهَا خَارِجاً وَدَفَنُوهَا بِجَانِبِ رَجُلِهَا. اع 5 -11: فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذَلِكَ.

بنوع من الشح. ولهذا السبب، فإنهما يقنعان نفسيهما بعدم التخلي عن كامل ميراثهما الأبوي، بل أن يحتفظا بجزء منه لحالات الضرورة. لم يكن ثمة حاجة للروح القدس هنا كي يخبر بطرس كم كانا قد قبضا ثمناً لأراضيهما، لأنه كان يعرف قيمتها وسعرها. إنه يسأل، كم هي النقود؟ ويحسب المبلغ الذي أحضره حنانيا، ولأنه يرى أن جزءاً منه مفقود، فهو غير راض، لأنه يجب أن يكون لديه المبلغ كله. يستدعي بطرس حنانيا للمحاسبة، وينتحل سمة توحي بالأهمية العظيمة، كما لو أنه أن يكذب عليه إنما يعني هو ذاته أن يكذب على الروح القدس. باختصار، يسقط الرجل ميتاً، والله يعرف كيف، على الأرض. يتم استدعاء الناس الذين يحملونه، ويتلقون أوامر بإخراجه ودفنه على الفور، وفي غضون ثلاث ساعات يتم إنجاز العمل كله. في هذه الأثناء، تظهر الزوجة سفيرة أمام الرسل، لتُسأل بالمثل عما إذا كانت الأراضي لم تعط ثمناً أعلى، وعندما تنكر أنها تلقت مبلغاً أكبر، فإن المصير نفسه كان ينتظرها. إنها تسقط ميتة، فتُخرج وتُدفن مع زوجها. لن أستفسر عما صار بالمال المدفوع فوق أقدام الرسل، لأنه على الرغم من أنه لم يكن ثروة حنانيا وسفيرة كلّها، فمن الواضح جداً أن الرسل لم يعيدوه إلى الورثة، بل اعتبروه جائزة جيدة واحتفظوا به. كيف يمكن أنه في بلدة أو دولة تمتلك أي نوع من القانون أو النظام أن يموت شخصان معروفان، رجل وزوجته، في حجرة في وضح النهار، ويُخرجان إلى الطريق، ويدفنان في ظرف ساعتين أو ثلاث ساعات دون أدنى استفسار حول الطريقة التي فقدا بها حياتيهما؟ هل يمكن أن يحدث هذا

دون أن يكون هناك مآرب، دون تواطؤ، دون فحص مؤلم من جانب أولئك الحاضرين؟ في مثل هذه الحالة للأمور التي تفتقد إلى النظام، ما الذي قد لا يتجرأ الرسل على القيام به وفعله؟

القسم الستون :

يتضح مما تقدم أن الرسل لم يكن لديهم أي سبب للخوف من أن أية صعوبات كبيرة سوف تظهر في طريقهم. وسنرى كيف ذهبوا بالفعل إلى العمل. وبعد أن تم ترتيبهم مسبقاً بالإجماع من قبل أولئك الأكثر نفوذاً بينهم، قاموا بتجميع ما يقرب من مائة وعشرين من التلاميذ الباقين (أع 2 : 1)[1]، والذين تخيّل بعضهم بصدق ربما أن يسوع قد قام بالفعل من بين الأموات، وشوهد من قبل آخرين. وفي مكان يهوذا تمّ ترسيم رسول آخر، وفي النهاية ، في اليوم الخمسين بعد عيد الفصح، حدثت البداية الأولى لنيتهم في معجزة فيها أربعة معجزات أخرى ملحوظة. 1. صوت كصوت ريح مندفعة عاتية، والتي ملأت كل البيت. 2. ظهور ألسنة منقسمة كألسن النار على الرسل. 3. وأنها «(الريح ، على ما أظن) اع 2 -3: اسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.» 4. وأنهم بدأوا يتحدثون بألسنة أخرى؛ حتى أن اع 2 -9: فَرْتِيُّونَ وَمَادِيُّونَ وَعِيلاَمِيُّونَ وَالسَّاكِنُونَ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ وَالْيَهُودِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَبُنْتُسَ وَأَسِيَّا اع 2 -10: وَفَرِيجِيَّةَ وَبَمْفِيلِيَّةَ وَمِصْرَ وَنَوَاحِيَ لِيبِيَّةَ

---

(1) اع 2 -1: ولَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعاً بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

وَالرُّومَانِيُّونَ اع 2 -11: [يهود غرباء] كِرِيتِيُّونَ وَعَرَبٌ، كل هؤلاء سمعوا الرسل يتحدثون ويمدحون الله بلغتهم الخاصّة. والذي منه «اع 2 -12: تَحَيَّرَ الْجَمِيعُ وَارْتَابُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟. اع 2 -13: وَكَانَ آخَرُونَ يَسْتَهْزِئُونَ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ قَدِ امْتَلأُوا سُلاَفَةً. وهكذا يستمر الأمر حتى يقف بطرس ويقدّم دليلاً من يوئيل، مظهراً أن «اع 2 -17: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ اع 2 -19: وَأُعْطِي عَجَائِبَ»، وأدلة أخرى من المزامير تظهر أن يسوع لا بدّ أنه قام، لأن داود قال: «مز 16 -10: لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَاداً». وبعد هذا، «اع 2 -41: فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ وَاعْتَمَدُوا وَانْضَمَّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ». الآن إذا كان هدف الله هو جعل القيامة واضحة وقابلة لأن تصدّق من قبل الإنسان، فلماذا لم يُظهر يسوع بعد قيامته لأحد من الرجال غير الرسل، وبعد ذلك، عندما لم يعد موجوداً، أعلن عن القيامة بمعجزة؟ ألم يعتقد أن القيامة كانت قد تمت بشكل طبيعي تماماً ومع استحسان شامل دون أي معجزة، فلماذا لم يسمح الله، بعد الصلب والدفن، بأن يُشاهد يسوع ويلمس وهو على قيد الحياة في الهيكل أمام السنهدرين، وأمام أعين جميع الناس؟

إن رفض طريقة سهلة وطبيعية وقوية من أجل طريقة غير طبيعية، غير مفهومة، وملتوية، لا يتفق مع حكمة الله. فالمعجزات المبينة بمثل هذه الطريقة مشبوهة للغاية. والناس الذين كانوا سيوطدون من خلال المعجزات أسس شيء والذي كان بإمكانهم، إذا كان واضحاً وصحيحاً، بل وعليهم إثباته بشكل واضح ومرئي للعيان، أن يسعوا

دائما للعمل على سذاجة الناس الجاهلين أو ذوي العقلية الضعيفة، الذين هم الأكثر سهولة في الإمساك بأمور هي الأكثر عدم فهم من قبلهم. وسوف ننظر الآن عن كثب أكثر في هذه المعجزة العظيمة. لا أدري ما إذا كان لوقا، الذي يحكي عنها، حاضراً هو ذاته في هذه المناسبة، لكن سواء كان أم لم يكن، فإنه من دواعي الأسف أنه لم يشرح بطريقة أكثر وضوحاً كيف حدثت مثل هذه الأشياء المستحيلة. لا نحتاج إلى تضييع الوقت على «اع 2 -2: صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ»، لأن هذا النوع من الضجيج يتم إحداثه بسهولة كبيرة؛ لكن من يستطيع فهم ما يعنيه لوقا بالقول بأن الألسن التي شوهدت بين الرسل كانت منقسمة مثل ألسن النار؟ كلمة لسان لا يمكن لها هنا، كما هي الحال في أي موضع آخر، أن تعني لغة، لأننا لا نستطيع رؤية اللغة؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن الأمر لا يتوافق مع وصف هذه الألسنة المنقسمة كلهيب النار المتشعب والذي يأخذ شكل ألسنة. فهل يمكن أن تكون ألسنة الرسل أنفسهم؟ وربما كانوا قد أخرجوا ألسنتهم من حناجرهم بمثل هذه القوة والسرعة لتشبه لسان الثعبان المنقسم، وخلال الإخراج ربما كان لهم أيضاً مظهراً نارياً؛ أو ربما كانت ألسنة غريبة، تمت رؤية شكلها ولونها على الرسل؟ وفي أي مكان كانت تُرى؟ - على رؤوسهم، كما هي ممثلة عادة في الصور، أو خارجة مثل ألسنة اللهيب من أفواههم، كما هو أكثر ترجيحاً أن يكون الأمر كذلك؟ ومن وما الذي وضع الألسنة على كل واحد من الرسل؟ هل كانت الريح؟ لأنه ما من شيء آخر يتم ذكره على أنه قام بذلك. يبدو

الوصف برمته، خلافاً لوصف التاريخ الحقيقي، وكأنه وصف أكثر لرؤية نبوية القصد منها تمثيل تلقين اللغات الأجنبية على يد الروح القدس. فالريح العظيمة تمثل الروح القدس وهو يهب في الرسل ويوقد ناراً مشتعلة تخرج في ألسنة منشقة من أفواههم، وهو ما يدل على عطية اللغات الأجنبية المختلفة. إنها صورة جيدة للرؤية الخيالية للكاتب النبوي، لكننا لا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نجعلها تتناغم مع تاريخ حقيقي. ولماذا استهزأ بعض الحاضرين بالرسل، وافترضوا أنهم سكارى من النبيذ إذا كانت هذه الألسنة العجيبة مرئية بالفعل للمشاهدين؟ الشيء يتناقض مع نفسه. دعوا سخرية الناس تذهب إلى حيثما تشاء، فمثل هذا الحدث الخارق للطبيعة لم يكن ليخفق في إحداث فزع، استغراب، ورهاب عموميين. ومن المؤكد أن الأمر لم يكن ليثير أية سخرية. فسرعان ما تتوقف السخرية إذا رأى المرء بوضوح شيئاً عظيماً لا يمكن أن يُعتقد خطأ أنه وهم أو حيلة. يبدو أن هذه المعجزة الأولى إذاً كانت قد أعدت لهذا الغرض من قبل لوقا مع قليل من الخيال وأقل منه التفكير في العواقب؛ وهذه السخرية بالذات، التي تأتي من المستمعين والمتفرجين، تبيّن لنا بشكل كافٍ أنه مهما كانوا يرون ويسمعون، فلا بدّ أنه كان له كل مظهر من مظاهر الشعوذة والخداع. وإلا فلماذا استهزأوا وقالوا إن الرسل كانوا متخمين بالنبيذ الجديد؟ لو أن الرسل تكلموا واحداً تلو الآخر بطريقة عقلانية، بشكل واضح، وبشكل لائق، مثل الرجال الرصينين، المحنكين، والمتمرسين بشكل جيد، فإن هذه السخرية لم تكن لتحدث. لذلك، يجب علينا أن

نستنتج أنه بالنسبة لمظهرهم الخارجي فقد كانوا يتصرفون مثل الرجال المخمورين. وهذا يعني، أنهم كانوا يتحدثون ويصرخون مرتبكين الواحد مع الآخر، مثلما يمكن للسكارى أن يفعلوا، وفي الوقت نفسه، كانوا يقومون بحركات شاذّة مثل تلك التي كان يقوم بها السكارى. فمن السهل أن نرى أن الرسل ركّزوا على الحماسة النبوية التي يزعم الناس فيها الهذيان وأن يكونوا مجانين، لأنه في «هيث نابي التنبؤ»، يتم التعبير عن أن تتنبأ وأن تكون مجنوناً بالكلمة ذاتها. أكثر من ذلك، فنحن نرى أنه في حماستهم المتظاهر بها، صاحوا جميعًا في الوقت نفسه بصوت عالٍ وبنوع من الإرباك ببعض المقاطع والكلمات الغريبة، بحيث يمكن لأي شخص ساذج وسط الجلبة وفي بابل الأصوات أن يتوهم بسهولة أنه ميّز لغته هو أو أي لغة أخرى.

هذا يفسر تماماً السخرية التي يلقي عليها بولس أيضاً الكثير من الضوء في رسالته إلى أهل كورنثوس (1 كور. الرابع عشر)(1) عندما لا

(1) 1كور 14 -1: اِتْبَعُوا الْمَحَبَّةَ وَلَكِنْ جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ وَبِالأَوْلَى أَنْ تَتَنَبَّأُوا. 1كور 14 -2: لأَنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ لاَ يُكَلِّمُ النَّاسَ بَلِ اللهَ لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَسْمَعُ. وَلَكِنَّهُ بِالرُّوحِ يَتَكَلَّمُ بِأَسْرَارٍ. 1كور 14 -3: وَأَمَّا مَنْ يَتَنَبَّأُ فَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِبُنْيَانٍ وَوَعْظٍ وَتَسْلِيَةٍ. 1كور 14 -4: مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ يَبْنِي نَفْسَهُ وَأَمَّا مَنْ يَتَنَبَّأُ فَيَبْنِي الْكَنِيسَةَ. 1كور 14 -5: إِنِّي أُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَكُمْ تَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ وَلَكِنْ بِالأَوْلَى أَنْ تَتَنَبَّأُوا. لأَنَّ مَنْ يَتَنَبَّأُ أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةٍ إِلاَّ إِذَا تَرْجَمَ حَتَّى تَنَالَ الْكَنِيسَةُ بُنْيَاناً. 1كور 14 -6: فَالآنَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ مُتَكَلِّماً بِأَلْسِنَةٍ فَمَاذَا أَنْفَعُكُمْ إِنْ لَمْ أُكَلِّمْكُمْ إِمَّا بِإِعْلاَنٍ أَوْ بِعِلْمٍ أَوْ بِنُبُوَّةٍ أَوْ بِتَعْلِيمٍ؟ 1كور 14 -7: اَلأَشْيَاءُ الْعَادِمَةُ ==

النُّفُوسِ الَّتِي تُعْطِي صَوْتاً: مِزْمَارٌ أَوْ قِيثَارَةٌ مَعَ ذَلِكَ إِنْ لَمْ تُعْطِ فَرْقاً لِلنَّغَمَاتِ فَكَيْفَ يُعْرَفُ مَا زُمِّرَ أَوْ مَا عُزِفَ بِهِ؟ 1كور 14 -8: فَإِنَّهُ إِنْ أَعْطَى الْبُوقُ أَيْضاً صَوْتاً غَيْرَ وَاضِحٍ فَمَنْ يَتَهَيَّأُ لِلْقِتَالِ؟ 1كور 14 -9: هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تُعْطُوا بِاللِّسَانِ كَلاَماً يُفْهَمُ فَكَيْفَ يُعْرَفُ مَا تُكُلِّمَ بِهِ؟ فَإِنَّكُمْ تَكُونُونَ تَتَكَلَّمُونَ فِي الْهَوَاءِ! 1كور 14 -10: رُبَّمَا تَكُونُ أَنْوَاعُ لُغَاتٍ هَذَا عَدَدُهَا فِي الْعَالَمِ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا بِلاَ مَعْنىً. 1كور 14 -11: فَإِنْ كُنْتُ لاَ أَعْرِفُ قُوَّةَ اللُّغَةِ أَكُونُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ أَعْجَمِيّاً وَالْمُتَكَلِّمُ أَعْجَمِيّاً عِنْدِي. 1كور 14 -12: هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً إِذْ إِنَّكُمْ غَيُورُونَ لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ اطْلُبُوا لأَجْلِ بُنْيَانِ الْكَنِيسَةِ أَنْ تَزْدَادُوا. 1كور 14 -13: لِذَلِكَ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ فَلْيُصَلِّ لِكَيْ يُتَرْجِمَ. 1كور 14 -14: لأَنَّهُ إِنْ كُنْتُ أُصَلِّي بِلِسَانٍ فَرُوحِي تُصَلِّي وَأَمَّا ذِهْنِي فَهُوَ بِلاَ ثَمَرٍ. 1كور 14 -15: فَمَا هُوَ إِذاً؟ أُصَلِّي بِالرُّوحِ وَأُصَلِّي بِالذِّهْنِ أَيْضاً. أُرَتِّلُ بِالرُّوحِ وَأُرَتِّلُ بِالذِّهْنِ أَيْضاً. 1كور 14 -16: وَإِلاَّ فَإِنْ بَارَكْتَ بِالرُّوحِ فَالَّذِي يُشْغِلُ مَكَانَ الْعَامِّيِّ كَيْفَ يَقُولُ آمِينَ عِنْدَ شُكْرِكَ؟ لأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُ مَاذَا تَقُولُ! 1كور 14 -17: فَإِنَّكَ أَنْتَ تَشْكُرُ حَسَناً! وَلَكِنَّ الآخَرَ لاَ يُبْنَى. 1كور 14 -18: أَشْكُرُ إِلَهِي أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةٍ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِكُمْ. 1كور 14 -19: وَلَكِنْ فِي كَنِيسَةٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ خَمْسَ كَلِمَاتٍ بِذِهْنِي لِكَيْ أُعَلِّمَ آخَرِينَ أَيْضاً أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلاَفِ كَلِمَةٍ بِلِسَانٍ. 1كور 14 -20: أَيُّهَا الإِخْوَةُ لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ بَلْ كُونُوا أَوْلاَداً فِي الشَّرِّ وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ. 1كور 14 -21: مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ: إِنِّي بِذَوِي أَلْسِنَةٍ أُخْرَى وَبِشِفَاهٍ أُخْرَى سَأُكَلِّمُ هَذَا الشَّعْبَ وَلاَ هَكَذَا يَسْمَعُونَ لِي يَقُولُ الرَّبُّ. 1كور 14 -22: إِذاً الأَلْسِنَةُ آيَةٌ لاَ لِلْمُؤْمِنِينَ بَلْ لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ. أَمَّا النُّبُوَّةُ فَلَيْسَتْ لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ لِلْمُؤْمِنِينَ. 1كور 14 -23: فَإِنِ اجْتَمَعَتِ الْكَنِيسَةُ كُلُّهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ فَدَخَلَ عَامِّيُّونَ أَوْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ أَفَلاَ يَقُولُونَ إِنَّكُمْ تَهْذُونَ؟ 1كور 14 -24: وَلَكِنْ إِنْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَنَبَّأُونَ فَدَخَلَ أَحَدٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ أَوْ عَامِّيٌّ فَإِنَّهُ يُوَبَّخُ مِنَ الْجَمِيعِ. يُحْكَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَمِيعِ. 1كور 14 -25: وَهَكَذَا تَصِيرُ خَفَايَا قَلْبِهِ ظَاهِرَةً. وَهَكَذَا يَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ وَيَسْجُدُ لِلَّهِ مُنَادِياً أَنَّ اللهَ بِالْحَقِيقَةِ فِيكُمْ.
==

يمتلك الشجاعة بالكامل لمنع التحدث بالألسنة، لأن مثل هذا الأمر كان سيعادل اتهام الرسل - مع كل مواهبهم الكورنثية العجيبة - بالشعوذة والتحايل، لكن، مع ذلك، يقول لهم كي يفهموا إنّه يفضّل الامتناع عن التكلم ب«ألسنة غير معروفة لا يفهمها أي إنسان، والتي، ما لم يتم تفسيرها، لا تبني للكنيسة»[1]. لأنه يبدو أن بعض أعضاء الكنيسة قد سعى إلى إظهار نفسه من خلال منحة الألسن الخارقة هذه، وفي نوبة من الإلهام أعطوا منفذاً لأصوات لا معنى لها وغير عادية ، والتي قد يتخيلها الجاهلون أنها تحدّث بلغات أجنبية. ومن الممكن أيضًا أن يكون خيالهم قد أضحى مهتاجاً إلى درجة أنه في نوع من النشوة كانوا يخرجون هذه الأصوات الغريبة، ومن أجل مثل تلك النشوة هنالك أمثلة كثيرة.

1كور 14 -26: فَمَا هُوَ إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ؟ مَتَى اجْتَمَعْتُمْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَهُ مَزْمُورٌ لَهُ تَعْلِيمٌ لَهُ لِسَانٌ لَهُ إِعْلاَنٌ لَهُ تَرْجَمَةٌ: فَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لِلْبُنْيَانِ. 1كور 14 - 27: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ فَاثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَوْ عَلَى الأَكْثَرِ ثَلاَثَةً ثَلاَثَةً وَبِتَرْتِيبٍ وَلْيُتَرْجِمْ وَاحِدٌ. 1كور 14 -28: وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَرْجِمٌ فَلْيَصْمُتْ فِي الْكَنِيسَةِ وَلْيُكَلِّمْ نَفْسَهُ وَاللهَ. 1كور 14 -29: أَمَّا الأَنْبِيَاءُ فَلْيَتَكَلَّمِ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ وَلْيَحْكُمِ الآخَرُونَ. 1كور 14 -30: وَلَكِنْ إِنْ أُعْلِنَ لآخَرَ جَالِسٍ فَلْيَسْكُتِ الأَوَّلُ. 1كور 14 -31: لأَنَّكُمْ تَقْدِرُونَ جَمِيعُكُمْ أَنْ تَتَنَبَّأُوا وَاحِداً وَاحِداً لِيَتَعَلَّمَ الْجَمِيعُ وَيَتَعَزَّى الْجَمِيعُ. 1كور 14 -32: وَأَرْوَاحُ الأَنْبِيَاءِ خَاضِعَةٌ لِلأَنْبِيَاءِ. 1كور 14 - 33: لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلَهُ سَلاَمٍ كَمَا فِي جَمِيعِ كَنَائِسِ الْقِدِّيسِينَ.

(1) التزمنا هنا بالترجمة الحرفية لنص رايماروس.
ثمة نص قريب: 1كور 14 -5: بِأَلْسِنَةٍ إِلاَّ إِذَا تَرْجَمَ حَتَّى تَنَالَ الْكَنِيسَةُ بُنْيَاناً».

في جميع الأحوال، قد نكون على يقين من أنها (الأصوات) لم تنطلق من الله، أو من روح الله، الذي من المؤكد أنه لن يضيع معرفته بالألسنة حيث لم تكن لتبني، وحيث رأى بولس سبباً لإيجاد خطأ فيها. مع ذلك، دعونا نتخيل ما (استناداً إلى الإلهام المتظاهر به والسخرية التي أحدثها) لا أستطيع أن أصدقه، أي أن الرسل قاموا بطريقة واضحة ومُنظّمة، الواحد تلو الآخر، بنطق جمل متعددة بألسنة أجنبية. أليس من الممكن تماماً أن يكون بعضهم، في اتصالهم مع العديد من الناس من مختلف الأمم، قد أصبحوا على دراية بهذه الجمل، أو أنهم بذلوا جهداً في الحصول على هذه الجمل أو الكلمات لمساعدتهم في تنفيذ نواياهم؟ أين المعجزة العظيمة في هذا؟ وكم هي سيئة هذه الحجة: -

«أشخاص بعينهم تكلّموا بألسنة أجنبية ؛

لذلك قام يسوع من الموت».

«هذا كل شيء جيد جداً»، وسوف يردّون علينا، «ألسنة كثيرة جداً والمعرفة بها ضئيلة جداً! هؤلاء الفَرْتِيُّونَ وَالمَادِيُّونَ وَالعِيلاَمِيُّونَ والكريتيون والعرب وَالسَّاكِنُونَ كَبَّدُوكِيَّةَ والآسيويون، وهكذا، كلّهم فهموا الرسل، وسمعوهم يسبحون الله كل بلغته، ونتيجة لذلك تم تعميد ثلاثة آلاف نفس ليضافوا إلى الكنيسة المسيحية. وبالتأكيد لم يكن ثمة خداع في ذلك! إن انطباعاً قوياً على الجميع تركه هذا التحول الهائل إلى الدين، باستثناء المستهزئين الذين لم يفهموه». لكن لوقا ينسى هنا أنه قد مثّل الرسل على أنهم يجلسون في غرفة. وهو يقول في

بداية روايته: «اع 2 -2: فـانْطَلَقَ مِـنَ السَّـماءِ بَغتَـةً دَوِيٌّ كَـريحٍ عاصِفَة، فمَلأَ جَوانِبَ البَيتِ الَّذي كانوا فيه». كانت عادة الرسل أن يتجمعوا في الغرفة العليا[1] من المنزل εν τω υπερωω الواقعة مباشرة تحت السقف المسطح. يا لطيف![2] كيف استطاع ما يزيد عن ثلاثة آلاف شخص أن يجدوا لهم مكاناً هناك؟ لأن الثلاثة آلاف أولئك لا يشكّلون كلّ الأشخاص الحاضرين. فالثلاثة آلاف «اع 2 -41: فاعْتَمدَ الَّذينَ قَبِلوا كلامَه؛ وانْضَمَّ [إلى الكَنيسةِ]، في ذلكَ اليَوم، نَحوُ ثلاثةِ آلافِ نَفْس»، لذلك يجب أن يكون هناك آخرون لم يقبلوا كلمة بطرس، فإلى جانب هؤلاء المجتمعين كان تعداد جماعة الأخوة مائة وعشرين (أع 1: 15)[3]، لذلك يمكننا أن نحسب أنه كان هناك ما يقرب

---

(1) اع 1 -12: عِندئذٍ رَجَعوا الى أُورشَليمَ منَ الجَبَلِ المَدْعُوِّ جَبَلَ الزَّيتون، الذي هوَ بقُربِ أُورشَليمَ، على مَسافةِ سَفَرِ سَبْت. اع 1 -13: ولَمّا دخلوا [المَدينةَ] صَعِدوا الى العُلِّيَّةِ، التي كانوا مُقيمينَ فيها: بطرسُ ويوحنّا ويعقوبُ وأَنْدَراوسُ، فيلُبُّسُ وتوما، بارْتُلْماوسُ ومتّى، يَعقوبُ بْنُ حَلْفى وسِمعانُ الغَيورُ، ويَهوذا أَخو يَعقوب. اع 1 -14: هؤُلاءِ كلُّهم كانوا مُواظبينَ على الصَّلاةِ بِنَفْسٍ واحِدةٍ، مَعَ بعضِ النِّساءِ، ومريمَ أُمِّ يَسوعَ، ومَعَ إِخوَتِه.

(2) أنا محتار من صيغة التعجب هنا. الترجمة الحرفية للكلمة التي يستخدمها رايماروس وهي !Mein، هي "خاصتي" أو "لي"! إنها صيغة تعجّب يمكن أن يستخدمها طفل ألماني عند سماعه لعجائب حكاية خيالية، وهو أمر غريب بالنسبة لرايماروس في أسلوبه الأصيل في الكتابة. — مترجم إنكليزي.

(3) اع 1 -15: وفي تِلكَ الأَيّامِ قامَ بُطرسُ في وَسْطِ الإخوةِ -وكانتِ الجماعةُ نَحوَ مِئةٍ وعِشْرينَ نَفْساً، -

من أربعة آلاف شخص، وهذا العدد يتطلب كنيسة ضخمة. كيف يمكن للوقا أن يدعي حشرهم جميعاً في حجرة الرسل الواحدة هذه؟ أود أن أساعده طواعية في الخروج من المعضلة باقتراح أنه ربما كان العدد الأكبر من الناس خارجاً في الشارع أو في الفناء. لكن اقتراحي كان سيزيل كل سبب للتحوّل الديني. كيف يمكن للناس الذين وقفوا في الشارع أو في الفناء، أن ينظروا إلى الغرفة، فيروا، يسمعوا، ويعرفوا ما هي الأشياء الإعجازية التي كانت تحدث هناك، وما هي اللغات التي كان يتم التحدث بها، أو ماذا كان معنى الخطب؟ ومع ذلك، فإن لوقا يقدمهم على أنهم يقولون: «اع 2 -7: أَلَيسَ هَؤُلاءِ المُتكلّمونَ جَميعُهم جَليليّين؟ اع 2 -8: فكَيفَ نَسمعُ كل مِنّا لغتَهُ التي وُلِدَ فيها؟». لا، لا أستطيع مساعدة لوقا. لقد نسي ما كتبه، ولجعل التحويل الديني يبدو مهماً قدر الإمكان، يذكر أن عدد المحولين دينياً هو أكثر من ثلاثة آلاف، ولم يحدث له مطلقًا أن أجلس رسله في حجرة. من غير المهم بالنسبة له كيف يمكن لهؤلاء الثلاثة آلاف أو الأربعة آلاف شخص أن يجدوا مكاناً للوقوف! وكيف سيقنعنا بأن ما بين ثلاثة وأربعة آلاف شخص يمكن أن يتجمعوا فوراً على رياح قوية؟ لأنه حتى لو كانت الريح قد سُمعت «اع 2 -2: [بِاصَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ» عبر المدينة بأكملها، لم يكن هناك أدنى سبب يفسّر لماذا كان على سكانها أن يتفاجأوا بشدة، أو لماذا كان عليهم أن يهربوا إلى منزل واحد بعينه في البلدة. من ناحية أخرى، إذا لم تُسمع الرياح العاتية هذه إلا في هذا البيت بعينه، فكيف يمكن لآلاف الأشخاص، بعضهم في

أقصى أطراف المدينة، الفَرْتِّيونَ وَالمَاديُّونَ وَالعِيلاَمِيُّونَ والكريتيون والعرب وَالسَّاكِنُونَ كَبَّدُوكِيَّةَ والآسيويون والفريجية، وما إلى ذلك، أن يعرفوا أنها أحدثت تلك الأصوات؟ هذا يفوق كل استيعاب. إلى جانب ذلك، من المفترض أن تكون الجماعة المتجمعة مكونة من رجال متدينين، يهود ورفاق لليهود. فكيف يحدث أنه في اليوم الأول من عيد العنصرة بدلاً من أن يسرعوا، كرجال متدينين، إلى الهيكل أو الكنيس، يسرعون، بدافع من الفضول المطلق، من أبعد أحياء المدينة إلى منزل سُمع فيه أو فوقه صوت رياح عظيمة؟ لا يوجد انسجام في هذا.

تتابع الأحداث بمثل تلك السرعة الهائلة حدثٌ بعد آخر في طول تاريخ لوقا وعرضه، حيث يبدو كما لو أن كل شيء تأثر بالرياح. «اع 2 -6: فلمَّا كانَ ذلِكَ الصَّوتُ تَجَمْهَرَ الجَمعُ». من اللافت أيضًا أن هذا العدد الكبير من الناس في القدس ليسوا يهودًا أصليين؛ بل على العكس هم يهود غرباء من كل أمة تحت السماء، خمس عشرة منها مذكورة؛ كما لو كان هؤلاء قد تم استدعاؤهم سابقًا وبشكل صريح ليصبحوا شهوداً شفويين على «تعددية الألسن polyglotta» الجديدة، تمامًا كما لو أن اليهود الأصليين لم تتم دعوتهم. لكن، في هذه الحالة، جاءت الأخبار إلى آذان الشعب تصادفياً، وكما أنه من بين حوالي ألف يهودي جاءوا من فلسطين إلى عيد العنصرة في القدس، لم يكن يُطلق على أي منهم اسم اليهود الغريبين، لم يكن بالمستطاع بأفضل حال أن

يكون أكثر من ثلاثة أو أربعة غرباء بين عدد من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف شخص يتجمعون بشكل عرضي. كيف يكون إذن أنه مقابل يهودي أصلي واحد هناك أربعة عشر يهوديًا غريبًا، في التعداد الذي أجبر لوقا أن يستنفذ كل جغرافيته؟ هذا أمر يصعب تصديقه. إنه يلزم الكاتب الذي يروي حدثاً عجائبياً قبل كل شيء أن يشرح بوضوح إمكانية وجود شيء يبدو في حد ذاته أمرًا لا يصدق، لكن هنا لا يرى المرء فقط أن الأحداث العديدة التي تم تدوينها لم يكن من الممكن لها أن تحدث، بل يرى المرء أيضًا بوضوح وبشكل مميز من خلال كلّ الظروف المجتمعة أن القصة هي دحض للذات. وهكذا، فالأمر ينطبق على كل هذه المعجزات. لا شيء أسهل على الكاتب من تصورها. لم يعد يشكّل عبئاً عليه أن يضع ثلاثة آلاف من ثلاثمائة، فقلمه يحكم ويأمر الطبيعة كلّها، أما هو فيجعل الريح تصدر صوتاً حيثما وحينما يسجّل، يخلط اللغات، وفي غضون لحظة يجمّع عدداً كبيراً من كل أمة تحت الشمس. لكن هنا وهناك سوف يطلّ ارتباك خياله، مشابكاً ذاته بنوع من العجز في المتناقضات. مثل هذه الحكايات يمكن إلا أن يُعتقد بها بعينين معصوبتين من خلال بساطة متظاهرة بالورع. بالنسبة إلى الذهن السليم فإنها استهزاء وموضع سخرية[1]. وعلى الرغم من أن لوقا كان يتخيل لما بعد ثلاثين سنة، عندما يكون العمر المخصص

(1) أو، العقل السليم يضحك عليهم باحتقار. مترجم إنكليزي!

للإنسان قد مضى حقّاً، بحيث أنه يستطيع مع الإفلات من العقاب أن يكتب معجزات ويعممها دون تردد في العالم، كان هنالك آنئذٍ، كما هو الحال الآن، بعض الأشخاص العقلاء الذين أمكن لهم أن يروا الحيلة والباطل في جميع زواياهم وأركانهم، والذين يعرفون بسهولة كيفية تمييزهما عن الحقيقة. سوف أعبر عن بقية المعجزات لأنها لا تستحق الملاحظة؛ ومن المحتمل أن يكفي لقرائي، كما هو لنفسي، أن شيئاً كهذا سهل من خلال تقصينا في هذه المعجزة الأولى. ونحن نعرف الآن كم من الحقيقة التي تحتوي عليها. مما لا شك فيه أنه يمكن طرح الكثير من الثلاثة آلاف الذين تكيفوا بسرعة مع المعمودية والاعتقاد بيسوع؛ والحافز الذي كان يتأرجح عند الباقين لم يكن المعجزة، بل كان الاحتمال الجميل المتمثل في التمتع بالثروة المشتركة التي كانت موزعة بشكل حرّ على الجميع بحيث يأكلون ويشربون معاً، ولا يريدون شيئاً، كما نرى من خلال ما يلي: اع 2 -42: وكانوا مُواظبينَ على تَعْليمِ الرُّسُلِ، والشَّركةِ، وكَسْرِ الخُبْزِ، والصَّلوات... اع 4 -32: وكانَ لِجُمْهور المُؤْمنينَ قَلْبٌ واحِدٌ ونَفْسٌ واحِدة؛ ولم يكُنْ أحدٌ يقولُ عن شَيءٍ يملِكُهُ، إنَّهُ لَه؛ بَلْ كانَ كلُّ شَيءٍ مُشْتَرَكًا في ما بَيْنَهم. اع 4 -34: ولَمْ يَكُنْ فيهم مُحْتاجٌ، لأنَّ جميعَ الذينَ كانوا يَمْلِكونَ حُقولاً أَوْ بيوتًا، كانوا يَبيعونَها، ويَأْتونَ بأَثْمانِ المَبيعاتِ، اع 4 -35: ويُلْقونَها عِنْدَ أَقْدامِ الرُّسُلِ؛ وكانوا يُوزِّعونَ [مِنْها] لِكُلِّ واحدٍ عَلى حَسَبِ احْتِياجِه.

هاهو ذا السبب الحقيقي للإرباك ! عقل يعمل وقد عمل في جميع الأوقات بشكل طبيعي، بحيث لا نحتاج إلى معجزة لجعل كل شيء مفهوماً وواضحاً. هذه هي الريح العاتية القوية التي دفعت بسرعة كل الناس سوية. هذه هي اللغة الأصلية الحقيقية التي تقوم بالمعجزات.

الجزء الثالث من أعمال
هيرمان صمويل رايماروس

مرور الإسرائيليين عبر البحر الأحمر[1]:

النص مأخوذ عن ذلك الذي نشره غوتهولد إفرايم ليسنغ عام 1777. وهذا النص على ما يبدو ليس النسخة النهائية والأكثر اكتمالاً التي ألفها رايماروس، لكنه النسخة التي اشتهرت. وأولئك الذين يرغبون في قراءة المزيد من أعمال هذا الرجل الرائع يمكنهم أن يجدوا مجموعة مختارة من الكتابات المترجمة حول العهد الجديد، قام بتحريرها تشارلز هـ. تالبيرت ونشرها مع مقدمة مفيدة تحت عنوان، رايماروس: كسرات[2]. يمكن الاطلاع على مزيد من النصوص باللغة الألمانية عبر الإنترنت على:

http://rz-home.de/~ahipler/kritik/reimarus.htm

---

(1) Drittes Fragment. Durchgang der Israeliten durchs Rote Meer, G. Koehn trans

(2) Philadelphia: Fortress Press, 1970

1 – سفر الخروج 12: 37 – 38

عبور الإسرائيليين البحر الأحمر

[خر 12 -37: ثُمَّ رَحَلَ بَنو إِسْرائيلَ مِن رَعَمْسيسَ إِلى سُكُّوت بِنَحوِ سِتِّ مِئَةِ أَلْفِ ماشٍ مِنَ الرِّجال، ما عدا العِيال. خر 12 -38: وصَعِدَ أَيضاً معَهم خَليطٌ كَثيرٌ وغَنَمٌ وبَقَرٌ ومَواشٍ وافِرةٌ جِدّاً.][1]

الفقرة السادسة والعشرون:

عندما ننظر إلى المعجزة الأخرى، أي عبور البحر الأحمر، فإن التناقض الذاتي للأمور يجعل استحالتها أكثر وضوحاً. 600.000 مسلح إسرائيلي خرجوا من مصر في نظام عسكري. وكان معهم نساء وأطفال وحشد كبير من شعب عادي والذين تجمّعوا كلّهم معاً. الآن، تمشياً مع العلاقات الإنسانية العادية، يجب أن نحسب أربعة آخرين على الأقل لكل رجل جاهز للقتال: قسم منهم نساء، قسم منهم أطفال، قسم منهم من كبار السن، قسم منهم من الخدم. ومن ثم، فإن إجمالي العدد الوارد في «سفر الخروج»، وفقاً للتعداد الذي يُعطى لأولئك الذين كانوا جاهزين للمعركة، لا بد من أن يكون 3.000.000 على الأقل. كلهم ساقوا قطعانهم وجموع حيواناتهم، وبالتالي العديد من

(1) إضافة من المترجم العربي.

الأبقار، معهم. إذا أحصينا الآن 300000 أسرة فقط ، وبقرة واحدة أو ثور واحد واثنين من الأغنام لكل منها، نحصل على ما مجموعه 300000 من الثيران والأبقار و 600000 من الأغنام والماعز. لكن يجب علينا أيضاً أن نحسب ما لا يقل عن 1000 كيس من القش أو العلف من أجل الماشية، بالإضافة إلى العديد من العربات المستخدمة في الزوارق الذهبية والفضية التي استولوا عليها؛ ناهيك عن الأمتعة والخيام المعتادة لمثل هذا الجيش الهائل، والذي سنحسب أنها كانت 5000 فقط ، أي عربة واحدة لكلّ ستين شخصاً.

وصلوا أخيراً إلى البحر الأحمر وفي هذه المنطقة أقاموا مخيمًا على الشاطئ. وتبعهم فرعون مع 600 مركبة منتخبة وجميع مركبات مصر الأخرى، إلى جانب مجموعة كاملة من الفرسان والمشاة، وانطلقوا ليس بعيداً، مع حلول الليل. ويعتقد يوسيفوس أن هذا الجيش كان يضم 50 ألفًا من الفرسان و 200 ألف من جنود المشاة. من المؤكد أنه لم يكن جيشاً صغيراً، وذلك كي يرغب بالذهاب لملاقاة قوة من 600 ألف جندي مسلح. لكننا لن نحسب سوى النصف، أي 25 ألف فارس و 100.000 من المشاة، إلى جانب العربات. وكان عمود الغمام وعمود النار لا يبرحان طوال الليل[1] بين الإسرائيليين والمصريين. ثم أرسل الله

(1) خر 14 -2: مُرْ بَني إسْرائيلَ أن يَرجِعوا ويُخيِّموا أمامَ فمِ الحِيروت، بَينَ مِجْدولَ والبَحْرِ، أمامَ بَعْلِ صَفون، تُخيِّمونَ تجاهَه على البَحرِ. خر 14 -3: فيَقولُ فِرعَونُ عن بَني إسْرائيل: إنهم تائِهونَ في الأرض وإنَّ البرِّيَّة قد أطبَقَت علَيهم. خر 14 -4: وأُقَسِّي أنا قَلبَ فِرعون، فيَجِدُّ في إثْرِهم، وأُمَجَّدُ على حِسابِه وعلى ==

ريحًا شرقية قوية ، دفعت بالبحر بعيداً طوال الليل وجعلته جافًا. عندئذ مشى الإسرائيليون بأقدامهم الجافة والمصريون في إثرهم ، وهكذا حتى عبر الأولون جميعهم بالكامل ، بينما كان الأخيرون كلّهم في وسط البحر. في الساعة الصباحية ينظر الله إلى جيش المصريين ويسمح للماء بالعودة ، بحيث يعود للتدفق قبل الصباح ، وهكذا يغرق كل المصريين حتى لا ينجو أحد. هذا هو ما ورد في جزء صراحة ، وفي جزء لا بدّ بالضرورة أن يُستكمل بالسرد التوراتي.

القسم السابع والعشرون:

سأضع جانباً هنا جميع الظروف الأخرى وأنظر فقط إلى المسيرة الضخمة مقارنة بالوقت القصير ، عدد الناس والمواشي ، الطريق المزعجة ، والليلة الظلماء. وكون الرياح الشرقية هبت طول الليل من أجل جعل البحر جافاً ، فإنه بالتأكيد لا يمكن أن يصبح جافاً قبل منتصف الليل. الآن بعد الساعة الثالثة صباحاً ، في الساعة الصباحية ،

حِسابِ جَيشِهِ كُلِّه ، ويَعلَمُ المِصريُّونَ أنِّي أنا الرَّبّ . ففَعلوا كذلك. خر 14 -5: فلَمَّا أُخبِرَ مَلِكُ مِصرَ أنَّ الشَّعبَ قد هَرَب ، تَغَيَّرَ قَلبُه وقُلوبُ حاشِيَتِه علَيه وقالوا: ماذا صَنَعنا ، فأطلَقْنا إسْرائيلَ مِن خِدمَتِنا؟ خر 14 -6: فشَدَّ مَركَبَته وأخَذَ قَومَه معه. خر 14 -7: وأخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَركَبَةٍ مُمْتازةٍ وجَميعَ مَراكِبِ مِصر ، وعلى كُلٍّ مِنها ضُبَّاط. خر 14 -8: وقَسَّى الرَّبُّ قَلبَ فِرعَون ، مَلِكِ مِصر ، فجَدَّ في إِثْرِ بَني إسْرائيل ، وبَنو إسْرائيلَ خارِجونَ بِيَدٍ عالِيَة. خر 14 -9: وجَدَّ المِصريُّونَ في إِثْرِهِم فأدرَكَهم خَيلُ فِرعَونَ كُلُّه ومَراكِبُه وفُرسانُه وجَيشُه ، وهم مُخَيِّمونَ على البَحرِ عِندَ فَمِ الحِيروت ، أمامَ بَعْلَ صَفون.

المصريون، مع الحصان والمركبة، نجدهم بالفعل في وسط البحر. هنا مع اقتراب الصباح يأتي الماء، يتدفق عائداً. المصريون يفرون، لكن إلى الماء ويغرقون. ويترتب على ذلك أنه في الفترة من منتصف الليل وحتى الساعة الثالثة أو الرابعة صباحاً، ليس كل الإسرائيليين فحسب بل أيضاً المصريون جميعاً كانوا يسيرون في البحر نحو الشاطئ المقابل. الآن، فإن كل من سمع أو قرأ فقط — لن أقول اختبر — عن مسيرة الجيش، يمكنه بسهولة إدراك أن مثل هذه الرحلة السريعة، خاصة من قبل حشد من الناس والحيوانات وتحت هذه الظروف، هي استحالة حقيقية. يتكون الحشد من 3100000 شخص. ثم هناك 6000 عربة إسرائيلية مزودة بالأعلاف والأمتعة، والتي كان من الممكن أن تُربط بها الثيران المذكورة أعلاه. كان لدى المصريين العديد من المركبات الحربية التي كان يجرّها اثنان، أربعة، بل حتى المزيد من الخيول، وبالتالي على الأقل 100.000 حصان، بالإضافة إلى الفرسان. ثم تأتي مواشي بني إسرائيل: 300.000 ثور وبقرة و 600000 من الأغنام. عندما تكون هذه المجموعة الضخمة من الناس والماشية قد أقامت معسكراً، فهي ستحتاج إلى مساحة من عشرات الكيلومترات طولاً وعرضاً[1]: لا يعلّمنا ذلك تجربة يومنا المعاصر فحسب بل أيضاً

(1) يقول رايماروس: 'von vielen teutschen Meilen' [من العديد من الأميال الألمانية] في الطول والعرض. وكان الميل الألماني في هامبورغ في ذلك الزمن حوالي سبعة ==

أسلوب المعسكرات القديمة. كان معسكر العبرانيين، كما يمكن رؤيته في خيمة العهد[1] وفي مدن اللاويين، مكوناً من أربع جهات. وتخبرنا الوقائع أنه من أجل الحماية من هجوم العدو، كان يجب على الجيش ألا يمتد لمسافة ضعيفة ومتناثرة، بل يجب أن يظل متماسكاً؛ ولهذا الغرض يكون شكل المربع الأكثر ملاءمة، والذي كان يفضّله كلّ من الرومان والأمم الأخرى. إذا قمنا الآن بوضع عشرة أشخاص في خيمة واحدة، فإن تعداد الشعب البالغ 000 000 3 شخصاً ينتج ما مجموعه 000 300 خيمة. وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا في وضع مريح ضمن مربع إلا احتفظوا بالأمتعة، العربات، والماشية محمية في الوسط. إذا فكّرنا الآن بأي نوع من المساحة الضخمة التي يتطلبها 300.000 من الثيران، و 600.000 من الأغنام، والآلاف من عربات الأمتعة؛ وإلى أي مدى يجب أن تمتد 300000 خيمة: نكون عندئذٍ متواضعين للغاية عندما ندعي، أنه يجب عليهم ملء ما يزيد على مساحة 15 كيلومترًا طولاً وعرضاً، بحيث يكون ترتيبهم منظمًا وفعالًا أبداً. والآن، كونه بين جيوش الإسرائيليين والمصريين لا بدّ بالضرورة أن يكون هناك مجال كبير فاصل، فمن الواضح أيضاً أننا لسنا حذرين في حساب أن آخر القوات المصرية كانت على مسافة سبعة كيلومترات عن أبعد

كيلومترات ونصف الكيلومتر.

(1) قارن: سفر الخروج، 25 – 31، 35 – 40.

الإسرائيليين، وبالتالي أكثر من 22 كيلومتراً عن البحر. البحر نفسه، إذا ما قمنا بقياسه وفقاً لهذه الرواية، كان يجب أن يكون على الأقل سبعة كيلومترات ونصف الكيلومتر اتساعاً إذا كان الجيش فرعون بأكمله، مع العديد من الخيول والمركبات، في أكثر المناطق مركزية وعمقاً، أن يجد في آن واحد مكاناً ومقبرة على حدّ سواء. نتيجة لذلك، كان آخر المصريين وأبعدهم على مسافة 30 كيلومترًا تقريبًا بين موقع معسكرهم ومكان غرقهم: وبالمثل، كان آخر الإسرائيليين وأبعدهم على مسافة ثلاثين كيلومترًا من موقع معسكرهم إلى الموضع على الجانب الآخر من البحر.

القسم الثامن والعشرون:

الآن قد يظن المرء أنه لا يزال من المستحيل على شخص ما الفرار ليجتاز 30 كيلومتراً في أربع ساعات. لكن، فإن أي شخص معتاد على تشكيل حتى صورة ذهنية متمايزة بشكل خفيف للظروف مع كل الصعوبات، لاسيما الطريقة الشرقية للمسير ولقاع البحر، سيدرك دون صعوبة أن مثل هذه المسير هو استحالة حقيقية: كثير جداً من الأشخاص الذين يحملون أمتعتهم وأبقارهم والذين يسافرون مسافة 30 كيلومترًا في أربع ساعات من الظلام ليلاً، فوق قاع البحر الذي لا يسمح إلا للقليل منهم بالمرور.

كي أوضح بشكل كامل، أريد أن أصف أولاً الحركة الطبيعية للمواكب الشرقية والعبرية، بقدر ما استطعت أن أتأكد من ذلك من

مصادر قديمة ودون أخذ رحلة الإسرائيليين بعين الاعتبار مسبقاً. لقد اتبع العبرانيين نظاماً عند الانتقال، بحيث كانت تنتقل قبيلة واحدة قبل الأخرى، وضمن كل قبيلة، كانت كل أسرة تحت قيادة آبائها. بقدر ما أفترض هذا النظام في المسير الحالي، فأنا لا أعيق الناس. ونحن نعلم أن النظام يساعد في المسير، في حين أن الفوضى تعيقه بشكل كبير. الآن كان هنالك من بين هؤلاء أولئك الذين قادوا مجموعات من 1000، من 100، من 50، بل حتى من 10. ولما كان لديهم قادة من 10 رجال بصفتهم عرفاء، فمن المحتمل جداً، أنه في النظام العادي لم يمش أكثر من 10 رجال في وحدة مفردة: وهو ما يبدو أنه مطلوب أيضاً بسبب ضيق المساحة وعدم تمهيدها وهو ما قد يكون ملحوظاً في بعض الأحيان في الطريق. ومن هنا نجد حتى اليوم قوافل في أي شكل آخر غير موكب طويل، وهو أمر مطلوب ببساطة بسبب استحالة الطريق. لأنه من شأنه أن يكون متميزاً في ضم العديد من الرجال معاً: سيكونون قادرين على مقاومة اللصوص بقوة متحدة أكثر.

لهذا السبب بالضبط، كان لدى العبرانيين، مثلهم مثل قوافل أخرى في العصور القديمة والحديثة، قائد يذهب أمامهم يحمل وعاءً يحترق ويصدر دخاناً يحمله على عمود، كي يُرى من مسافة بعيدة ليلاً ونهاراً، وهكذا بحيث أن أولئك الذين هم في المؤخرة سوف لن يضلّوا. ومثل هذا الموكب المنظم البالغ 000 300 شخص سينتج عنه 300 ألف رتبة أو عضو. إذا قمنا الآن بتعيين موضع من ثلاث خطوات فقط لكل

رتبة، مع الأخذ بعين الاعتبار عربات الماشية والأمتعة، فإن الركب بأكمله سيمتد على مسافة 900.000 خطوة، أو 1.350 كيلومتراً[1]. الآن، بما أن زميلًا رشيقًا لا يستطيع أن يسير أسرع من 4000 خطوة في غضون ساعة، فإن الموكب، دون نظام في المكان ودون احتساب أيام راحة، كان سيستغرق 225 ساعة، أو 9 أيام و 9 ساعات قبل أن يتمكن الأخيرون من السير على خطى القادة. أنا لا أبالغ في الأمور هنا على الإطلاق، لكنني في الواقع أقول القليل جداً، وفقاً للتجربة المعاصرة وكذلك لتاريخ العبرانيين. وأود أن أثني على جنرال معاصر، الذي استطاع مع تنظيم عسكري متقدم ليومنا هذا أن يتدبر أمره في مسيرة من كيلومترات كثيرة مع 100.000 رجل في 8 إلى 10 أيام ، حتى يصلوا جميعهم إلى الوجهة التي كانوا يقصدونها. وكلّ من يهتمّ بمسيرات الإسرائيليين سيكتشف كم هم بطيئون في الانتقال من مكان إلى آخر، كما هو الحال عندما وصلوا للمرّة الأولى إلى جبل حوريب في الشهر الثالث، حيث وفقاً للتقدير الأولي كان موسى سيأخذ المسافة في 3 أيام.

---

(1) 180 ميل ألماني "deutsche Meilen 180". يحسب رايماروس أن كل 5000 خطوة تعادل ميلاً ألمانياً، وكلّ خطوة تعادل حوالي 1.5 متر. يشبه هذا خطوة الرومان، التي تم قياسها من كعب القدم إلى كعب القدم نفسه عندما تضرب الأرض مرة أخرى، وبالتالي بعد خطوتين.

القسم التاسع والعشرون:

مع ذلك، قد يُسأل عن مقدار الوقت الذي يمكن أن يربحه الإسرائيليون في ظروف رحلة إلى البحر الأحمر. سأسلّم بأن كل شيء ممكن جدلاً، طالما أن الإسرائيليين وثيرانهم وعرباتهم ليس لديهم أجنحة؛ والبحر لا يعتبر غير ما نعرف أنه كان عليه وما زال. قد يود المرء أن يفترض أن هذا الجيش الإسرائيلي الذي يبلغ تعداده 3000.000 نسمة لم يخيم في مربع، بل في خط على طول شاطئ البحر، وبالتالي لم يكن أقرب إلى البحر فحسب، بل إنه عبر أيضاً فوق قاع البحر الجاف في صفوف عريضة. لكن هذا من شأنه أن يفترض أن شيئًا ما لن يساهم كثيراً في السرعة، وهو يتعارض جزئيًا مع طبيعة الحقائق وقصة الكتاب المقدس. أقول إنّ ذلك جزئياً لن يساعد كثيراً بطريقة السرعة. لأنه، على افتراض أنه في الصف أكبر عدد ممكن والذي ترغبونه، فإن الصف سيصبح طويلاً إلى درجة أن موسى سوف يحتاج إلى أكثر من ليلة كاملة كي يعرف هؤلاء الذين هم في النهاية أن عليهم أن يتركوا المخيم. لم يحص الشعب فرعون وجيشه؛ لم يفكر أحد بالمرور عبر البحر. وعندما رفعوا عيونهم ورأوا المصريين، جاء عدد منهم إلى موسى قائلين إنه يجب أن يموت الجميع. عندها أخبرهم موسى لأول مرة بما يجب أن يحدث[1]. لم يمضِ عمودا الغمام والنار قدماً، وهكذا

---

(1) خر 14 -10: ولمَّا قَرُبَ فِرعَون، رَفَعَ بَنو إسْرائيلَ عُيونَهم، فإذا المِصريُّونَ ساعونَ وَراءَهم، فخافوا جِدًّا، وصَرَخَ بَنو إسْرائيلَ إلى الرَّبّ، خر 14 -11: وقالوا لِموسى: أَمِن عَدَمِ القُبورِ بِمِصرَ أَتَيتَ بِنا لِنَموتَ في البَرِّيَّة؟ ماذا صَنَعتَ بِنا ==

استطاعوا بذلك إدراك أن الوقت قد حان لترك المخيم؛ وبدلاً عن ذلك وضعوا أنفسهم طوال الليل خلف الجيش بينهم وبين المصريين. كان من شأن ذلك أن يكون علامة على ارتدادهم وتصديهم للمصريين، لأن أعمدة الغمام السابقة قد تحولت في هذا الاتجاه. وكان على المصريين أن يفعلوا ذلك أيضاً، وفقاً لهذه الحيلة. إذا كان من المفترض أن يفكّر الإسرائيليون بدلاً عن ذلك بطريقة مختلفة، فلا بدّ أن يكونوا قد تم توجيههم؛ ليس بأصوات البوق العالية، بل بالأحرى من خلال الرسائل، لأنه كان من المفترض أن يكون هروبًا يحدث في سكون الليل، دون أن يلاحظ المصريون.

كلما نشرنا بني إسرائيل أكثر على الشاطئ، كلما طال الوقت قبل أن يتمكن الجميع من معرفة الرسالة لترك المخيم. إنّ وضع 10 في كل صف يؤدّي بنا إلى 300000 صف بطول 1، 350 كيلومتراً، لذلك كان الأمر سيعني بالمقابل أنه إذا افترض واحدنا وجود 10 صفوف فقط، فسيكون العرض 300000 في صف واحد. هذا، على الرغم من أنه لا يبلغ طوله 1350 كيلومتراً، فإنه كان سيمتد على ثلث تلك المسافة، أي 450 كيلومتراً، حيث يتم تخصيص خطوة واحدة لكل رجل.

فأخرجتنا مِن مِصر خر 14 -12: أليسَ هذا ما كلّمناكَ بِه في مِصرَ قائلين: دَعْنا نَخدُمُ المِصريين، فإنَّه خيرٌ لنا أن نَخدُمَ المِصريِّينَ مِن أن نَموتَ في البرّيّة؟ خر 14 -13: فقالَ موسى لِلشَّعْب: لا تَخافوا، اُصمُدوا تُعايِنوا الخَلاصَ الَّذي يُجْريه الرَّبُّ اليومَ لَكم، فإنَّكم كمَا تَرَونَ المِصريِّينَ اليَومَ، لَن تَعودوا تَرَونَهم لِلأَبَد. خر 14 -14: الرَّبُّ يُحارِبُ عنكُم وأنتُم هادِئون.

لكن مجمل «الخليج العربي Sinus Arabicus»[1]، البحر الأحمر، لا يصل حتى إلى ذلك الطول: ولا أحد سيعتقد أن كتلة الماء كلها حتى البحر الكبير يفترض أنها قد جُفّفت: في الواقع، يصف الكتاب المقدس نفسه بوضوح أنها مجرد امتداد معتدل جعلته الرياح جافاً، بحيث كان من المفترض أن يكون الماء قد وقف مثل جدار على كلا الجانبين. إذا كان أحدنا يفترض الآن عدداً متوسطاً من الصفوف من أجل تقصير الامتداد، فعندئذ نعود أكثر إلى معسكر له الشكل المربع المعتاد، لكنه أبعد عن البحر؛ وبالتالي ستكون هناك حاجة إلى مزيد من الوقت قبل أن يتمكن موسى من توصيل الرسالة لترك المخيم، لأنه حتى المخيم الأكثر تميزاً في موقعه يجب أن يمتدّ إلى خمسة عشر كيلومتراً. لكن ضعوا شعبكم البالغ عددهم 3.000.000 شخصاً طولاً أو عرضاً بجانب البحر الأحمر كما يحلو لكم، وليعلموا مسبقاً أن البحر سوف يجف بفعل الرياح، حتى يكون الجميع مستعدين للعبور مقدماً مع الخيام والأمتعة المحزمة. كل هذا، كما أقول، لا يساعد على الإطلاق في منع فشل شيء آخر، لأن قاع البحر ليس مثل هذه النوعية بحيث أن عدداً كبيراً من الناس في الوقت نفسه، أو حتى قلة قليلة منهم، يمكن أن يعبروا دون عوائق. سوف اثبت ذلك بشواهد لا يمكن دحضها.

(1) الاسم اللاتيني للبحر الأحمر.

القسم ثلاثون:

لدينا وصف دقيق للبحر الأحمر، أو «Sinu Arabico» ، كما يمكن لنا أن نتمناه عند Diodorus Siculus [1]، الذي هو أكثر مصداقية لأن التقارير القديمة والحديثة الأخرى تتوافق معه. وبالتحديد، فإن البحر وفقًا لهذه التقارير ليس عميقًا جدًا، بل لديه في كل مكان مظهر أخضر من العديد من الأعشاب والحشائش من كل الأنماط التي تنمو من القاع. في معظم البقع هو موحل، وخاصة في الخلجان وفي أبعد نهاياته. في العديد من البقاع، يوجد أيضاً رمال فضفاضة في القاع، حيث تتعطل السفن العابرة، إذا ما توغلت في أعماقه، في المد المنخفض بحيث تغرق أعمق وأعمق ولا يمكن مساعدتها ما لم يرفعها فيضان شديد. في هذا البحر هناك أيضاً العديد من الجزر، التي يتدفق الفيضان فيما بينها بقوة كبيرة ومن ثم يتجوف بينها درب مرور عميق. متناثرة هنا وهناك شعاب وصخور خفية، بحيث لا يمكن للسفن، خاصة في الليل، عبورها دون خطر كبير من أن تنكسر على صخرة أو تعلق في الطين أو الرمل. وكثيراً ما توجد شجيرات نامية، مثل أشجار النخيل أو أشجار الزيتون، إلا أنها متحجرة مثل الشعاب المرجانية، كما أن الشعاب المرجانية الحمراء

---

(1) هنا يقتبس رايماروس ويترجم العديد من المقتطفات، والتي حذفتها، من ديودوروس سيكلوس Diodorus Siculus، ثيوفراستوس Theophrastus وسترابو Strabo ، تصف الطبيعة الصخرية والرملية والعشبية للبحر الأحمر.

والبيضاء غالباً ما توجد في كثير من الأحيان. ومن ثم، فإن كريستوف فورير، عندما أراد أن يستحم في هذا البحر أثناء رحلاته، قطع قدمه بشكل خطير على مرجان حاد مماثل.[1]

هذه هي الحقائق التي لا يمكن تجنبها من قبل أي اختراعات للخيال الجامح. دعوني أقدّم هنا العديد من المئات أو الآلاف الذين هم في صف يسيرون بسرعة أو يسافرون في الليل المظلم. ألن يعلق أحدهم في الوحل العميق، وآخر يعيقه العشب، الطحلب، والقصب، وثالث عليه أن يتسلق فوق الضفة العالية للجزيرة، رابع يصعد على صخرة، خامس يغرق في الرمال، سادس يتعثر على الشجيرات والشعاب أو يجرح قدمه؟ ألن تعلق العربات أو تتفكك أو تنقلب؟ إنه إنجاز كبير أن يتم إيجاد طريق صغير عبر مثل هذا البحر، بحيث يمكن لعدد قليل من الناس في صف السفر بأمان؛ لكن كيف يمكن لقاع بحر مثل هذا أن يسمح لعدة آلاف أو مئات بالمرور بحرية في الوقت ذاته؟

في أطروحته «De maris Idumaei traiectione»، لاحظ السيد كليريكوس Clericus في معظم العمل هذه الميزات لقاع البحر الأحمر. لكنه حل المشكلة بشكل جيد جداً. ولأنه حريص على جعل الإسرائيليين يعبرون، فإن البحر مبدئياً ليس بكل هذا الاتساع

---

(1) انظر: Itinerar of Christoph Fürer, p. 35، the Travels P.I. letter XI، Pietro Della Valle، الذي قام بنفسه بإعداد العديد من الشعاب المرجانية مع بلح البحر والقواقع وأرسل إلى الوطن عدداً كبيراً من الأمتعة المليئة بهم.

والعمق، لذا فهو لا يفكّر في عقبات القاع. وهو لا يذكر العدد الكبير من الأشخاص والمركبات والماشية، ولا الوقت الذي يحتاجونه لمثل هذه الرحلة، ولا الصعوبات الأخرى: فهو يضع ببساطة إسرائيلييه ضمن صفوف عريضة ويسمح لهم بالانزلاق بسرعة. يأتي فرعون أيضًا بسرعة ودون عوائق. وعندما يرغب بالهرب، يصبح البحر عريضًا، ثم تنغرس عجلاته بعمق في الرمال والطين، ثم يجري بين الصخور والشعاب المرجانية، ثم لا يستطيع الابتعاد عن المكان. يأخذه الطوفان، فيكون لا بدّ لفرعون المسكين أن يغرق في البحر الأحمر مع كل جيوشه، خيوله وعرباته. كل الطين والرمل، كل الصخور وسلاسل الصخور قرب الشاطئ، كل الشجيرات والشعاب المرجانية، كل الجزر والأماكن المرتفعة، يبدو أنها نشأت أولاً من أجل كليريكوس في الوقت الذي يعبر فيه الإسرائيليون ويأتون بفرعون داخل البحر. وهكذا فالتحيز يمكن أن يكون عظيماً لصالح من يريده أعمى والذي هو من نواح أخرى رجل عاقل جداً!

القسم الحادي والثلاثون:

لذلك من الواضح بما فيه الكفاية أنه على طول هذا القاع للبحر الأحمر لم يحدث أي عبور في صفوف عريضة، وأنه بسبب هذا إضافة إلى العوائق العديدة، كان يجب أن يستغرق العبور عدة أيام. ولكن دعونا أيضًا نأخذ العوائق الأخرى بعين الاعتبار. كان الوقت قد اقترب من المساء عندما رأوا جيش فرعون. عندها هرعوا إلى موسى في حالة من الفزع الشديد ووبخوه لأنه أخرجهم من مصر. هدّأ موسى من

روعهم وشجعهم. عند هذا تم إحضار عمود الغمام من مقدمة الجيش عبر المخيم بأكمله إلى الخلف ووضع بين الإسرائيليين والمصريين. والأمر بمغادرة المخيم تمّ إبلاغه للجيش بأكمله، ويفترض أنه ليس من خلال عمود الغمام لأنه كان قد وضع في الخلف، وليس من خلال صوت البوق، لأنهم أرادوا الفرار سراً، بل من خلال المراسلين.

عند هذا، بالطبع، يجب أن تكون الخيام قد أُنْزلت وحُزمت معبأة مع الأمتعة على العربات التي تم ربطها بالثيران. لا بدّ أن يكون الجيش نفسه قد وقف بانتظام، مع أتباع المعسكر، الأمتعة، أما الماشية فإما أنه قد تمّ إرسالها إلى الأمام أو اقتيدت إلى الوسط، أو على الأقل كانت محمية. كم من الوقت يمر في تلك الآونة؟ أولاً، كيف استطاع العديد من الماشية، صغيرة وكبيرة، ثقيلة وخفيفة، أن تُساق مسافة من عشرين إلى ثلاثين كيلومتراً؟ لأن الطبيعة والخبرة تعلّمان، والكتاب نفسه يلاحظ، أن الماشية تحب أن تُساق ببطء شديد. علاوة على ذلك، لم يكن لدى الإسرائيليين أي خيول معهم، كما تشير القصة برمتها، وبالتالي كان عليهم أن يربطوا عرباتهم بالثيران. وفي خطوة ثور مثل هذه فالأمر يستغرق ما لا يقل عن أربع ساعات لتغطية سبعة كيلومترات ونصف الكيلومتر. وإذا كنا نرغب في طرح علف الماشية وجميع عوائق قاع البحر، فإن كل عربة كانت ستستغرق ما لا يقل عن اثنتي عشرة ساعة للوصول إلى وجهتها؛ وإذا اضطروا إلى انتظار بعضهم البعض، كما كان من الواضح أن ذلك ضرورياً، عندئذ فإن موكبًا من عدة آلاف من العربات التي تجرها الثيران كان سيتطلب بحد ذاته أسابيع كاملة من الوقت.

ألم يكن هناك أيضاً مرضى أو معاقون أو عرج أو عمي أو حوامل أو عجّز ضمن هذا الحشد الكبير المكوّن من ثلاثة ملايين شخص؟ وهل كان باستطاعتهم مواكبة خطى رجال معركة جديرين؟ على افتراض أنه، من خلال معجزة لا معقولة ولم يُسمع بها، لم يكن مثل هذا الضعف البشري موجوداً بين الإسرائيليين؛ لكن لا يزال هناك بالتأكيد حوالي مائة ألف طفل بين الشعب، وكان من الضروري أن يُحمل كثير منهم ويجعلوا سفر أمهاتهم أكثر صعوبة؛ أو، إذا تمكنوا بالفعل من المشي، لم يكونوا قادرين على تحمل ذلك مسافة طويلة. الآن دعونا نفكّر إضافة إلى ما سبق بقاع البحر غير القابل للذوبان، الطين، الطحالب، الرمال، الجُزُر، شجيرات الصخور والشعاب المرجانية، المناطق العالية والمناطق العميقة التي تقف كلها في الطريق. لدينا ليلة مظلمة أمامنا، حيث سرعان ما يندفع المرء ضمن هذه الأمور، وسرعان ما تتحول المسألة إلى عائق آخر. ففي هذه الليلة المظلمة، علينا أن نمر ضمن كل عوائق البحر ليس فقط 600000 رجل جاهز للمعركة، بل أيضاً حوالي 100.000 طفل صغير، كبار سن، مرضى، معاقون، عرج، وحوامل، 300000 ثور و 600000 رأس غنم، و 6000 عربة مغطاة؛ وليس هناك من الوقت أكثر من ليلة واحدة للقيام بذلك. بالتأكيد، أنا على يقين أنه كان أفضل لنا ألف مرة أن نتعامل مع فرعون وكل جيوشه بدلاً من القيام بمثل هذا الأمر المستحيل. لكن كاتبنا التاريخي الموسوي لم يكن ليتراجع أبداً: إنه يفكّر ويكتب في ثلاث ساعات، قبل أن تعرف بالأمر.

القسم الثاني والثلاثون:

الآن وبما أنه من الواضح للجميع أن هذه المعجزات متناقضة ذاتياً ومستحيلة حقاً، فلا يمكن لها أن تحدث. لذلك يجب أن تكون مصنّعة على نحو بارز جداً للعيان وبأيدٍ خشنة تفتقد الحسّ الفني بحيث يمكن للمرء أن يرى بسهولة أنها جاءت من مؤلّف لم يجرب هو نفسه هذه الهجرة ولم ير كلّ شيء والذي يمكن أن يتضمنه سياق قصة سياق البحر الأحمر، مثلما لم يكن لديه أي مفهوم واضح مناسب والذي كانت تتطلبه الخبرة والوقائع. إنه يجعل جميع الماشية في روايته تموت بالطاعون، ومن ثم يمدّنا بماشية جديدة من الاحتياطيات في خياله. فليس لديه أي قلق حول من أين جاءوا. ثم يَدْعهم يَهْلكونَ ثانيةً مِنْ الدملِ، وبعدها يَعِيشونَ ثانيةً ليَقْتَلوا بالبَرَدِ. ثم يربطهم من جديد بالعربات ويضع الراكبين عليهم. إنه يقود 3100000 شخص، بمن فيهم النساء والأطفال والمرضى، العرج والمقعدون، المكفوفون، الحوامل والمسنون، مع العديد من الآلاف من الخيام والأمتعة والعربات في خطى الثيران، مع 300000 ثور و 600000 رأس غنم في مسار مليء بالعقبات في الظلام، من خلال الطين، المستنقعات، الرمال، الشجيرات، الصخور، الجزر، ضفاف منخفضة وضفاف عالية، لعدة كيلومترات إلى الجانب الآخر من البحر في ساعة ليلية واحدة. انظروا كم من القليل يتكلّف الفهم والتفكير لصنع المعجزات! هناك حاجة إلى القليل جداً من أجل تصديقهم!

إن هـذين الامتحـانين للمعجـزات المزعومـة يكفيـان بالنسـبة لنـا للحكم على أن المعجزات الأخرى كانت قد اخترعت من قبل العقل البشري، ولم تحدث في الواقع ولا هي تقدّم أدلة على أي شيء إلهي. وهكذا ففي المستقبل سوف أسمح لنفسي بالتقرب من هدفي أكثر وأتجنب التعامل مع كل المعجزات الموسوية أو المعجزات التي تليها بمثل هذه المسافة: سيحدث الأمر في الوقت المناسب. لقد قمت بهذا التحقيق بالفعل بما يكفي لإظهار أن التدخلات الإلهية العرضية لا ينبغي أن تمنعنا عن التفكير في كيفية ظهور النوايا والأفعال العارية لموسى في ذواتها وبذواتها. وفقاً لذلك، في ما يلي سوف نتفكّر في معجزات موسى عرضياً فحسب، وسوف نرى أساساً ما فعله موسى وكيف أن الناس في زمنه، الذين رأوا كل شيء بأعينهم، أصدروا حكماً شاملاً عليه.

FRAGMENTE

رايماروس

نقد الكتاب المقدّس من رايماروس إلى نيتشه

لا يمكن القول إنّ رايماروس (1694 – 1768) هو أوّل من بدأ حملة في نقدية الكتاب المقدّس، لأننا نعرف على الأقل أن باروخ سبينوزا (1632 – 1677) وجّه سهام نقده للعهد القديم؛ لكن ربما يكون رايماروس هو أوّل من دشّن هذا النوع الفلسفي المنظّم الدقيق من النقديّة الكتابية، خاصّة للعهد الجديد – بالنسبة لنقديته للعهد القديم، لم يصل إلينا إلا ذلك الفصل الذي يحاول فيه رايماروس دك أسس قصة الخروج من مصر الواردة في سفر الخروج والتي سنضيفها إلى نصوص لرايماروس أخرى هنا – وفتح الباب من ثمّ أمام الباحثين كي يخوضوا دون وجل عباب بحر الكتاب المقدّس المائج، والذي أوصل في نهاية القرن الماضي إلى جماعة "سيمينار يسوع" الأمريكية، التي تتهم اليوم بالتطرّف الليبرالي.

ابكالو